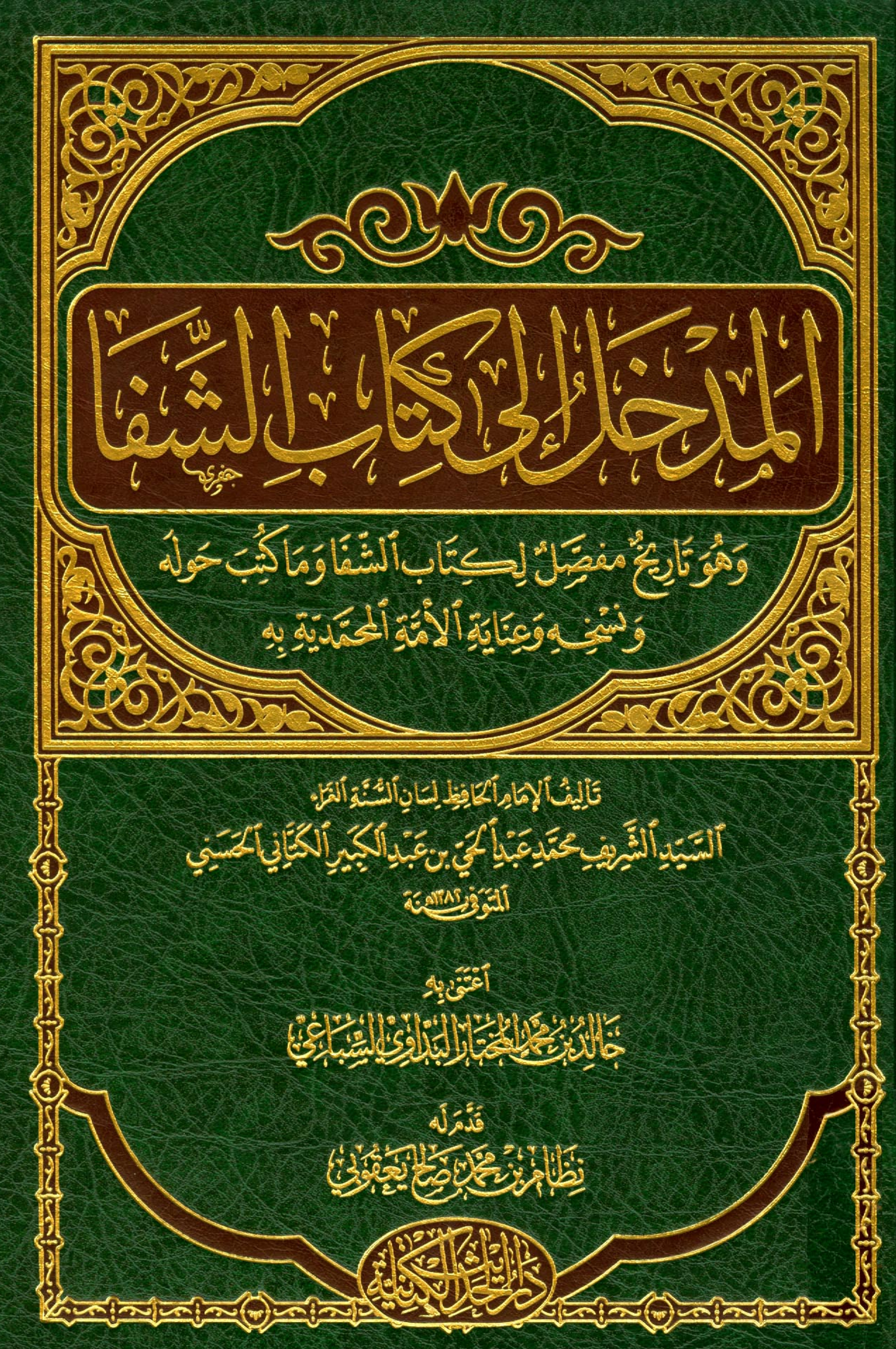

المدخل إلى كتاب الشفا
وهو تاريخ مفصل لكتاب الشفا وما كتب حوله
ونسخه وعناية الأمة المحمدية به
تأليف الإمام الحافظ لسان السنة الغراء
السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني
المتوفى سنة ١٣٨٢هـ
اعتنى به
خالد بن محمد المختار البداوي السباعي
قدم له
نظام بن محمد صالح يعقوبي
دار الحديث الكتانية

المدخل إلى كتاب الشفا

وهو تاريخ مفصل لكتاب الشفا وما كتب حوله
ونسخه وعناية الأمة المحمدية به

تأليف

الإمام الحافظ لسان السنة الغراء

السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٨٢هـ

اعتنى به وقدم له

خالد بن محمد المختار البداوي السباعي




بسم الله الرحمن الرحيم





المملكة المغربية : طنجة - شارع لبنان -إقامة يامنة- الطابق الثالث رقم ١٢٤٧
هاتف ٠٠٢١٢٦٥٦٩٩٣١٤٧
الجمهورية اللبنانية : بيروت - شارع برج أبي حيدر- ص.ب ٥٥٥٦-١٤ بيروت
هاتف ٨٤١٦٣٦-١-٠٠٩٦١/ ٢٨٧٨١٩-٣-٠٠٩٦١
e-mail. dar.alkatani@gmail.com

الكتاب: المدخل إلى كتاب الشفا
المؤلف : السيد محمد عبد الحي الكتاني
تحقيق :خالد بن محمد المختار البداوي السباعي
الطبعة : الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

تطلب منشوراتنا من

المغرب: دار الأمان - الرباط - زنقة المأمونية
هاتف : ٠٠٢١٢٥٣٧٢٦٣٧٨٧
الأردن : دار مسك -عمان -العبدلي
هاتف : ٠٠٩٦٢٧٩٦٠٥٤٨٠٠
تركيا : دار الشامي - استانبول - بايزيد
هاتف : ٠٠٩٠٢١٢٥٢٦٠٥٤٦-٠٠٩٠٥٤٢٣٣٢٣١٥٧



الحمد لله الذي شفى قلوب أهل الصفاء والوفاء بكتاب الشفاء، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين إنسهم وجنهم على السواء، وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الحشر والنداء.

أما بعد، فإن درة الإمام القاضي عياض المصونة وياقوتته المكنونة - كتابه الشفاء - لم ينسج أحد نسيجه، ولا نصفه أو نصيفه؛ وقد تلقته الأمة - منذ دبجته يراعته ونمقته براعته حتى يومنا هذا - بالقبول، حبا وشوقا لأبي الزهراء البتول، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم؛ فكم من شارح له ومختصر، ومعلق عليه، ومحش، وناظم متنه شعرًا ورجزًا، وباحث في أعلامه ورجاله، وناسخ منمق ومزخرف ومذهب؛ كل ذلك تعظيما لحقوق المصطفى؛ وتشريفا لمقام رسوله الخاتم المجتبى:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وقد كان من رجال هذا الشأن، بل فارسه السابق لفرسي الرهان: شيخ شيوخنا العلامة الإمام الحافظ المحدث مسند عصره بلا نزاع سيدي الإمام الشريف محمد عبد الحي الكتاني الحسني الفاسي رحمه الله وأثابه الجنة فقد كان من محبي هذا الكتاب المعظمين له بل المغرمين به الملازمين له حسا والمداومين على قراءته وإقرائه ليلاً ونهارًا، سفرًا وحضرًا، برًا

وبحرًا ؛ وقد بلغنا عنه - رحمه الله - أنه لم يكن يرد نسخة من الشفا إذا عرضت عليه مهما كانت متأخرة أو رديئة الخط ونحو ذلك - مع وجود عشرات النسخ الخزائنية الملوكية الفاخرة والنسخ المسندة القابلة المقروءة على الأئمة المسندين في خزانته العامرة التي لم يوجد لها نظير في خزائن العلماء حتى يومنا هذا - وينفق في ذلك الأموال الطائلة والمبالغ الهائلة، تعظيما لشأن صاحب الشأن، ورسول رب العالمين للإنس والجان، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا علومه.

هذا ومن نفائس ما خطه بنانه ونطق به جنانه ولسانه، هذا السفر الجليل والعلق النفيس الأصيل، مقدمة لكتاب الشفاء، ومدخلاً إلى علومه ومطالعته؛ فإذا علمت أنه في أصله تقريظ لنظم الشفاء للعلامة سكيرج: تدرك من أي بحر زخار كان مؤلفه يغرف، وأي علم كان بين جنباته يتصدق منه ويصرف؛ فلله دره وعلى الله أجره.

- وقد تشرف بخدمة هذا العلق النفيس - أجل خدمة - ابننا البار العالم الشاب النجيب الطلعة الشريف الشيخ خالد السباعي حفظه الله، وهو بحق مجدد علوم السيد عبد الحي الكتاني ومحي تراثه وآثاره، وغرامه بالسيد ومؤلفاته وكل ما يتعلق به لا يقل عن غرام السيد بالشفا! وقد قام بجمع ما تفرق من نسخ الكتاب وضم إليه شوارده ولواحقه، وزانه بتعليقات نفيسة وفوائد وحواش عزيزة، استخرج أكثرها بطول السهر في الدجى، وترك الوسن:

أأبيت سهران الدجى وتبيته ... وسنان وترجو بعد ذاك لحاقي

- وإنما وفقه الله إلى هذا لمحبته للعلماء وجثوه بين أيديهم بالركب وركوب الشدائد في ذلك واستعذاب المحن؛ وأعانه على ذلك معرفته الجيدة بخط السيد الكتاني ولو قلت: إنه أعلم الناس بخطه في زماننا لما كنت مبالغًا ولا غاليًا!!

وأقول في ختام هذه الكلمة صادقا إن شاء الله:

- إن للسيد الكتاني منة في أعناق كل من أتى بعده من العلماء ولكن لخالد منة عليه لما أحيا من علمه وأفاض علينا من عبق ذكره وفضله؛ وفقه الله إلى المزيد عن قريب، آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه خادم العلم بالبحرين

نظام محمد صالح يعقوبي العباسي



وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

الحمد لله الذي شرّفَنا بأن جعلَنا من أمة المصطفى ﷺ، وشرف وكرم وعظم، ما نجمٌ بدا أو خَفى، صلاة تُرضيك ويَرضى بها نبيّنا الـمُقتفى، ذي الفضائل والخصائص والـمَكرُمات والمزايا التي تَكفَّل ببيانها كتاب الشفا.

ومما زادني شرفًا وتيهًا   وكدتُ بأخمصي أطأ الثُّريّا
دُخولي تحتَ قَولِك:يا عِبادي   وأن صَيّرتَ أحمدَ لي نبيًّا[1]

ورضيَ الله عن صحابته وآل بَيتِه أهل الفَضلِ والكَرَم والوَفا، ومَن تبِعهم بإحسان خُصوصًا شيخُ الإسلام القاضي عِياض بن موسى اليَحصَبي السَّبتي الـمُرّاكُشي، صاحب «الشفا»، الذي سَنَّ لـمَن بعدَه طريق الاقتِفا، وحاز به قصَبَ السّبق والتّقدُّم على أعيان مِلَّة المصطفى ﷺ وكفى.

أما بعد؛ فهذا مصنَّفٌ نفيسٌ وسِفرٌ فريدٌ، خُطَّ بمِداد الحبِّ ونُسِجَت حروفه بأوشاج الشَّوق والتَّعظيم والـهُيام، بجَنَاب سيِّدنا الـمُصطفى ﷺ،

(١) البيتان لشيخ الإسلام الإمام الحافظ القاضي عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله تعالى كثيرًا ما سمعت شيخنا العلامة الحبر البحر سيدي مصطفى بن أحمد البحياوي الحسني أدام الله ظله ونفع المسلمين بعلومه وفهومه ينشدهما له.

رصَّعَ جواهره ورصَّ نوادره الإمامُ الحافظُ لسانُ السُّنّة وحُجَّةُ الأمَّة، فخرُ المَغارب على المشارق، السَّيِّد المَولى مُحمَّد عبد الحيّ ابن الإمام العارف بالله السَّيِّد عبد الكبير الكتَّاني رحمه الله تعالى.

وهو مِرآةٌ لِعِنايَة الأمَّةِ الإسلامِيَّة بهذا الكِتابِ الشَّريفِ، والمُصَنَّف المُنيف، وبالخُصوص أهل المَغرِب الأقصى الذي شرَّفَهُم الله بِكَوْنِ مُؤلِّفِه مِن أَهلِ هذا البَلَدِ الكَريم، وشَرَّف الله هذِه البُقعَة بِأَن كانت مَطلَع «الشّفا» التي صَدرَ مِنها، وأضاءَت أنوارُه مَشارِقَ الأرض ومَغارِبَها، وهو أيضًا دَلالةٌ مِن دلالات استِغراق عُمر مصَنِّفِه في الشُّؤون النَّبَوِيَّة والخَصائِص المُصطَفَوِيَّة والسُّنَن المَروِيَّة.

وهو قَبسَةٌ ومِثالٌ لِعِنايَتِه ورِعايَتِه بكتاب «الشِّفا بتَعريف حقوق المصطفى» ﷺ، للإمام القاضي الحافظِ شيخ الإسلام القاضي عِياض بن موسى اليَحصبي السَّبتي ثم المُرّاكُشي رحمَه الله تعالى، فقَد لَزِمَ هذا الكتاب الشَّريف عُمرَه العامِر سَماعًا وتَلقِّيًا عَن مَشايِخِه وأساتِذَته أوَّلاً، ثمّ لَزِم إقراءَه وإسماعَه وتَشنيفَ المَسامع بغُرَر فوائده ودُرَرِ فرائده، فَلَم يَترُك درسَه وإقراءَه في كُلِّ سَنَةٍ مرّاتٍ متَكَرِّرةٍ في القَرَويّين العامِرة، ولا في الزّاويّة الكتّانيَّة الزّاهِرة، ولا بيتَه ومَكتبَتَه الزّاخِرة بنَوادِر الآثار الباهِرة مَع مُداوَمة سَردِه وإقرائه روايةً مَع ضبطِ النُّسَخ المَقروءة على نُسخَتِه المُصحَّحَة المُتقَنَة، ولقَد قال هو في كتابه «إعلامُ الحاضر والآت بِما في السلوَة مِنَ الهنات»[1] ما نصه: «وقد مرَرتُ على «الشِّفا» مرّاتٍ وكَرّاتٍ، أكثَر ممّا أعدّ سَماعًا على الشُّيوخ وإسماعًا لغَيرهم، فَلَم أكُن أرُدُّ لها

---

(١) (١-١٧٠ق).

- يعني قصعة نبَويَّةٌ ذَكرَها القاضي في الشفا - بالاً حتّى لـهذه الـمرَّة عام ١٣٥٨ ...».

ولا شكَّ أنَّه مرَّ على «الشِّفا» بعدَ هـذا التّاريخ مرّاتٍ وكرّاتٍ أثناء تَكرير عِنايَته بـمَحبوبه كتاب «الشِّفا» والتَّلذُّذ بقراءته ودراسَتِه، إذ أنَّ حَياتَه الشّريفة العامِرَة امتَدَّت بعد هذا التّاريخ أربعًا وعِشرين سَنَةً رحمه الله تعالى.

وقد حدَّثَني شيخُنا وبرَكتُنا بقيَّة السّادة الـمُسنِدين وفَخرُ الأشراف الـمُعمَّرين سيدي عبد الرَّحمن ابن الإمام الحافِظ الـمُصنِّف رحم الله آباءه العِظام، وطَرَح البَركة والخيرَ والعِلمَ في خَلفِه الكرام، أنَّه سمع كتابَ «الشفا» على والده وشيخِه الإمام الحافظ أزيَدَ من خمسين مرَّةً في بيتِهم العامِر وزوايتِهم الـمَحجوجَة، وفي الجامِع الأعظَم ومعهَد العِلم الأكبر جامِع القَرَويّين، فضلاً عن مجالسِه الخاصَّة في أسفاره ورَحلاته.

ولقد يَسَّر الله لي قراءة جميعِ «الشفا» بلفظي، وسماعِه بقراءة غيري، تامًّا مرّاتٍ على شَيخنا الـمَذكور، ومـمّا لاحظته وعاينته وشاهدته أنّي كلّما وصلتُ في القراءة أو السّماع عليه إلى قول الإمام المصنِّف في الخاتمة: «هنا انتهى القَول فيما حررناه، وانتجَز الغَرض الذي انتحيناه ...» إلا ورأيتُ شيخَنا حفظَه الله يُتمِّم باقي الكِتاب من حافِظَته لكثرَة سَماعه له ومُداومَته لقراءته على والده رحمَهُ الله تعالى، وبارَك في عُمر شَيخنا.

بل حَدّثَني شيخُنا الـمَذكور، ضاعَف الله له الأجور، أنّ كَثيرًا مِن الأعلام كانوا يـحُطّون الرِّحال بـمَنزِل والده العامر بالعِلمِ والإيمان للمُذاكرة في كتاب «الشِّفا»، فيُقيمون اللّياليَ والأيّامَ على موائد «الشِّفا»، ومِن أولئك الأعلام الذين كانوا يشُدّون الرِّحلَة لقراءة «الشّفا» وسماعها وحَلِّ

مُشكلاتها والـمُذاكرة في عُوَيصاتها العالِمُ الخطيب الـمُفوّهُ الأكتَب العبقريُّ الشّيخُ(١) الفاضل ابن عاشور ابن عالم تونس الشَّيخ مُحمّد الطاهر بن عاشور رحِمَهُما الله تعالى.

ومِن جملة الأخبار الـمُتكاثرة الدّالّة على هذه العِناية الوافرة ما أخبرَني به ولده شيخُنا بقيَّةُ السّادة الـمُعمَّرين، وتاجُ الصُّلَحاء الـمُسنِدين، سيدي عبد الرّحمن ابنُ الإمام الحافِظِ السّيّد مُحمّد عبد الحيّ الكتّاني أدام الله بَركتَه علينا أنّ الفَقيه الكُتُبِيَّ الشّهيرَ سيدي مُحمّد الـمزواري(٢) قَصَدَ

(١) هذه الحُلى حَلاه بها الحافِظ الـمُصنّف في كتابه: «الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات» (ق١٧٧) ناعتًا إيّاه بعدها بـمَحَلِّ ولدِنا. قلت: ومـمّا سمِعتُه مرّاتٍ وقيّدتُه عن شيخِنا الجليل والـمُسند الأصيل، سيدي عبد الرحمن ابن الإمام الحافِظ السّيّد محمد عبد الحي الكتاني رحمةُ الله على سَلَفه، وأبقى العِلمَ والبركة في خَلَفِه أنّ العلامة الفاضل بن عاشور بقي وفيًّا لشيخه وأستاذه الحافظ الإمام بعد هِجرته من المغرب واستقراره مُهاجرًا في فرنسا، فقد كان يَبعثُ إليه أسبوعِيًّا دون انقطاع بما يتجدَّدُ من الكتب الـمَطبوعة، وما يحتاجُه الحافظ من الأصول المخطوطة مع الحلويات والتُّمور التُّونسيَّة، وهُو وفاءٌ نادرٌ في زمَن غادر، رحمه الله وأجزَل مَثوبَته. ولقَد قال هو في إجازته لابن خالته الأستاذ أحمد بن محمد الحبيب بن علي بن فرحات الجلولي ذاكرًا شيوخَه ما نصُّه: «الحافظ الجليل، العلاّمة الشّريف، سيدي محمد عبد الحي الكتّاني قَدّسَ الله روحه...» وفي نصِّ الكِتاب صورة من العَلائق الوثيقة بين الشيخ وتلميذه، وفي تعليقنا عليه نصّ رسالة نادرة من العلاّمة الفاضل بن عاشور للحافظ الأستاذ الإمام رحمهم الله تعالى.

(٢) تُنظر ترجمته في كتاب: «نموذَجٌ من الأعمال الخَيريّة في إدارة المطبوعات المنيريّة» للأستاذ محمد منير عبده أغا الدّمشقي (ص٩١)، وهو كتابٌ حافِلٌ ومُهِمٌّ في تاريخ الطباعة العربية، وترجمة ناشري الكتب والكتبيين في كل بلد =

بيتَ والده الإمام بنُسخةٍ خَطِّيَّةٍ من كتاب «الشّفا» الشّريف، ومن كتاب «القاموس المحيط» للإمام الفيروزآبادي يَعرِضُهُما على الإمام والده بِقَصد البَيع، فأبدى السّيّد الحافظ رغبَته فيهما، فنَزَل الفَقيه المزواري مع شيخِنا سيدي عبد الرّحمن لصِحن المَنزل ليُفاوِضَه في سِعرهما على العادة.

فَقد كان شيخُنا حفِظه الله ومَتَّعَه بِرضاهُ وكيلاً عن والده، فإنَّهُ رضي الله عنه لم يكُن يُمارسُ البَيعَ والشِّراء بشَخصه الكريم، بَل كان شيخُنا السَّيِّدُ عبد الرّحمن وكيلاً عنه في أموره الدُّنيَويَّة كلِّها، هو وأخوه العلاَّمةُ الأديبُ الوزيرُ السّيِّدُ عبد الكبير رحمه الله تعالى بَعدَ أن رَشَدا، وفي حال صِغَرهما كان أحدُ المُحبّين من أصحاب الحافظ وكيلاً عنه، وهو الشَّريف الجَليلُ التّاجرُ مَولايَ أحمد العمراني رحمه الله تعالى.

فهُو الذي كان يقوم بمَهامِّ السَّيِّد التِّجاريَّة والشَّخصيَّة، ودفعِ ثمَن ما يَشتَريه مِن كتُب ومَخطوطاتٍ ونَوادرَ وآثار، لاستِغراق بالِ الحافِظ في العِلمِ والدَّعوَة إلى الله تعالى، وعَدَم تفرُّغِ بالِه ولُبِّه لِسِوى ذلك رحمه الله.

فطَلَبَ الفقيهُ المزواري مِن شيخِنا في الكِتابَينِ معًا مَبلَغ خمسِة آلاف ريال، وهو مبلغٌ له بالٌ في ذلك الوقتِ والزّمان، فإنّ شيخَنا السّيّد عبد الرّحمن حدّثني أنّ والده كان اشتَرى مَبنى دار الحَديث الكَتّانيّة[1]

= من بلدان العالم الإسلامي إلى فوائد أخر. وأخبارُه مع الحافظِ السّيّد المُصنّف رحمه الله تعالى كثيرةٌ جدًّا، أتيتُ بجملة منها في كتابي: «تاريخ المَكتَبة الكتّانية» وقد كان له ولدٌ من بَعده سار على سَيرِه في الاتّجار بالكُتُب يَعرِفه فُقهاء وعُلَماءُ فاس، ولا تُعرَفُ له تَرجمَةٌ مُفصَّلَةٌ كأبيه رحمهما الله تعالى.

(١) أهمَلَ التّاريخ المَغربيُّ الحَديثُ التّأريخ لهذا الصَّرح العِلميِّ الشّامخ، إلا إشارةً بَسيطةً في كِتاب «دور الحديث بالمغرب الأقصى» للدّكتور حَسن وجاج، وقد =

الـمُعدَّة لدراسَة علوم الـسُّنّة النّبويّـة الـشّريفة، وهـو البَيـتُ الـمُقابل لـمَنزل الإمام الحافظ السّيّد الكَتّاني في حَيٍّ سيدي أبو جِيدة بفاس، وهُو وقتَها مِن أرقى أحياء فـاس، والبيـوتُ فيـه مِن أغلـى الـمَحَلات، ومَع ذلك اشتراه بـخَمسةِ آلاف ريال.

قال شيخُنا: فبَقيتُ في مُفاوضـاتِ الفقيـه الكُتُبِـيّ الـمزوَري مُحـاولاً تخفيفَ السِّعرِ إلى ثـمَنٍ معقولٍ، إلا أنَّه لتَحقُّقِه بغَرام الإمام بِكِتاب «الـشِّفا» أصرَّ على ذلك السعر، مُصِرًّا على طَلَبْتِه متيَقِّنًا مِن تـحقيق رَغبَتِه، فما كـان مِن شيخِنا إلا أن اشتَـراه وِفـقَ رغبـة الفقيـه الـمزوَري ومُبتَغـاه، ثـمّ صَعِد شيخُنا بعدَ أن تـمَّ البَيعُ والاتِّفاق، وأنقد فيـه للفقيـه الـمزوَري مـا طلَبَـه مـن أوراقٍ إلى مَجلِس والده الإمام، فسَألَه مُستغرِبًا مُستفهِمًا عن سَبَبِ رغبته في هذه النُّسخَةِ وإصراره عليها قائلاً له: يا سيِّدي وأمَلي ومَـن خِدمَتُه ومُلازمَتُه

= دَوَّنَ إفـادةً شـفاهيّة عـن هـذه الـمُؤسَّـسَة العِلميَّـة الزّاهِـرة عـن أحَـد أعيـان الـمُتخرِّجين منها، وهو العَلامة الفَقيه البحّاثَة الكبير محمد بن أبي بكـر التّطـواني الكَتّاني طريقة. انظر (ص٣٧٥) منه. وقد تخـرَّجَ منهـا عـدد مِن الأعـلام، نـذكر منهم أولاد الحافظ العُلماء الأعلام؛ القاضي السّيِّد عبد الأحد، والقاضـي الـسّيّد أبـو بكـر، والـوزير الـسّيّد عبـد الكبيـر، وشـيخنا الـسّيّد عبـد الـرحمن، والعُلمـاء الأعلام: الفقيه أحمد بن محمد النميشي، والوزيرُ علال بن عبد الواحد الفاسـي، والوزير محمد الفاسي، والفقيه عبد السلام بن سودة، في جماعة آخرين تخرّجوا من رِياض هذه المدرسة العلمية الزاهرة، وقد درّسَ فيها الحافظ بنفسه وشخصه الكريـم، واستدعى صاحبَه وتلميذَه الإمام محدِّث الحرَمَين الـشرّيفَين الـشَّيْخُ عُمـر حمدان الـمَحرِسي المدني رحمه الله تعالى فأقام بفاس مُدّةً درّس بهـا علـوم عـدّة في دار الحديث العـامرة، وفـي النّيّـة إفـراد تاريـخها العـامر بـمَقال يُبـرِز دَورَهـا العلمي الرّيّادي، يسَّر الله ذلك.

أشرَف عَمَلي: إنَّ خِزانَة سيِّدنا ولله الحَمدُ حاوية لِغُرَر ونَفائس من أصول «الشِّفا» الشّريف، يَكفي أنَّ منها أصلاً أصيلاً سُمِع على ولَده القاضي أبي عبد الله محمد، ومِنها ما هو مَسموعٌ على كِبار الأئمة وشُيوخ العِلمِ، ومنها الـمُحَلّى بالحواشي النّفيسة والتّقريرات الفَريدة.

ومِن جهةٍ أُخرى ففي الـخِزانَة الكَتّانيّة العامرة بحَول الله مِن النُّسَخ الـمُزخرَفة والـمُمَوَّهَة بالذَّهب، إلى غير ذلك مِنَ النُّسَخ ذات الـمَزايا الفنية، فَلِمَ استَحقَّت هذه النُّسخَة هذا الـمَبلغَ الطّائل والـمُقابلَ الغالي، مَع أنّ ظاهِرَها لا يوحي بميزَةٍ عِلمِيّةٍ، كتاريخ نَسخٍ مُتَقدِّمٍ، أو سَماعٍ، أو قِراءةٍ على إمامٍ، ولا لها مِن الـميزات الفنّيّة والزُّخرُفيّة حتى يُدفَع فيها هذا الثّمن؟ فَما كان من والده الإمام إلا أن أجابه قائلاً: يا ولدي: إن «الشِّفا» إذا جاء بابَنا لا يُرَدُّ.

فيعِزُّ عَلَيَّ أن تدخُل هذه النُّسخَة من «الشِّفا» أو غيرها خِبائي وتكونُ في وسَط فنائي ثم تخرُج مغادِرَةً لـمَكتَبتي، فلِذلك حَرِصتُ عليها محَبَّةً وإعظامًا في «الشّفا» وهُيامًا وغَرامًا بجَدِّنا الـمُصطفى ﷺ.

وهذه النُّسخَةُ تُضمُّ إلى عشَراتِ النُّسَخ النَّفيسَة التي حصَّلها وجمَعها الإمامُ الحافظ السّيّد، وضَمَّها إلى خزانتِها العامِرة، وسيَأتي في كِتابِنا هذا ذِكرٌ لنَوادرِ النُّسَخ التي في الخِزانة الكتّانيّة العامِرة ووصفها.

ومن عنايته بالقاضي عياض وتتبع أثاره وتكرار زيارته له في روضته التي دفن بها بمراكش قال في كتابه فهرس الفهارس[1] وقفت على قبره بها غير مرة، وفي بعض هذه المرار قرأ الشفا بروضته كما سيأتينا نص طبقة كتبها بخطه يخبر فيها أنه قرأ أول الشفا على عالم مراكش العلامة الفقيه أبي عبد الله محمد

(١) (٢/٧٩٨).

الصالح بن العلامة محمد المدني السرغيني الفطناسي وستأتي صورتها في فصل من كتابنا هذا عقده الإمام المؤلف لمن أسندها

ومن هذا الباب تكرار زيارته للبيت الذي نزل فيه في فاس وهو بيت بني الغرديس قال في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب[١]: «قلت: دار بني الغرديس هؤلاء بزنقة حجامة في فاس وعليهم فيها نزل القاضي عياض لما مر بفاس في المائة السادسة، والبيت الذي نزل به عياض من دارهم المذكورة لازال ينعت فيها ويحترم إلى الآن، دخلته متبركًا. وكان أفراد هذه العائلة يجمعون الكتب بالشراء والنسخ حتى بأيديهم».

وقال العلامة نسابة المغرب السيد عبد الكبير بن هاشم الكتاني في كتابه زهر الأس في بيوتات فاس[٢] ما نصه لدى تعريفه ببيت بني الغرديس:

«وقد دخلنا هذا البيت بقصد التبرك مع جماعة ،منهم ابن عمنا الفقيه العلامة المحدث المؤرخ ،شيخ الطريقة الكتانية الشهيرة، المولى عبد الحي بن الشريف الفقيه العلامة المحدث، شيخ الطريقة الكتانية شرقا وغربا ،الصوفي المربي، الولي الصالح المقدس المنعم، المتبرك به حيا وميتا، المولى عبد الكبير الكتاني الحسني، دفين زاوية والده بصاباط القرادين، نفعنا الله بهما. وتبركنا، ودعونا الله فيه لنا ولأمة سيدنا محمد ﷺ، طلبنا من الله الاستجابة، وأكرمنا السيد محمد بن محمد بن بوبكر الغرديس المذكور بالطيب والطعام، لأنه الساكن بالدار المذكورة ،جزاه الله خيرًا».

وكان مِن جُملة هذا التّعلُّق الفريد والحُبِّ الأكيد بكِتاب «الشِّفا» تَشجيعُه لشُعراء عَصره وناظمي مصره لعقدٍ منثور «الشّفا» نظمًا، فكان أن شَرَع جماعَةٌ منهم في نَظمِه، وكان الذي قُدِّرَ له من بينهم أن يُتِمَّ نظمَه له

---

(١) (ص١٩٩).

(٢)

هو صاحبُه العلامَة الفقيه الأديب القاضي الرّياضيّ الصّوفيّ المُشارك أحمد العياشي سكيرج الفاسي رحمه الله تعالى، فقَد تمَّ له نظم الشفا كامِلاً في ٧٧٤٧ بيتًا، وأسماه: «مَورِد الصَّفا في مُحاذاة الشّفا».

وقد حدَّثني شيخُنا العَلاّمَة السّيّد عبد الرّحمن الكَتّاني أنّه أدرَك القاضي سكيرج يَتردَّدُ كلّ أسبوعٍ على والده يَعرِضُ عليه ما تجدَّد مِن نَظمِه للشِّفا، والإمام الحافظ السّيِّد يحُضُّه على الإكمال، ويستَحِثُّه بالاستِعجال في إتمام هذا النظم المُبارك، فكان أن تمَّمَ الله لهُما المُراد، وأكمَلَ العَلّامَة القاضي سكيرج نَظمَه وِفقَ ما أراد.

وبعدَ أن تمَّ نظمُه طلَب من صاحبه وحِبِّه الإمامِ الحافظ لسان السّنّة الغراء السّيّد محمّد عبد الحي الكتاني أن يَكتُب عليه تَقريظًا يَكون كالمَدخل لأصله المَنثور كتاب «الشّفا»، فحقَّق له السّيّد الأستاذ الإمام الرّغبة، وأجاب طلبَتَه وأبقاه ولله الحمد أثرًا خالدًا وفخرًا تالدًا تتَزيّن بها غُرّة جبين الدّهر في التّعريف بكتاب الشّفا الشّريف. وقد كان هذا الأثَرُ من جُملة الغائب المَحجوب من تصانيف وذَخائر الإمام المُصنِّف.

وقد كُنتُ خلال بَحثي وتَتبُّعي لمُؤلَّفات الإمام الحافظ وقَفتُ على نصٍّ نَقَله العلامتان السّيّد عبد الرّحمن والسّيّد مُحمّد ولَدا العَلّامة السّيّد مُحمّد الباقر الكَتّاني رحمَهُم الله تعالى، عن العَلّامة الجليل محمد بن أبي بكر التّطواني، وهُو أحد خَواصّ الحافظ والمُلازمين لظِلّه الشّريف سِنين عددًا، ونصُّ ذلك لدى ذكرهما لِنَظم الشفا في مُقدّمتهما لمَولد والدهما «روضات الجنات في مولد خاتم الرّسالات»[1] ونصه: نَظم الشّفا مخطوط،

(١) (ص١٤) مطبعة الأمنية الرباط سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

أخبَرنا العّلامة الجليل السّيّد مُحمّد بن أبي بكر التّطواني، أبقاه الله أنّ للحافظ الكتّاني تَقديمًا له في مُجلّد، أشاد فيه بِكُلّ الذين خدموا الشّفا، وهُو عمل لَم يُسبَق إليه ...

فانطَلقت من هذه النُّقطة وبدأتُ البحثَ بقصد بيت العلّامة الفقيه التّطواني، وقد استقبَلَني في بيته والدُه الأستاذ السّيّد مُحمّد جزاه الله خيرًا بصَدر رَحبٍ وكرَمٍ مَوروث، وحدّثني بأخبارٍ كثيرةٍ، وطَرحتُ عليه عشرات الأسئلة عن والده، ومصيرِ مكتَبتِه، وأخبرني أنّ جُلّها قد باعها والدُه في حياته، لأنّ نظرَته كانَت أنّ الكُتُب والنوادر لا ينبغي أن تَبقى في المَكتبات الخاصّة، خُصوصًا بعد ما رآه من الواقعة المَشهورة التي حلَّت بمَكتبة شيخِه وأُستاذه، فكان يحرِص على بيع ما يَقع بِيَدَيه من نَوادر للمَكتبات العامّة، كالخِزانة العامَّة والمَكتبة المَلكيّة العامِرة.

وأنّه أهدى بعضها لمَكتبة الباشا الصبيحي بمَدينة سلا، والتي قصدتُها بدورها، فلَم أجِد هذا الكتاب في فِهرِسها المَطبوع، ولا كُنّاشِها الخاص، الذي أُلحق به مخطوطات المَكتبة ممّا لم يَرد في الفِهرس المَطبوع، فوجدتُ عددًا من مخطوطات العَلّامة التّطواني ومنسوخاته، ونصوص إجازاته، وليس فيها للأسَف هذا العلق النّفيس.

ثمَّ سألت الأستاذ البحّاثة المُعتني والمتخصّص بإبراز مؤلّفات العلّامة القاضي الأديب سيدي أحمَد العياشي سكيرج رحمه الله، وهو الأستاذ مُحمّد الرّاضي كنون حفظه الله، وهو الذي أخرَج نظم الشفا له، وقد أشار للتّقريظ في مُقدّمة نشرته للنظم[١] فَأخبرني بأنّه لم يقِف على هذا

(١) (ص ٣٨).

التّقـريظ ، مـع وقوفـه علـى مَكتبـة العلّامـة سـكيرج وأصـول كُتُبـه الخطّيّـة ومراسلاته ونصوص إجازاته ، وبَقيتُ سائلًا عنه مُستخبِرًا خبَره مُقتفيًا لأثـره إلى أن فاجأني به أخي الكبير مُحيي ما اندرس مِن آثار الأشـراف ، الـشّريف الجليـل ، والباحـث الأصـيل ، مِفتـاح التـراث الكَتّـاني ، سـيدي حَـمزة بـن علي ابن الشيخ الـمُنتصر ابن الـشيخ محمـد الزمزمـي ابـن الإمـام المحـدث السّيّد محمد بن جعفر الكتـاني ، رحِـم الله سـلفَه الفخـيم ، وبـارك فـي خَلفِـه الكريـم .

فكان أن أمَدّني أمـدَّهُ الله بعطائـه بنُسخةٍ أُولـى مـن التقـريظ ، حصّلها بسعاية من عمِّه معـالي الـوزير الأسـتاذ الـدّكتور حمـزة ابـن شـيخنا الـمُعمَّر والكنز الـمُدّخر مولاي محمد الطيب الكتاني حفظـه الله ورعـاه ، ثـمَّ توالـت أفضاله وتواترت إنعاماته ، فأمدَّني بثلاث نُسَخٍ خطّيّة يأتي وصـفُها ، فـشرعت بـحول الله في شهر ربيع الأنور لـسنة ١٤٣٦هـ بالعنايـة بـه ونـسخِه ومُقابلتـه وتصحيحه والتعليق عليه ، فتَمَّ بـحَمد الله في مجالس مباركة ، وقـد ظهـر لـي أن أُصدِّرَه بـمُقدّمة تتضمن التّعريف بالعلامة أحمد سكيرج وعلاقته بالحافظ وقصائده ومدائحـه فيـه ، ثُـمّ التّعريـف بتقـريظ نظـم الـشفا ونُـسَخِه الخطّيّـة ، ومِنهَج الحافظ فيه ، يلي ذلك النّصّ الـمُعتَنى بـه ، ثـم أُلحِقُ بالعمَـل وثـائق وصورًا مـمّا ذكر في الأصل ، والله أسـأل أن ينفـع بـه ويجعلـه خالـصًا لوجـه الكريـم ، وزُلفى لنيل شفاعة نبيّه العظيم ﷺ وشرّف وكرّم وعظّم .

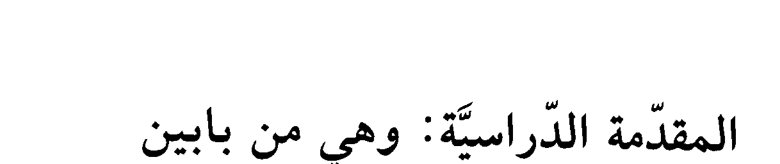
و قبل أن أُنهي هذه الـمُقدّمة أتوجّه بالشّكر الجزيل لكُلّ مَـن سـاعدني أو أفادني ، وهُم كُثُر ، أخُصُّ منهم أخي مَولانا الـدُّكتور الـشّريف حـمزة بـن علي الكتّـاني حفظـه الله ، الـذي أمـدّني وأتحفنـي بالنُّسَخ الخطيـة للكتـاب ، وفَتَح لي قلبه وبيتَه العامِر وخزانتَـه أسـتفيد منهـا ، وشـجَّعني ودَعَمَنـي دائمًـا

للمُضيِّ قُدُمًا في إخراج تُراث الإمام الحافظ المُصنِّف، وللأخ الفاضل الكريم الأُستاذ عادل العوضي حفظه الله، من الإمارات العربيّة المُتّحدة، الذي وفَّر لي عشرات المَصادر المَخطوطة والمَطبوعة، والتي لولا تكفُّلُه بجلبها وتوفيرها وبعْثِها إليَّ لما كُنتُ وصلتُ إليها مع أريحيّة النفس. ولأخي الفاضل العزيز الأستاذُ عبد الهادي جمعون حفِظه الله، الذي تَطوّع بنَسخ المَخطوط أولاً، ثمَّ مُقابَلته معي مرَّتين، وإدخال الزوائد في محالّها، وتصحيح الكِتاب، والنّظر فيه مرّات مع تفقيره وترقيمه.

وختامًا يَطيب لي أن أشكُرَ معالي الدُّكتور أحمد شوقي بنبين مدير الخزانة المَلكيّة العامِرة، الذي أمَدَّنا بمَخطوطات هذا الكِتاب وغيره، والعلّامة الأستاذ الدّكتور مُحمّد الرّاوندي حفِظه الله، الذي راجَع العَمَل ونَظَرَ فيه وزيّنَه بإفاداته الغاليّة وتنبيهاته العاليّة.

وكَتَبه صباحَ يومِ الأحَد ١٤٣٦هـ بمَدينة طنجَة المَغربيّة صانها الله وسائرَ الأقطار الإسلاميّة.

وكَتَبه خادِم تُراث لِسان السُّنّة وحُجّة الأمّة الإمام الحافظ السّيّد محمّد عبد الحيّ الكَتّاني الحَسَني خالد بن مُحمّد المُختار البَدّاوي السُّباعي عُفِي عنه بمَنّه وكرَمِه.



المقدّمة الدّراسيَّة: وهي من بابين

الباب الأوّلُ: التّعريف بالعلّامة القاضي سكيرج، ووثيق الصِّلة بينَه وبينَ صاحِبه الحافظ

والثّاني: التّعريف «بتقريظ نظمِ الشّفا» وما يتّصلُ به، ومَنهجي في العناية به

الباب الأول:
التّعريف بالعلّامة القاضي سكيرج ووثيق الصِّلة بينه وبين صاحِبه الحافظ الإمام الأستاذ رحمهما الله تعالى

بادئ ذي بدئ أُصَدِّر هذا البابَ بترجَمة العلّامة القاضي الأديب الحَيسوبيّ الصّوفيّ أحمد العيّاشي سكيرج الفاسي رحمَه الله لصاحبه الإمامِ الأستاذِ الحافظِ المُصنِّف في كتابَيه: «نزهة السِّلوان في ذكر اجتمعت به من الأعيان»[1] و«قدم الرُّسوخ فيما لمُؤلِّفه من الشُّيوخ» وأتبِعُ ذلك بتحليل مضامينهما وقيمَتِهما العِلميَّة والتّاريخيَّة بينَ تراجِم الحافظ الإمام رحمه الله نَقلاً من كتابي الكبير المُفرد في ترجمة الإمام الحافظ، وما يقدِّمُه النَّصّان مِن إضافاتٍ مُهِمَّةٍ في سيرة الحافظ العِلميَّة.

قال العَلّامة القاضي الأديب العددي المُشارك الجليل، سيدي أحمد العياشي سكيرج رحمه الله تعالى: ومِنهم الشَّيخ سيدي عبد الحيّ الكَتّاني، ازداد بفاس في ربيع النَّبَوي عام ١٣٠٣.

ثُمَّ دَخَل للمَكتَب الذي تَحت زاويتهم المَعروف بمَكتب الكهف بجريز، فقرأ على الفَقيه سيدي علي بن أحمد بن بوبكر زويتن.

ثمَّ على الفقيه الأستاذ سيدي أحمَد البغل بمَكتب حَومة ابن صوال، ثم على الفَقيه سيدي مُحمّد الصَّنهاجي بمَكتب وادي رشاشة، ثمَّ دخل للقرويّين عام ١٣١٤.

---

(١) (ص٤٣) النسخة المرقونة.

وقرأ على الفقيه سيدي أحمَد بن الخيّاط في البُخاري والشِّفا والطّرْفة، ومُختصَر السَّعد والحِكَم.

وعلى شيخنا القادري الأجروميَّة والبُردة بالأزهري وحاشيَّته عليها، والشَّمائل بحاشيَّته، والشّيخ الطَّيِّب بحاشيته، وابن السُّبكي والمُختصر.

وعلى الفقيه الحاج مُحمّد كنون عبادة المُختصر بالدّردير، وخاتمَة ابن السُّبكي، ومجالس من المطول.

وعلى القاضي سيدي عبد السَّلام الهوّاري الشَّمائل والمُوطّأ، وعلى الفقيه السّيِّد خليل بن صالح التلمساني الألفيّة.

وعلى الفقيه سيدي أحمد بن الجيلالي جمع الجوامع لابن السبكي.

وعلى الفقيه سيدي محمد بن جعفر عبادة المُختصر وابن عاشر والهمزيّة والمُوطّأ وسُنن أبي داود والألفيَّة.

وعلى الفقيه سيدي جعفر قَرَأ عليه دُروسًا من الهَمزيَّة.

وعلى الفقيه السيِّد أحمَد بن الطَّيِّب الجاوزي الفيلالي المُختصَر والأجروميَّة والألفيَّة والشَّمائل والسَّنوسيَّة، وطَرَفًا من المَنطِق، والاستِعارة بالشَّيخِ الطَّيِّب، وعلى والده المُحدِّث مُجيزِنا سيدي عبد الكبير البُخاري مرارًا، والشَّمائل والشِّفا، وطَرَفًا من المُسنَد للإمام أحمَد، وأطراف الكتُب السِّتّة، وجُملةً وافِرَةً من كتب التَّصوُّف.

وعلى أخيه الشَّيخ سيدي مُحمّد البُخاري والشِّفا والهَمزية، وسُنن النَّسائي والشَّمائل والمَواهب مُجرَّدة، وكثيرًا من كُتُب التَّصوُّف كالحاتمي.

وأمّا مَن أجازَه شرقًا وغربًا فحدِّث عنِ البحر ولا حرَج، وعُمدَتُه في التَّصوُّف والطَّريقة الكَتّانيَّة والدُه.

ومن تآليفه كَذلك ما يَنوفُ على ٥٠٠ تأليف، وقد انـدَرَج في الطَّبقَة الأُولى من طبَقات علماء فاس عام ١٣٢٥، وقَلَّ بلدة شَرقًا وغربًا إلاّ ودرس فيها، وعين مع الذين يقرؤون البُخاري بالضَّريح الإدريسي عام ١٣٢٣، وهُم:

١. سيدي جعفر.

٢. سيدي أحمد بن الخيّاط.

٣. وسيدي محمد القادري.

٤. وسيدي عبد الهواري.

٥. وسيدي ابن القرشي.

٦. وسيدي عبّاس التّازي.

٧. وسيدي مُحمّد كنون.

٨. وسيدي محمد بن محمد المدغري.

٩. وسيدي أحمد بن الجلاني، وهو العاشر عام ١٣٢٣، كُوِّن المَجلِس المَذكور عام ١٣٢١.

وأُتي بالمولى عبد الحفيظ عام ١٣٢٥.

ودرس بالقرويِّين عام ١٣٢٠.

وفي الزّاوية عام ١٣١٩.

وفي عام ١٣٢٣ ذهب لأداء فريضة الحجّ، وبَقِيَ نحو السَّنة بالمَشرق.

وفي عام ١٣٣٢ سُمِّي نائب أعضاء الطَّبَقة الأولى في المَجلس العِلمي، وهم سيدي أحمد بن الخيّاط، وابن الجيلاني، وابن المَوّاز، وسُمِّيَ عُضوًا أيضًا في جَمعيّة الكُتب بخزانة القرويّين والأندلُس، والرَّصيف، وفاس الجديد.

وفي سنة ١٣٣٣ تصدَّر لِمَشيَخة الطَّريقة الكتّانية.

هذا نصُّ ترجمَته له في كتابه «ريّاض السِّلوان في من اجتمعت بهم من الأعيان» وهي في صفحةٍ واحِدةٍ إلا أنّها أفادتنا فوائد نفيسة، كتسميَّة الفُقهاء الذين قرأ عليهم السّيِّد القرآن الكريم في المَسيد (الكُتّاب القرآني) وتُعيِّن أسماءهُم، وهي فائدةٌ فريدةٌ، وأفادنا أيضًا سنة دُخوله لجامع القرويّين لطلب العِلمِ، وتسميّة شيوخه في الدراية، وما أخذه عن كُلِّ واحدٍ منهم، وبعضُهم لم أقف عليه إلا هنا عند العلامة سكيرج، ثمَّ أفادنا تعيين عددِ مؤلفاته، وختم بذكر مناصبه، وبعض جليل أعماله معَ بيان تواريخ تلك الأعمال، وبالجملة فهذه التّرجمَة من رقائق تراجِم الحافظ عند أصحابه لمّا كان بَينَه وبين القاضي المَذكور من التَّمازُج والمَحبَّة والتَّصافي والتَّآخي رحِمَهُما الله تعالى.

وقال في «قدم الرُّسوخ»[1]: وممَّن أجازَنا ولا نقولُ تَدبَّجنا مَعه فيما جمعناه وجمَعه رفيع العِماد، طويل النَّجاد أبو الإسعاد، بهجَة بَين الكتّانيّين، بَل زادهم فَخرًا على فَخر، ومحَلّه مِن بَين الصُّدور الصَّدر، الشَّيخُ سيدي عبد الحي الكتّاني ابنُ مُجيزنا الشَّهير مَولانا عبد الكبير المُتقدِّم الذِّكر، ذلك الرَّجُل الذي تجسَّمَت فيه الفَضيلة، ولَم يَزِده حُسّادُه

---

(١) (ص٣٥٩-٣٦٣).

إلا تَقدُّمًا عليهم في الإحراز على الفضائل الجزيلة، وإني لأُسجِّل هنا على نفسي أنَّني مُحبٌّ له ولأبنائه ولأبيه ولأحبابه.

ولو أنّي أفردتُ ما أنشَأتُه فيهِم من الأمداح لكان مُجلَّدًا ضخمًا، وجُلُّه مَحفوظٌ لَدَيه، ولا أحتاجُ إلى التَّنويه بشأنه، وهو ممَّن ألقى السِّلاحَ كلُّ فاضل بين يَديه، وكفاه اطِّلاعًا على رجال الحديث من قَديم وحَديث، تأليفه المُعَنوَن بفِهرِسَة الفهارس والأثبات، وغيرُه من التّآليف التي أفاد بها العُموم والخصوص، ممّا طُبع ولم يُطبَع ممّا يُعَدُّ بالمِئين، زاد الله تعالى في معناه، وقد بسَطتُ تَرجمَته في غير هذا المَحلّ بما فيه كفاية، حتى قلتُ في رثاء والدته رضي الله عنها:

ماذا أثار شُجونًا طالما خمَدت ... ونارُها اليومَ بينَ الأضلُعِ اتَّقَدت
لأيِّ شيءٍ أراهَا اليَومَ مُضرِمةً ... وأعيُنُ النّاس فاضَتْ بَعدَما جَمِدَت
أمِن تكاثُر أهوال الزَّمان إلى ... أن ضَلَّتْ الأنفُس التي بِها رَشَدَت
أَو مِن مُصابٍ جلا وخطبُه جَلَلُ ... فجلَّ حتّى به جُلُّ النُّهى فُقِدَت
أَجَلْ لِسيِّدَةٍ جَلَّ المُصابُ بها ... لدى كِرامٍ لَهُم كرامَةٌ شُهِدَت
تلكَ المَصُونة بنتُ الأولياء وَمَن ... لهَا مَناقبُ في هذا الوُجود بَدَت
رفيعةُ القَدر في فَضلٍ وفي شَرَفٍ ... أصلاً ونفسًا ويا لِلّهِ ما وَلَدَت
ماذا أقولُ وفيها الخيرُ مُجتَمِع ... دينًا ودُنيا وما أدري بما انفَرَدَت
يكفيك فيها بأنَّ الله توَّجَها ... تاجَ البَها بكمال عِفَّةٍ حُمِدَت
كانت أبرَّ النِّسا بزوجِها وبه ... مِن حَوض رَوض رضاءِ الله قد وَرَدَت
مَضى وَخلَّفَها مَحفوفةً برضا ... واليومَ قد لحِقَته في عُلا صَعِدت
لله سَيِّدةٌ شيدت لها غُرفُ ... على العَلا ولها العُلا قد استندت

أولادُها سادةُ السّادات ما ذُكِروا | في النّاس إلاّ ترى العُليا لهُم سَجَدت
لهُم مناقبُ لا تُحصى إذا حُسِبَت | وليسَ تُحصَر آياتٌ لهُم حُسِدَت
إن كان حسّادُهم قد بالغوا حَسدا | في حجرها فهي عند الحقِّ ما جُحِدت
وإن يَكن سُفهاءُ الرّأي قد قَصَدوا انـ | ـدِراسها فهي بين الخلق قد خُلِدت
فالله يَرحم ماضيهم ويطرح في | باقيهم بركاتٍ منه ما نفَذَت
ويَحفظُ الله عبد الحيِّ وارثَهم | في سرِّهم والكمالاتِ التي مَجُدَت
وأن يمُدَّ حياتَه بعافيةٍ | ملحوظةٍ بكراماتٍ له شُهِدت
وأن تَدوم له الأيّام خادمةً | وكلُّ نَفْسٍ أتَت لبابه سعدت

وأمّا إجراؤُه لذِكره في «قَدم الرّسوخ فيما لمؤلفه من الشُّيوخ» فهي ليسَت على نسَق تراجِم كتابه، بل هي رسالةُ حبٍّ ووِداد، ومَحبَّة وإشهاد، وثناءٍ عاطرٍ، وسِياق بعضِ أشعاره في مدحِه وتعزيّته، وهو يُحيل في أثنائه على موطنٍ آخَر ترجمَه فيه، فلعلَّه يعني النَّص السّابق، وهو ما له في كتابه «رياض السِّلوان».

وبعد الانتهاء من سياقِ التَّرجَمَتين والتَّعليق عليهِما أنتقَل لذِكر تقاريظ العَلامة سكيرج على مُؤلَّفات الإمام الحافظ المَخطوطة والمَطبوعة على ترتيب حروف المُعجَم ممّا وقفت عليه أو اتَّصِل بي خبَره، وهي الكتب التّالية:

١- إنارة الأغوار والأنجاد.

٢- ارتقاء الهِمم العَليّة على حديث الأولية.

٣- الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات.

٤- التراتيب الإدارية.

٥- المظاهر السّامية في الشُّعبة الكتّانيّة.

٦- نور الحدائق في إجازة الشيخ محمّد الصّادق.

٧- فهرس الفهارس.

٨- اليواقيت الثمينة.

١- تقريظُه «لإنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبي ﷺ من السّبيل المعتاد» وهو منشورُ آخِر الكتاب في طبعته التونسية.

الحمد لله، لما وقف على هذه الرّسالة عمدةُ الطائفة التِّجانية وفخرُها العلامة الأديب الصّوفي القاضي أبو العباس أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج الفاسي كتب مؤيّدًا نفيَ الاعتقاد الموهوم في المسألة بما رآه على هامِش «جواهر المعاني» الأصليّة التي بخطِّ مُؤلِّفها على المحل الذي يستظهر به منها بعض الناس على إثبات ما نفي في هذه الرسالة، ونصُّ ما كتبَ حفظه الله تعالى:

«الحمد لله، يقول عبد ربِّه خِديم الحضرة التِّجانية أحمد ابن الحاج العياشي سكيرج أمنه الله، وجدتُ بخطِّ الخليفة المكرم سيدي الحاج علي حرازم برادة في هامش جواهر المعاني التي بخطِّ يَده المكتوب عليها خطُّ شيخنا التِّجاني رضي الله عنه بالإجازة فيها، لدى جواب الشَّيخ رضي الله عنه عن سُؤال عن المحل الذي ازداد منه ﷺ، هل من المحلِّ المعتاد؟ أو مِن تحت السُّرَّة؟ و«الجواهر» المذكورة قدم بها شيخنا محمود فاس، ورجع بها لعَين ماضي، ونصُّ ما وجدته بلفظه وحروفه: الحمد لله، قال سيدي محمّد بن عبد السّلام بناني في شرحه على الكلاعي ما نصُّه:

اختُلِف في ولادته، والأكثرون على أنّها عام الفيل، وحُكي الاتّفاق على ذلك، ثم قال: تنبيه: لا ينبغي أن يُغفل عن أمور، منها أن يُقال: هل تكون ﷺ من نطفَةٍ؟ وهل ولادتُه صلى الله عليه سلم من المحلِّ المعتاد للولادة؟ وهل على الإنسان تنزيهُه عن هذا كله، واعتقاد أنه تَكونُ من نور، وأنه ولد من ثقبة تحتَ السُّرّة لا من الفَرْج، وكذا سائر إخوانه مِن الأنبياء والمرسَلين؟ وهل البحثُ عن هذا كلِّه مع الأنبياء مطلوبٌ أو سائغ؟ أو عدمُ البحثِ عن ذلك أولى؟

فالجواب عن الأول أنّه تكون من نُّطفة، والخروج من المحلِّ المعتاد كل ذلك من الأمور البشَرية التي لا نقص فيها، إذ لا فرقَ بينَه وبين سائر التَّطورات الخلقية من الكون في الصُّلب والرَّحِم، إلى غير ذلك مما هو ثابت، فقد روى أبو نُعَيم وغيره عنه ﷺ «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيِّبة إلى الأرحام الطاهرة».

وفي شعر العباس رضي الله عنه:

تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدى طبق

لكن للنبي ﷺ في ذلِك شأنٌ ليس لغيره من كمال الطَّهارة والنَّزاهة من الأقذار، بل هو كما قيل: بشرٌ لا كالبَشر، بل هو ياقوتةٌ بين الحجر.

قال القاضي أبو عثمان سعيد العقباني في شرحه على البردة أنه لما اختَلف العُلماء في طهارة المنيِّ استثنى أُسُودهم النُّطفة التي كوّن الله سبحانه وتعالى ذاته منها عليه السلام، وأخرجوها من الخلاق.

قال الشيخ سيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي في حاشيته عل دلائل الخيرات: وهذا يرُدُّ ما وقع من الغلوِّ من بعضهم في كونِه عليه الصَّلاة

والسَّلامُ ليس من نُطفَةٍ ، إمّا هو نُور ، فيلزمه نفيُه من نسَب أبيه ، وكفى به شناعةً ، والله أعلم.

ونقل بعضهم عن ابن سَبع وابن رُشد في جامعه «البيان والتحصيل» أنَّ النبي ﷺ لم يَخرُج من بطن أمِّه من الفَرْجِ ، بل هو من ثقبة تحتَ السُّرَّة ، وكذا سائر النَّبيِّين والمرسَلين.

قلتُ: والظنُّ الرّاجِحُ والجزمُ أنَّه لا صِحَّة لهذا النقل ، فقد تتبَّعنا جامعَ البيان والمحل الذي هو مظِنَّة لذلك من شفا ابن سبع ، فلم نلفَ فيه ذلك ، ولم نعثُر عليه في شيء مما رأيناه من التآليف ، وناهيك بما جمَعه الحافظ السّيوطي في الخصائص ، وقد نقل عن ابن سبع مسائل نسَبَها إليه تبَرِّيًا من عُهدتها ، ولم يعرّج على هذه المسألة إمّا لِعَدم الوقوف عليها ، وإمّا للجَزم بوَضعها وبُطلانها ، لأنه التزم استقصاء ما ذكره النّاس مِن الخصائص ما عدا الموضوعات ، كما صرَّح بذلك صدرَ خصائصه الكبرى ، على أنَّه قد أورَد فيها أحاديث تؤْذِن برَدِّ ذلك النَّقل ، وتُشعِر بأنَّ الواقع مُوافقٌ للأصل ، فذكر ما أخرجه أبو نُعَيم عن بريرة عن مُرضِعته عليه السلام من بني سعد أن آمنة قالت: خرَج من فَرجي شهابٌ ضاءَت له الأرض ... الحديث.

وما أخرَجه ابنُ سعد عن إسحق عن عبد الله أنَّ أُمَّ رسول الله ﷺ قالت: «لما ولدتُه خرَج من فَرْجي نُور أضاءَت له قصور الشّام ، فوَلدتُه نظيفًا ما بِه قَذَر» ، وما أخرجه ابن عساكر عن ابن سعد عن ابن عبّاس أنّ آمنةَ قالت: «فقد علقت به فلم أجِد له مشقَّةً حتّى وضعتُه ، فلمّا فُصِل مني خرج معَه نُور أضاءت ما بين المشرِق والمغرِب ، ثم وقَع على الأرض مُعتمدًا على يَدِه ، ثمَّ أخَذ قَبضَة من تُراب فَقَبَضها وَرفع رأسَه إلى السَّماء» اهـ. من السِّيرة النَّبويَّة للبناني والسلام اهـ. طرة.

لأبناء قُطرنا الذين لم يغرقوا فيه من بحرِكُم الطّامي، ويعتَرفوا لكُم بما اعترَف به لكُم غيرُهم من ذوي الفَضل، وأيمُ اللهِ لقد خجِلتُ عندَما طالعت هذا الكتاب وبين يدي تأليفي المسَمّى ب«قدَم الرُّسوخ فيما لمؤلِّفِه من الشُّيوخ» وكِدت أن أُمزِّق ما كَتَبتُه، وصَغُر بَين عَيْني ما فيه رسمتُه واستَقللتُه، ولكن حمدت الله الذي أحيا بكُم هذا الفَنَّ، والتزمتُ بأن أنقل عنكم فيما أحتاج عليه مما لم أكن نقلتُه من قبل، وأنسب لكم ما أنقلُه، ولك الفضل في ذلك، ولولا أنَّ التأليفَ ابنَ الرُّوح لأدخلتُ كتابي في خبرِ كان، اكتفاءً بما كتبتُم، فلله أبوكم لا بُرَّ من يجفوكم... إلخ.

٦- ومن جملة كتبه التي قرظها «المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية» ما نصه[1]: وتقريظه يقع في ١١ صفحة، ونظرا لطوله اكتفينا بالاقتباس منه دون إثبات نصه الكامل:

تأليفُ عِلمٍ وأنسابٍ وأخبارٍ تَسُرّ ناظره بِكشف أغيار
يَرتاح من طرَب في الاستِماع له بما يُشاهد من صحيح آثار

وسرَّحتُ النظر فيه فإذا هو جَنّة قطوفُها دانِية، يَشفي كلَّ غليلٍ بما انطوى عليه من اللّطائف العِرفانية، والفرائد اللّامِعة، والفوائِد الجامِعة، والعُلوم النّافِعة، والتَّحقيقات البارِعة، والمناقب السّاطعة، والمواهب الرَّبّانية، والفيوضات الإحسانية، والأسرار العِرفانية، وتفسير الآيات القرآنية، وتوضيح الأحاديث النَّبوية، وذكر المقامات العلوية العالية، والشِّيَم العالية، والشَّمائل السّنية، والأوراد والأذكار، والحقائق والأسرار، والمشاهد والأنوار...

(١) المظاهر السامية الأصل بمكتبة خاصة (ق٤٥٦-٤٧٢) ونسخة مكتبة الدار البيضاء (ق٤٢٢-٤٣٩).

٧- وقال في تقريظه لكتاب الحافظ «نور الحدائق في إجازة الشيخ محمد الصادق» ما نصه[١]:

نورُ الحدائق في أفنانه انفتَحا ... بِعُرفه صدر من قد شمّه انفَتحا
ولم يفُز باقتطافٍ منه غير فتًى ... قد صار صادق ودٍّ سعيُه نجَحا
لله درُّ المجيز والمجاز به ... ففي مجازهما حقيقةٌ ربحا

٨- وقال في تقريظه «لليواقيت الثمينة بظهور سكة الحديد ووصولها للمدينة»[٢]:

لعمرُك ما اختراعُ المعجِزات ... من الأوضاع في ماضٍ وآت
فاعجَب للعُقول مِن اختراع ... لعبدِ الحيِّ خير مُؤلَّفات
قد اخترع اللَّطائفَ من معان ... من الآيات ضِمنَ المرويّات
غَدا مُسنبطا من كلِّ فنٍّ ... معارف جامعات محُكَمات
تبارك من حباه بنور عقلٍ ... به يُبدي معاني باهرات
فأعطاه مِن العِلم اللدني ... مفاتحه بفتح المغلقات
وأولاه مع الإتقان حِفظًا ... به جمع العلوم الجامعات
فما أحدٌ له فيها يُجارى ... لدى حلِّ الأمور المشكلات
فيخرج من زوايا كل علم ... خبايا كاملاتٍ كامناتٍ
ويُظهرها مؤيدة بنصٍّ ... جلِيٍّ في النُّصوص القاطعات
وأبدى في الفنونِ مُصنَّفات ... بها قد صار مُبدي المعجزات
نزل عن مقاماتٍ تسامت ... له بالفضل بين الكائنات

(١) (ص٥١) بعنايتي.
(٢) (ص.....) طبعة د إبراهيم المريخي.

أتـت منـه (يواقيـت) المعـاني ... ونظمُهـا عقـودًا غاليـات
وقـد أبـدى بـذا التـأليف سِـحرًا ... بـه يُـسبي العُقـول المـدرِكات
أتـى بـصحيح أخبـارٍ ونقـلٍ ... صـريحٍ فيه كـشفُ المعـضلات
تـشير لـسكَّة الوابـور حقًّـا ... لـذي نظـر حديـد ذي ثبـات
فبـالله مـا أبـداه منهـا ... ومـا أسـداه مـن مُـستَنبطات
ومـا هـذا سِـوى فـتح مُبـين ... حبـاه الله مـن بـين الهـدات
أدام الله فـي العليـا ارتقـاه ... وأولاه كمـالَ المكرُمـات
ولا زال الزمـان بـه يُبـاهي ... على رغم الحسود مع العدات
ولا زالـت بـه العليـاء تـسمو ... لـدَرك كمـال كـلِّ المحمـدات

وقال أيضا لا فُضَّ فوه:

لعبـد الحـي آيـاتٌ مُبيَّنـهْ ... وفـي العليـا لـه رُتَـبٌ مَكينـهْ
فـصار يـرى أمـام فـي أمـام ... وبين الخلق لستَ ترى قرينـه
حبـاه الله بـينَ ذوي المعـالي ... مقامـات عَلَـت وسـواه دونـه
ولم لا وهو فـردُ الوقت حقًّا ... أقـام الله دُنيـاه ودينـه
فأصبح في علوم الدِّين بحرًا ... خـضمًا لـيس تعبُـره سـفينه
يقـرُّ لـه سـواه بنَيـلِ فـضلٍ ... بـه المـولى يقـرُّ لـه عيونـه
وقـد أولاه فتحًـا مـن لدُنـه ... به أبـدى (اليواقيـت الثمينه)
فبـالله مـا أبـداه فيهـا ... بأحكامٍ من الحِكم المصونه
فقـد أبـدى بالاستنباط فيـه ... لطـائفَ مـن أحاديـث مبينـه
أحاديـث تـدلُّ علـى وصـولٍ ... لسِكّات الحديـد إلى المدينهْ

فكانـت منـه معجـزة تبـدَّت وكانـت فـي مكامنهـا كمينـهْ
فأظهرهـا مؤيـدة بحـقّ وعروتـه بتحقيـق متينـهْ
رعـاه الله مـن مُـستنبط مـن صـحيح النَّقـل أسـرار ثمينـهْ
أحـاط الله سـاحَته بحفـظ ووفَّقَـه وأولاه المعونـهْ
وأحيـا قلبَـه بكمـال فـتح به الكمالُ يكفيه المؤونـهْ اهـ

فهذا آخِرُ ما وقفتُ عليه من نصوص تقاريظ العلاّمة النِّحرير القاضي سكيرج لمؤلَّفات صاحبه الإمام الحافظ السَّيِّد محمد عبد الحيّ الكتّاني، ولا أدَّعي أنها كلُّ الموجود، لعدم وقوفي على كثيرٍ من مُصنَّفات الإمام الحافظ، فلعلَّ صاحبَه العلامة القاضي سكيرج قرظ غيرها، والله أعلم.

بعد هذا عَنَّ لي أن أشير إلى أني أثبت هنا بخط العلاّمة الفقيه القاضي الأديب سيدي أحمد العياشي سكيرج رحمه الله ثلاثة قصائد من قصائده التي مَدح بها صاحبه الإمام الحافظ رحمه الله تعالى دون ما سبَق من قصائده في تقريظ بعضِ مُؤلَّفات الحافظ وردت في كتاب «مطالع الأفراح والتّهاني بترجمة الشَّيخ عبد الحي الكتاني» للعلّامة الفقيه الكاتب الأديب سيدي عُمر بن الحسن الكتّاني، وقد يسَّر الله طباعَته وإخراجَه بعنايتي في دار الحديث الكتانية، عِلمًا أنها غَرفة من بحر ورَشفة من نَهر، إذ كيف لي أن أجمَع كلَّ ما قاله هذا الأديب البارع والعلّامة المكثِر الجامع، وقد قال هو في «قدم الرسوخ» كما سبق عنه: ولو أنّي أفردتُ ما أنشَأتُه فيهِم من الأمداح لكان مُجلَّدًا ضخمًا.

وبعد هذا أشير إلى المواطن التي رأيتُ الحافظَ ذَكر فيها صاحبه القاضي سكيرج رحمه الله، وأبدأ بأوسَعِها مادّة وأكثرِها إفادةً،

وهي نصّ ما للحافظ الإمام في كتابه «الرحلة الجزائرية التونسية القيروانية»[١]:

ومن الغد جاء للسلام علينا قاضيها صديقنا العلامة الأديب نادرة عصره في طلاقة اللسان والقلم، أبي العباس سكيرج الفاسي أصلا الوجدي ولاية، وهو إنسان ممتع المجالسة، لطيف الأخلاق، واسع الإدراك، كثير المشاركة، آنسنا بوروده ومجالسته جزاه الله عنا خيرًا، وأوقفني على خزانة كتب اقتناها من تونس التي رجع منها قريبًا من مدة شهر، فمنها مجموعة ... ثم ذكر جملة من النفائس التي اطلع عليها. ومن خطه نقلت[٢].

وقال في كتابه «ذيلُ سِلوة الأنفاس فيمن أُقبِر من العُلماء والصُّلحاء بفاس»[٣] في ترجمته لِقَريب العلامة القاضي سكيرج العلامة الأديب محمد بن الطيب سكيرج الفاسي... «القاضي العلامة صفيُّنا أبو العباس أحمد بن العياشي سكيرج، وأخبرني أنه وقَف على ديوانٍ لأبي الرَّبيع الحوات كان عنده بخطه، مملوء بمُساجلاته معه وأماديحه، وله منظومةٌ في العَروض قرَّظها له جماعة من الأعلام، وشرَحَها صاحبنا المذكور، ومنظومةٌ

(١) قال الحافظ في تقريظه لكتاب صاحبه الأديب الكاتب محمد الهواري الرباطي رحمه الله «دليل الحج والسياحة» (ص٢٩٧) واصفًا هذه الرحلة، وقال ولده العلامة القاضي الأديب سيدي عبد الأحد الكتاني في مقدمة فهرس الفهارس (٢٧/١) تخرج في مجلدين، وقد يسَّر الله الوقوف على القسم المتعلق بالجزائر بخط مصنفها رحمه الله، وهو في مجلدين حافلين.

(٢) (٤٦/١-٥٢ق).

(٣) (١٨٠/٢ق) ألحقه بكتابه «إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات».

أُخرى في الإسطرلاب، كنت ظفِرت بها في سجلماسة فأعطيتها للقاضي المذكور.

وممَّا يتَّصِل بالصِّلة العلميَّة بينهما ما جاء في ترجمة ولد الحافظ العلامة القاضي الأديب العبقري سيدي عبد الأحد الكتاني رحمه الله تعالى، التي نَشَر نصّها القباج في كتابه «الأدب العربي في المغرب الأقصى»[١] لدى تعداده لشيوخه ما نصه: «وقرأت علمي العروض والقوافي على جدي المذكور ودروسا فيهما على القاضي الأستاذ الشهير أبي العباس أحمد سكيرج حفظه الله».

---

(١) (ص١٩٢) دار الكتب العلمية.

الحمد لله لخديم الحضرة المحمدية التجانية في الشيخ مولانا عبد الحي الكتاني رضي الله عنه

حنانيك إن الشوق ضيق لي صدرا   وكم استطيع مما أقاسي به صبرا

تلذذت نفسي في اغتراب وفرقة   لهم فقد أحباب غرمت بهم صبا

وزادت كما قد ربيته عهدهم   ويزداد حبي فيك بينهم حبا

تزايد صدق حبي فيك دون تصنع   فما أنتهي نفسي والهوى أنشبت نشبا

وإني في حبي بحي وما بهم   غرمت بعبد الحي أستعطف الربا

كما أنني أستعطف الرب بالذي   يحب عبد الحي فيهم غدا قطبا

من آل الذي أعلى معالا ورتبة   فما عرفت أباؤه العجم والعربا

ومن كان من آل النبي كما في   كفى بهم دار المودة في القربى

وما لي إلا ازداد فيهم محبة   وإن من ربا صار زلك بهم قربا

فيا فوز من والاهم في حياته   فعز صدر يثنا عن مساويه الذنبا

وأعظم بعبد الحي فيهم مما قد   بأنوار هديه أشرقت الشرق والغربا

وما يا قد تتلى بحضرته التي   بها كما كانت أهل الكمال به عجبا

فما شئت من علم فقد تكلفت به   من البيعة ومعرفة ملا الكتبا

وما شئت من فضل فقد شهدت به   ذوو الفضل من أهل السلم والحربا

وما شئت من أعمال بر جاء سه   أبو ما وان يجره من لم يجد ربا

تعجب أن لم تلق في الناس مثله   وعن مثله لم تلف عصرا به أنبا

وكم الآكم يمسك الفضل يا هوى   فينقل كي أني ابتغى الكسبا

ولكنني ذو همة واحب صحي   لهم بصنيع البر يستوجب الحب

قصيدة العلامة سكيرج في مدح صاحبه الحافظ (١)

ومن مثل عبد الحي في الناس مثله ... سوى ابن ابيه الحي بالسر قد ربى
وما هو الا من استضاءت كم نفيه ... فاصبح عنه الدهر قد رفع الحجبا
جباه لاهل العقل مجرد عصره ... وما عجب ان قلت فيه غدا القطبا
يسلونني اخي كم محتد بعرفها ... عرفت له من مكرمات لها انتمى
دعته جلبابها وكان دعا لها ... بها جاءت منقادة تكشف الكربا
ولست بمحصيها ولو انني بها ... اعترف من الايام في بعضها الحصبا
سلام عليه من اخيه سكيرج ... اخوة الايام يزيد بها حبا
وانهي اليه من تهان رفيعها ... ليبقى بها امكا وتبقى له عقبا
وتلغى امانا في امان مع الهنا ... له ولاصحاب لنا قد غدوا صحبا
وكل محبيه جميعا اخصهم ... وحبهم والله ارقى به الرتبا
سلام عليهم اينما حل ركبه ... ومن يديه قد كنوا اعتدى ركبا
ولست ارى في الناس لا محبه ... لاربهم بالحب قد ملك القلبا
واما الا عادية بلهم اترواعدا ... الا جميع المومنين له قربى
وحسادنا لا بارك الله فيهم ... فليسموا ابن وهبي لو ملئوا الرحبا
وفداء الاله شرهم واذاهم ... من الكفر ما كانوا وما احتملوا الذنبا
ومن يعتثر على اهل الزاوية منهم
يغفر له الشكار من حزبه حزبا

تتمة قصيدة سكيرج في مدح صاحبه الحافظ (٢)

وقال

لكم السعادة يا أبا الإسعاد — جاءتك تم قبل كمال مراد
حييتك بالسعد المساعد والمنى — وبها الوليد أجبت كل مناد
ما خاب من والاكا ووالا بيتكم — بكمال فخر منه في الفضاد
من منهم والاك تم مراده — وسموا بهم للفلك في استعداد
وعرفت عزمهم بحرب ملكه — لهم وذلك عادة الأجواد
لولي جلوس الملك فاز وحظهم — بهم لديك فكلهم فيه جواد
وحييت حضه بزورتك التي — فيها تكررت مساجد الإبعاد
للأمر تحجر عن زيارتك التي — كانت لهم عيدا من الأعياد
تعطى كل فضيلة بك جنتها — كم بيننا عمرا فرأ تم بسواد
هذا العرك لم يكن يتصنع — لك أو يعري نصر لدى الأسياد
أغنيتكم بما أوتيتموا — من حكمة وكرامة ورشاد
وبما منحتم من فضول زائد — يغني المسافر عن تزود زاد
من ينتسب لكم لعلي مابه — لكم يحب في بلوغ مراد
أهلا بنيك وبالهم من سادة — دامت سعادتكم مدى الآباد
لهم الثناء بأنهم أهل الهنا — بكم وزانت لهم جميع عماد
بل أنت جل فهم بل جميعكم سما — فوق السما رغما للأنف أعادي
ملكا الرضى بهم وحقوقك الفنا — أو ليس فيهم حق لي انشاد
نعم وللوالد على العباد كثيرة — واعلمن نجابة الأولاد
للصبيان مولى الكبير حقيقة — عبد الكبير الوارث الأجداد

[illegible]

قصيدة سكيرج في مدح صاحبه الحافظ (١)

فيه تجمع كل فضل في الورى   متفرقا في الزوج والأفراد
وتفرقت فيه الفضيلة فهو في   فضل بقاؤه له يغي فساد
عز الشباب ومصطفى النشء الألى قدموا في الإنشاء والإنشاد
لكنه فيهم غدا فضلا عليـ   ـهم تدرور ابن العلا الوقاد
واعرف بنابغة الزمان مثله   لم تلف في الأغوار والأنجاد
إما كان هذا عمدة العلماء أبوه محمد به اقتدى في الجود والإمداد
ومحب إخوته المقدم في كل سعي الخير في الإصدار والإيراد
ولديك يا مولاي عبد الكريم منهم ما يزيدك رفعة في النادي
ورثوا السماحة والكرامة والعلا   وجميعهم يكفي كمال رشاد
دعني من الحساد للفضل الذي   ذالهم زاد الله من حساد
وكفى المحسود بأن تراه مؤيدا   بسعادة وبفوزه في إسعاد
من ذا البيت نبوءة ما ضيع   في الناس دما مستترا وصاد
تولنا لا البيت ناء مرجع   وأنا بمدحهم بلغت مرادي
وأنا وإن قصرت في مدحي لهم   فيهم أحبهم بكل واد شاد
أمسالكي في حبهم دم في هنا   ومعاني دم في عناء عناد
إني أود بأن أكون جدارا مع   قولي الهناء أن يفيلوا في قياد
وعلى عهد الله إني لم أزل   لهم خديما والمحبة زاد
حب إني قصرت في ودي لهم   فكفى بما في مترع لسعاد
قول المرء أن يعترف بمقاله   حقا له ما احتاج للإشهاد
إقرار يكفي مؤاخذة به   وأنا المقر بحبهم في نادي

تتمة قصيدة سكيرج في مدح الحافظ (٢)

الحمد لله على إفضاله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

في المكتبة الكتانية

اخلع نعالك وادن من ما هنا أدبا ... ما أنت في حرم تجهد الأدبا

تشد الرحال له من كل ناحية ... وكل من حله يقضي به العجبا

من كل ما يبهر العقول من كتب ... ما شئته من بديع الخط قد كتبا

ومن تآليف علماء تكفي بها ... عن الكتاب عندي لها كسبا

عجب أن مكتبة فيها ترى نسخا ... من بعضها ما ليس الأصل قد نسبا

وأيا بخط صحيح من مؤلفه ... أو مسند مستنبين لمن له كتبا

تبرت بالبدع خط قد كساه بها السمو ضوع حسن تجاري زينة الذهبا

ما كان أبدع ما أبدى مبتغيا ... فيها وأودع فيها كل ما انتخبا

كم داخل ما هنا قد حل ما كان بها ... بد غمرا في أنديه ما ستر العلم مضطربا

يكاد يسحر عقلا ما يشاهد منها ... يشكر المبتدعها وشكرها وجبا

وما أتيا إذا ما قلت ها نعمها ... من عالم الغيب جاء مظهرا عجبا

ردا الروح جنات الخلد ما رسمت ... في الزمن منذ شاد مثلها قربا

أعجب بغية هذا الحي مكتبة ... تمتع المبتغى بها مع الغربا

لا اللغو فيها ولا تأثيم يلحق من ... فيها غدا الكاشف عن نفسه الكربا

والكتب أفضل ما اقتناه ذو أدب ... وإنها خير ما أخفوا لجا اكتسبا

من كان في بيته كتب جديد ثوت ... من حضرة الغيب نوع كلها نجبا

بلا مئونة تلقى عشرة معهم ... وإنهم ثقة قد كان بدروا تعبا

ما أحسن الكتب عند المعتنين بها ... وإن تهملها عن الشرح حجبا

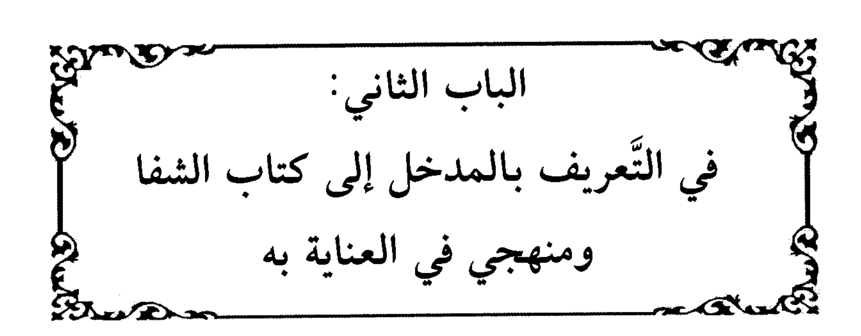
لا أشخص ما إن مكرمين بها لنسه ... سوى الذي في الهنا يجالس الكتبا

تبشه مني ما حكاني ابسرا ... مثل ألا فيه منها أينما ذهبا

قصيدة العلامة سكيرج في مدح المكتبة الكتانية وصاحبها (١)

وقد رأينا سراة أحرزوا قصبا … ت السبق في جمع ما منها العقول سبى
وإنما المثل الأعلى مع الفتح الـ … ـسامي العلي المعلى لعبد الحي قد نسبا
أحيى مآثر من مضوا منهم سبقوا … فضلهم وأزاح عنهم النقبا
مثل خزانته وقد حوت كتبا … لم يحو أسماءها السوى من النجبا
أعني سواها وأخرى قد أحاط بها … علما وسبق ترى مثلا أو تعجبا
وقد أحاط بما انطوت عليه كما … ترى ما على جميعها كتبا
كأنه من كمال الاعتناء بها … لديه جزء عليه في غنى وكتبا
لم يخل جزء من الأجزاء حل بها … من خطه مخبرا منه الذي انتخبا
إن لا عجب منه في نشأة غلب … ترشيد تلاقي له تنفيحه الكتبا
لم يخل مجلسه من زائر وكم … يغب لديهم وفيهم يفخر العجبا
وكم يكن عالم في العصر انتمى أو … من قبل إلا ويدري ما له انتسبا
يدري تراجمهم والتي أخبرا … في عصره مثله قد رام منتخبا
بلا عوض به وبما قد نال من منح … وما به من حبا لزائريه حبا
كفى به الشرفا فخرا كونه معهم … وأنه علم بين الأكارم أبا
شيخ الطريقة جامع الحق ما لزا … يات الحقيقة يدري عالما حسبا
أبي المدى المرتضى عبد الكبير ومن … في أول السبق من أهل العلا حسبا
أبوه أبي الفيض عبد الحي بل وأبو … أبي المعارف عبد الحي إن نسبا
وإن من سيمه كموسم [illegible] … به الذي أطلقت فيها النور ما احتجبا
وما أتاه سليم الصدر يطلب ما … أراد إلا وعاد بالذي طلبا
وفيه مولاي عبد الحي قام بما … يحيي القلوب به ويكشف الكربا
حديث عن البحر منها قال حدثنا … وكم يدع لسواه في الحديث نبا
دام حمى الشرفا في سر وفي علن … والعذر ممن يريد الشعر السلبا
الله أكبر كان الحق واضحة … قد جاز سالكها ومن له صحبا

تتمة قصيدة العلامة سكيرج بخطه في مدح المكتبة الكتانية وصاحبها (٢)



الباب الثاني:
في التَّعريف بالمدخل إلى كتاب الشفا
ومنهجي في العناية به

١- توصيف الكِتاب وتحليل مُحتواه.

٢- مصادره وموارده.

٣- توثيقُ نسبته إليه.

٤- ذكر من ذكَره له أو عرَّف به.

٥- أوهام تتَّصِل به.

٦- وصف نُسَخِه الخطيَّة.

٧- تاريخ تأليفه.

٨- تسمية الكتاب.

٩- عنايتي به.

١- توصيفُ الكِتاب وتحليلُ محتواه

كتابُنا هذا من جِنس العِلم الذي يُسمّيه الإمام المؤلِّف رحمه الله بعِلمِ الكُتُب، وقد ذَكَر في كتابه «تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألَّف في الكُتب» أن المدوَّنات في الكتب تنقسِم إلى قسمين:

القسم الأول: التَّدوين في الكُتب من حيثُ هي.

القسم الثاني: التَّدوين في الكُتُب المؤلَّفة في فنٍّ مخصوصٍ أو في كُتُبٍ خاصّة، أو في كُتُب مذهبٍ خاصٍّ أو فئةٍ خاصَّةٍ أو تَدوين الرَّجُل في مؤلفاته، وهو ما تُعورِفَ اليومَ على تسميَّته بعلم البِبْلوغرافيات.

ثم عرَّف بالكتب المصنَّفة في هذا الباب من القِسمَين الأوَّل والثّاني. انظر (ص٣٤٠-٣٩٦) إلا أنَّه لم يَذكُر ما له في هذا الباب مِن الجهود والمصَنَّفات الفَذَّة إلا كِتابه «فِهرِس الفهارس والأثبات ومُعجَم المعاجِم والمشيَخات» إذ أنَّ تاريخ تأليفه لكِتابه «تاريخ المكتبات الإسلامية ومن أَلَّف في الكُتُب» هو في حدود سنة ١٣٥٠ أو سنة ١٣٥١ كما في تاريخ نَسْخ العلّامة الحسَن بن عُمر الكتّاني للنُّسخَة الأَتَمِّ التي اعتمَد عليها المحقِّقان، فظَهَر أنَّ سبَب عدم ذِكرِه لكِتابنا هذا ضِمن قائمة الكُتُب التي عرَّف بها من كُتُب القسم الثّاني من عِلم الكُتُب هو تأخُّر تصنيف هذا الكتاب عن «تاريخ المكتَبات» بنحو تِسعِ سنوات.

ومن أعمال الإمام الحافظ في هذا الضَّرب من التَّصنيف كتابه «التآليف المولدية»[1]، وهو مِنَ المصنَّفات التي صنَّفها أيضًا بَعدَ هذا التّاريخ.

وهذه الكتُبُ الثَّلاثة خَيرُ مِثالٍ على الوَهم الكبير الذي وَقَع فيه الشَّيخُ عبد العزيز بن الحاج محمّد بن الصِّديق الغُماري في كتابه «تعريف المؤتَسي بتَرجمة نَفسي»[2]، حيث زَعَم أنَّ شَيخَ والده ومُجيزَه هو انقطع عن الإنتاج العِلمي بعدَ طبعِه لكتابَيْهِ «فهرس الفهارس» و«التَّراتيب الإدارية» وقوله

---

(١) نُشِر أوّلاً بمجلة الزَّيتونة بتونُس مُنجمًا في عِدَّة أعداد، ثُمَّ شُرِّفتُ بخدمته والتَّعليق عليه، ونشرِه في دار الحديث الكتانية سنة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٢) (ق١٩٩-٢٠١) بخطه.

رَجمٌ بالغَيْبِ، ومِن قَفْوِ ما لَيس له به علم، فقد بقِيَ الإمام المصنِّف يُفيد ويُصنِّف ويُحبِّر المصنَّفات الفريدة إلى قُبَيل وفاته بأُسبوع، ولم يَنقطِع البتَّة عن التَّصنيف مُدَّةَ عُمرِه الشَّريف، فتِلك شِنشِنةٌ معروفةٌ مِنه ومِن أخيه الأكبر الشَّيخ أحمد بن الحاج محمد بن الصِّديق، وهي إطلاق العبارات الموهمة الخاطئة دونَ تَثبُّتٍ ولا رَوِيّة.

ثم نعود للحديث عن كِتابنا؛ فكِتابُنا قد جعَلَه الإمام المصنِّفُ جامِعًا مانِعًا ماتِعًا في كُلِّ ما له اتِّصالٌ بكتاب الشِّفا، ولا بَأسَ بسِياق فهرسَة أبوابه وفصوله لتَعلَم المباحِثَ المطروقة فيه.

١. كلمة افتتاح.

٢. المقصود من كتاب الشفا.

٣. ثناء كبار الأئمة على كتاب الشفا.

٤. كلمة القاضي عياض نفسه عن كتاب الشفا

٥. بعض ما قيل في كتاب الشفا نظما من كبار أعلام الأندلس وبر العدوة.

٦. مصادره.

٧. من خرج أحاديثه.

٨. من شرحها من أهل المشرق.

٩. من شرحها من أهل المغرب.

١٠. من عرف برجالها.

١١. من اختصرها.

١٢. من ترجمها.

١٣. اهتبال الملوك بها.

١٤. من كان يحفظها من الأعلام.

١٥. من سمعها في مجلس واحد.

١٦. من كان من الأئمة يلازم تدريسها.

١٧. من كان يتحرى إسماع الربع الأخير منها.

١٨. ما انتقد منها.

١٩. من حاذاها.

٢٠. نسخها العتيقة الموجودة في بعض المكاتب العامة.

٢١. النسخ المدخرة منها للمكتبة الكتانية.

٢٢. كثرة اعتناء الناس بنسخ الشفا.

٢٣. الأبيات التي توجد في آخرها.

٢٤. خواصها.

٢٥. من أسندها.

٢٦. من صور إجازات الأئمة بها.

٢٧. من نظمها.

تنبيه: من خلال الاطّلاع على هذا الفهرس يتّضِح لنا أن النُّسَخ الخطيَّة التي أُتيحت لنا قد غطَّت جميع الفُصول المذكورة في هذا الفهرس،

إلا الفصلَ ما قبلَ الأخير، وهو الفصل رقم ٢٦ من صُور إجازات الأئمة بها، فلم يَرِد في النُّسَخ الأربع التي اعتمدنا إشارة إلى هذا الفصل.

٢- مصادِرُه ومَوارِدُه:

هذا الكتابُ ليسَ بِدعًا في سائر أعمال الإمام المصنِّف التي تَعكِس الاطِّلاع النّادرَ والقُدرة الغريبة العجيبة على استِخراج الفوائد من غَير مظانِّها ولا مَحالها، وهي عادةُ الإمام المصنِّف رحمه الله في كُتُبه وأبحاثه، وكِتابُنا هذا اعتمَد فيه الإمام المصنِّف على مصادرَ ومواردَ مُتعدِّدة من كُتُبٍ مطبوعةٍ ومخطوطةٍ ومصَوَّرات فوتغرافية، كانت تزخرُ بها مكتبته الزّاهية، ثمَّ إنه على عادته لم يُخلِ كتابَه من مُشاهداته ومُعايناته ومروياته، بل نَجد المصنِّف قد اعتمَد على طُرَر المخطوطات وما كُتِب في هوامِشها، وذلك كنقلِه لتعليق المعلِّق على نُسخة «الجواهر والدُّرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر» لتلميذه الحافظ السَّخاوي، وكنقله أيضًا من هامش نُسخَته النَّفيسَة من كتاب «أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض» للإمام أبي العبّاس أحمد المقّري رحمهما الله تعالى.

وأما اعتماده على مُشاهداته ومُعايناته فالكتاب طافِحٌ بهذا، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

قِسمٌ في حوادثَ ووقائعَ شاهَدها وعايَنها ووقعت له، فمنه: ما يتَّصِل بمن كان يحفظها، فقد حكى قِصَّةً وقعَت له في شبابه، ومن ذلك: الفصلُ الذي عقده للَّطائف المتّصِلة بكتاب الشِّفا، فكلُّه من هذا الباب.

والقِسم الأكثرُ وهو الكُتب المخطوطةُ، ونوادرُ النُّسَخ التي شاهد في رَحَلاته وجولاته العِلميَّة الكثيرة في مُختلف بلاد المغرب، والجزائر،

وتونُس، ومصر، والمدينة النبويَّة الشّريفة، ومَكّة المكرّمة، وغيرها من البُلدان التي دَخَلها، وقد اعتمَد أيضًا على فهارسِ وبرامِجِ عددٍ مِنَ المكتبات العالمية التي لم يتيسَّر له الدُّخول إليها.

٣- توثيق نِسبَته إليه

كتابنا هذا ثابتُ النِّسبَة لمصنِّفه بدلائلَ قوية كثيرة أكتفي ببعضها:

١- كون نُسخَة من نُسَخه الأربع التي اعتمدنا ما بخطه.

٢- جولان قلم المؤلف بخطه المعروف بالزيادة والتحشية والتصحيح في بقية نسخ الكتاب.

٢- تصريحه باسمه في آخر الكتاب، وفي ثناياه في مواطن عديدة.

٣- نسبتُه إليه في بعض المصادر وهي:

أ- فقد ذكر زيارته للمصنف بمكتبته وإلقاء ولد المصنف العلامة الأديب سيدي عبد الكبير قصيدة في الترحيب به وانه تعرض فيها لتقريظ نظم الشفا، ثم قال ما نصه: وقد توج هذا النظم بديباجة مهمة حضرة الشيخ الكتاني المذكور بما جعله مقدمة له في كراريس يحق بما جمعه فيها للنظم والمنظوم ولمؤلفيها التهاني[1].

ب - وقد سبَق في صَدر مُقدِّمتنا ذكر كلام صاحب المؤلِّف وتلميذه العلّامة الفقيه البحّاثة سيدي محمد بن أبي بكر التِّطواني السَّلاوي رحمه الله تعالى، ولا بأس بإعادة نصِّه هنا، وهو ما نقله عنه مُشافهةً العالمان السَّيّد عبد الرحمن، والسَّيّد محمد ابنا ولَد أخ الحافظ وتلميذه العلامة السَّيّد

---

(١) شبه رحلة إلى الجزائر (ص٣٤-٣٥).

محمد الباقر الكتاني رحمه الله تعالى في مقدِّمتِهما لمَولِد والدهما «روضات الجنّات في مولد خاتم الرسالات»[1]، ونصه:

نظم الشِّفا مخطوط، أخبرنا العلامة الجليل السيد محمد بن أبي بكر التِّطواني أبقاه الله أن للحافظ الكتّاني تقديمًا له في مجلد، أشاد فيه بكُلِّ الذين خدِموا الشِّفا، وهو عمَلٌ لم يُسبَق إليه ...

ب - النَّصُّ الثاني هو للأستاذ المؤرِّخ المقرئ عبد الله الجِراري الرِّباطي، وهو أحدُ الآخذين عن الحافظ بالإجازة والسَّماع في رحلته إلى فاس سنة ١٣٦٢، وأفرَد لرحلته كتابًا حافلا سمّاه «الرحلة الرّبيعيَّة إلى فاس العاصمة العلميّة»[2]، وقد استغرَق حديثُه فيها عن زيّارته للخزانة الكتّانية وصاحبِها وما أخذَه عنه، ووصف مكنونات الخزانة وفوائده التي قيَّدها عنه ومشاهداته في الخزانة من الصفحة الأولى إلى الصفحة ٨٠، ومما جاء فيها مما يتَّصل بالكتاب والتّعريف به قوله[3] بعد أن وصَف أصلَ المصنِّف الفريد من كتاب الشِّفا المسموع على ولَدِه والآتي وصفه بعد.

ومما برَهَن في الموضوع على عُلُوِّ رسوخ الشيخ - يعني الاستاذ الإمام الحافظ المصنف - في الاطِّلاع الممتاز أنَّه كَتَب على نظمِ الشِّفا للفقيه المؤلِّف الشّهير القاضي السَّيّد الحاج سكيرج تقريظًا غريبًا يُعَدُّ أطروحةً نادرةً حول كتاب الشِّفا في هذا العصر الجديد.

---

(١) (ص١٤) مطبعة الأمنية الرباط سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.

(٢) طُبِعت بعناية الأستاذ عبد المجيد بنجلالي سنة ٢٠٠٧ عن منشورات النادي الجراري.

(٣) (ص٥٣-٥٤).

تناول فيه عِدَّة نُسَخِ الشِّفا العتيقة الموجودة في خزائن العالم، ثمَّ مَن كَتَب عليها، ومن أفرد رجالها بالذِّكر، سواء المغاربة أو المشارقة، وعلى مَن خَرَّج أحاديثها، وعلى أسانيدها، وعلى حكمها، وعلى غير ذلك من نوادر المبتكرات التي استنتَجَ أبو الإسعاد الكَتب على هوامشها كِتابة مُدهِشةً كانت وحدَها آية الآيات في الإبداع اه.

قلت: ونحوه بالنص في كتابه «مذكراتي» انظر (٢/٢٩٢).

ت - قلت: وقد ورد ذكره أيضًا في مُقدِّمة الأستاذ محمد الراضي كنون لكتاب «مورد الصفا في محاذاة الشفا» ص٣٨، إلا أنه لم يستَوْفِ خبَره، وكأنَّ سبَب ذلك عدم وقوفه على أثره.

٤ - أوهام تتَّصِل به

من الأوهام المتّصِلة بالكتاب ما وَقَع في البَحث المنشور في «مجلة مرآة التراث» بعنوان: الشروح والمؤلفات الموضوعة على كتاب الشفا للقاضي عياض اليحصبي، بحث ببيلوغرافي للدكتور طارق بن محمد طاطمي[1] قولُه لدى ذِكرِه لنَظم الشِّفا «مورد الصَّفا» للعلامة سكيرج: نظَمَ فيه كتابَ الشفا لعياض في ٧٧٤٧ بيتًا، وفَرَغ من نظمها في يوم ٢١ ربيع النبوي عام ١٣٥٠هـ، وهو تقريظٌ مفيدٌ وغريبٌ، تناول فيه عَدَّ نُسَخ الشِّفا العتيقة الموجودة في خزائن العالم.

ثم من كَتَب عنها، ومن أفرد رجالها بالذِّكر، سواء المغاربة أو المشارقة. وعلى من خرَّج أحاديثها، وعلى أسانيدها، وعلى حكمها، وغير

(١) نُشر في العدد الثاني ربيع الأول ١٤٣٣هـ/فبراير ٢٠١٢ (ص١٣٤-١٥٧).

ذلك، منه نسخةٌ مرقونةٌ في الخزانة العامَّة بالرباط تحت رقم (د٣٨٤٦) وطُبع بتحقيق محمد الراضي كنون، في آخرها تقاريظ للمنظومة لكُلٍّ من عبد الكريم بنيس، ومحمد بن أحمد المنوزي الحسني، وبعض أدباء السّودان، مطلعها:

حمدًا لمن باسمه الأسما قد انفرَدا ... واختَصَّ بالملك فهو لم يزل صَمدا
ما دونه منتهى للطالبين ولا ... وراءه مَطلب لمن له قَصدا

وختمها بقوله:

بحمد إلهي تَمَّ نظمي للشفا ... وأرجو به من سيِّد الرُّسل جائزة
وما هي عندي غير نظرة وجهه ... نفسي أن تنظُره لا شك فائزة

اهـ نصُّ ما ذكره الدُّكتور، وفي كلامه غَلَطٌ فادح، وهو نِسبَة كتابٍ لغَير مُؤلِّفه، فقد نَسَب كتابَنا هذا للعلّامة سكيرج، وجعَله من جُملة نظمِه للشِّفا، وهذا خَبطٌ وخَلطٌ عَجيب صُدوره في مجلَّةٍ علميَّةٍ تراثيّة مُحكمَة، وكان يُمكن أن يعتذر للدُّكتور أنَّ سَقطًا وقَع في حال الطِّباعة، إلَّا أنَّ الباحث رَتَّبَ الأعمال التي ذكرها بأرقام مسلسلة متتابعة.

فقوله عن «مورد الصَّفا»: وهو تقريظ مُفيد وغريب؛ غريبٌ حقًّا، فهو يُحيل على كتابٍ مطبوع، وقد وَضَع صورة غِلافه في مقالته وبحثه، والحالُ أنّ الكِتاب الذي أحال عليه ليس فيه شيء مما يذكره، فلم يتعرَّض العلامة سكيرج لنُسَخِ الشِّفا الموجودة في خزائن العالم، ولا على باقي ما ذَكَره، وهذه صِفَةُ كِتابِنا ونعته، وهو الذي نعنى اليوم بإخراجه وإبرازه كما تَراه وسَتراه، فوصفه غير مُطابقٍ لموصوفه، ولا أدري مصدرَ هذا الوَهْمِ والكتاب بَينَ يَديه، وليس فيه شيءٌ ممّا ذكَره ولا فيه التّعرُّض له بكلمةٍ واحدةٍ، فقد خلَطَ بينَ الكِتاب المقرظ والكتاب المقرظ به.

وأما قوله: ختمها بقوله:

بحمـد إلهـي تَـمَّ نظمـي للـشفا وأرجو به من سيِّد الرُّسل جائزة

وما هي عندي غير نظـرة وجهـه نفـسي أن تنظُـره لا شـك فـائزة

فليس بصحيح، فكلُّ النَّظم على رَوِيٍّ واحد وقافية واحدة هي حرف الدال، والبيتان اللذَيْنِ ذكرهما هما بيتان كَتَبَهُما النّاظم على نسخَتِهِ لدى إتمامه لنظم الشفا كما في مقدمة محقِّق الكتاب[1].

٥ - وصف نُسَخِه الخطية

وقع لي بحمدِ الله من الكِتاب أربعُ نُسَخٍ، فثِنتان منها من إبرازة أُولى مُختصَرة، وثِنتان من الإبرازة الأخيرة الموسَّعة على ما وصفناه في تحليل الكتاب ومُحتوياته، وما ذكرناه من أبواب الكِتاب وفُصوله هناك، وهاك وَصف النُّسَخ التي وقعت إلينا من الكتاب:

١- النُّسخة الأم المعتمدة في التَّحقيق: وهي نُسخَةٌ تَحمِلُ رقم ٤٧٠ في الخزانة الملكية العامرة بمراكُش، وتَقع في ١٢٤ ورقة، وفي أولها (٢ق) فهرِسٌ بخطِّ الإمام المصنِّف لعناوين فصول الكتاب، وعلى طُرَّة الفهرس بخطِّ شيخِنا السّيِّد عبد الرَّحمن حفظه الله تعالى تعليقٌ مَفادُه أنَّ الفِهرس بخَطِّ والده، وأنَّهُ يأتي بخَطٍّ آخر، وفي هوامش النُّسخَة إضافات عديدة بخطِّ الحافظ الإمام المصنِّف، وأوراق كثيرةٌ كاملةٌ مضافةٌ ومُلحقةٌ بخطِّ الحافظ المصنِّف، وهي الأوراق التّالية أرقام صفحاتها:

١٢، ١٨، ١٩، ٣٦، ٣٨، ٤٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢،

---

(١) (ص٣٦).

٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢

وبعضُ النُّسخَة بخطِّ شيخنا السّيِّد عبد الرحمن حفظه الله، وهي الأوراق ذات الأرقام: ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦.

وأمّا ناسِخ الأصلِ فلم يُسَمِّ نفسه في آخر ما وصل إليه، ولم أقف على تسميَّته، وسألت شيخنا السَّيّد عبد الرحمن عنه، وأطلعته على النُّسخَة فلم يتبيَّنه، ولم يتذكر صاحبه، وقد انفرَدَت هذه النُّسخة بعددٍ من المباحث والإضافات لم يُشرِكها فيها بقيَّة النُّسَخ.

٢- والنُّسخَة الثّانية: وتَحمِل الرَّقم ٤٧٤ في الخزانة الملكية العامرة بمراكش، وهي مُسَوَّدَةُ المصنِّف الإمام بخطِّه الشَّريف، وتقع في ٦٣ ورقة، ومُلحَقٌ بها ثلاثُ ورقات، هي من ضِمنَ الوثائق المتَّصِلة بالكتاب، فَوَرَقَتان منها هي من نُسخَة مصريَّة للشِّفا تضمَّنَت أبياتًا للإمام محمَّد الأمير الكبير المالكي رحمه الله، وورقَةٌ فيها نصّ رسالة للعلامة السَّيّد عبد الرحيم بن الحسن الكتّاني رحمه الله حول نُسخَة الجامع الأعظم لمدينة تازى من الشِّفا التي حبَّسَها السُّلطان أبو عِنان المريني رحمه الله تعالى، وباقي النُّسخَة مكتوبة بخطِّ المصنِّف الإمام الحافظ بخطٍّ أسودَ على دفترٍ مدرسي حديثٍ، ورقُه أصفرَ مُسَطَّر إلا بعضَ الأوراق التي كُتِبت على ورقٍ آخرَ أبيض بخطٍّ أزرق.

وهـذه النُّـسخة مـن الإبـرازة الثّانيـة تحتـوي علـى إضـافاتٍ مُهمَّـةٍ وإلحاقاتٍ ليسَت في الأصل السّابق، بل تنفَرِد هذه النُّسخة به، وذلك يتراوح بين فُصولٍ كاملةٍ كأسانيد المصنِّف إلى كتاب الشِّفا، وكردِّه على المقال المنشور في «مجلة المنار»، فقد انفرَدَت به، وبين بعض الإضافات والإلحاقات التي زادها المصنِّف في ثنايا نص الكتاب.

وأما النسختان الباقيتان فهما من الإبرازة الأولى، وهذا وصفهما:

١- الأولى منهما تحت رقم ٤٧٣، وتقع في ٣٩ ورقة، وفي هامش الورقَة الأُولى منه - ورقة العنوان - فائدةٌ بخطِّ الإمام الحافظ، وقد كُتِبت فصول الأبواب وعناوين المسائل بالحُمرَة ضمن إطار.

٢- والثانية تحت رقم ٤٧٤، وتقع في ٤٤ ورقة، وقد كُتِبت على دَفتر مدرسي حديث بالمداد الأزرق، وفي ثاني وثالثِ ورقةٍ منها فِهرس الكِتاب، وهو فِهرس للإبرازة الثانية، وفي الفهرس المذكور زيادةٌ بقَلَم الإمام المصنِّف، والورقةُ الثّامنةُ والتّاسعةُ منها وهي فصل «المقصود من كتاب الشفا» كلُّها بخطِّ المصنِّف، وعلى النُّسخَة تصحيحاتٌ وزياداتٌ بخطِّ الإمام المصنِّف رحمه الله تعالى.

٦- تاريخ تأليفه

يؤخَذ من خاتمة هذا السِّفر النّفيس أن المصنِّف رحمه الله تعالى أنهاه سنة ١٣٥٩ في ٢٥ محرم منها، وهذا التّاريخ في حقيقة الحال للإبرازة الأولى، إذ أنَّ المصنِّف بقيَ يزيد فيه ويُضيف إليه ما تجدَّد من المعلومات والفرائد التي تتَّصِل بموضوع كتابه إلى بعد هذا التّاريخ بمدّة، وهذا واضحٌ في الكتاب في مواطن منها صَراحةً، كنقلِه خبرَ ولادة ابن العَلامة الشّيخ

محمد الفاضل بن عاشور وتسميَّتِه له بعياض، وتاريخ ذلك سنة ١٣٦٦، وهناك مواطنُ أُخَر من الكتاب من المؤكَّد أنها كُتِبت بعد ذلك بخطِّ المصنِّف الذي خطَّه بها من خُطوطه المتأخِّرة في خاتمة حياته العامرة رحمه الله تعالى.

٧- تسمية الكتاب

ارتأيت أن أسمي الكتاب باسم يطابق واقعه ومحتواه والاسم الذي اخترته للكتاب من اجتهادي وتقديري هو كتاب المدخل إلى كتاب الشفا وقد صوغ لي ذلك أمور أن المؤلف لم يبقه على صورته الأولى التي كتب عنوانها في غلاف النسخ الخطية بل بقي يضيف إليها وزيد ويحرر إلأى أن توسع الكتاب وخرج عن حد أن يكون تقريظا أو تقديما لكتاب بل أراده مؤلفه جامعا مانعا لكل ما يتصل بكتاب الشفا الشريف من جميع جوانبه العلمية والتاريخية وغيرها لذلك أرتأيت تسميته بالمدخل إلى كتاب الشفا مشيرا إلى أنه في أصله مقدمة لكتاب نظم الشفا بين قوسين.

٨- عنايتي به

كنتُ كما سَبَق ذكره في المقدِّمة شديدَ الشَّوقِ لهذا السَّفَر والوقوف عليه، فلمّا مَنَّ الله عليَّ بالظَّفَر به على يَدِ أخي الكريم فضيلة الشَّريف الدُّكتور حمزة بن علي الكتّاني حفظه الله سارعت إلى الانقطاع له، وناسَبَ ذلك حلول شهر ربيع النَّبوي الأبرَك لسنة ١٤٣٦، فانقطعتُ له في غالب الأيّام والليالي مِن هذا الشَّهر الفَضيل، وكان عمَلي فيه كالتالي:

١- قابلتُ المنسوخَ الذي قام بنسخِه الأستاذ عبد الهادي جَمعون جزاه الله خيرًا مرَّتَين على الأصلين التامين.

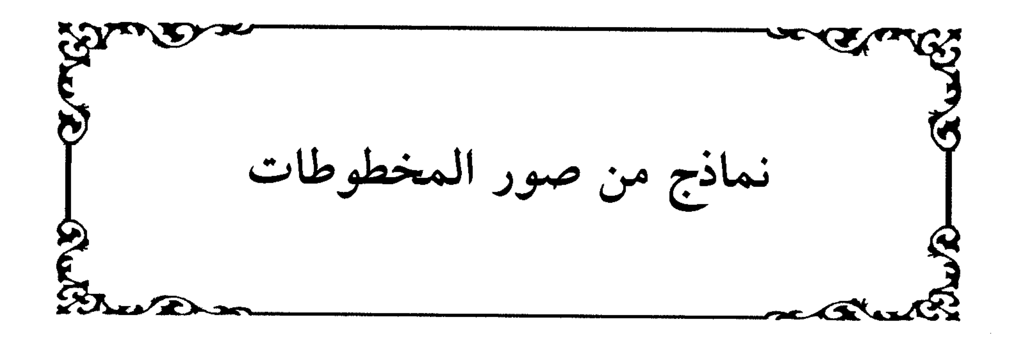
٢- خَرَّجتُ أحاديثه باختصارٍ بالِغٍ مُكتفيًا بالتَّخريج من المصدَر الذي عزاه إليه المصنِّف.

٣- وثَّقتُ نقولَه وعَزوتُ أبحاثَه لمظانِّها ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً، فإن كان الكتاب مخطوطًا وطالَتهُ يَدي وثَّقتُ النَّقلَ منه، وإن لم يَتَيسَّر لي الوُقوف عليه أشرتُ إلى مَحلِّ وُجود الكتاب الذي نَقَل منه المصنِّف في مكتبته لصُعوبة الاستفادة من رصيد المكتَبة الوطنيّة، واقتصار الاطلاع على ما صُوِّرَ ميكروفيلميًا، وهو الأقل، فإن لم يكن الكتاب مُصوَّرًا وهو الأغلب فدونه خرط القتاد.

٤- ألحقتُ الإضافات التي أضافها المصنِّف في مَحالها المناسِبة في مَتن الكِتاب، وما لم يتبيَّن لي مَحلُّ وضعه جعلتُه في فصلِه المتَّصِل به آخرَ الفصلِ، مع الاكتفاء بالتَّنبيه على ذلك هنا دون تِكرار ذلك في كُلِّ مرَّةٍ ورَدَت فيها تلك الزّيادات اختصارًا واقتصارًا على هذا التنبيه.

٥- صنَعتُ للكتاب فهارس تفصيليَّة، هي فهرس المباحث، وفهرس المصادر والمراجع.

وختامَا هذا جُهد المقِلِّ، أسأل الله أن يتقبَّلَه ويجعلَه من العمل الصّالح المتقبَّل لديه، وأن يجعله زُلفى لنيل شفاعة سيِّدنا المصطفى ﷺ، وأن يكون إخراجي له بهذه الصِّفة مما يرضى بها الإمام المصنف، وعلى الله قصدُ السّبيل، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.



نماذج من صور المخطوطات

٦ من شرحها من أهل المشرق

٧ من شرحها من أهل المغرب

٩ من اختصرها

١١ أسانيد المؤلف بها

هذا الفهرس من خط الشيخ عبد الحي رحمه الله ويأتي في الصفحة الرابعة بخط الخ

الورقة الأولى من نسخة الأم

اوجبه يشنع عليه وجعل الشاعر الاول يشنع عليه
هـ واصله صح بلغ للعالم ابي القيم بما
صلاة لا مصطفى مع الصلاة على سيدنا نام ص ٣٦٩
وقال الخفاجي بالنع الشاجية في الشرح على المقنع
وتخلص فيها فقال حتى قال بعضهم: هذا
المشنع انما يشنع على نفسه لا على الشاعر اذ هو
من الكلام من سهو مذهبه ولم يشعر بذلك
وقد قال بعض المحققين: لو لم يشعر بذلك
لكان هذا التشريد
وقال العبادي: اني مجاور في تعريد ابو ادريس
واني هائم الى رسول الله عيره هـ
وممن الكمال والكتب من هذا المعنى ابو الحسن
علي الحريشي في شرحه على الشفا في هذا قال
ما لدله حد تنلي شيخنا

صح توفي الشهاب والد الكاتب

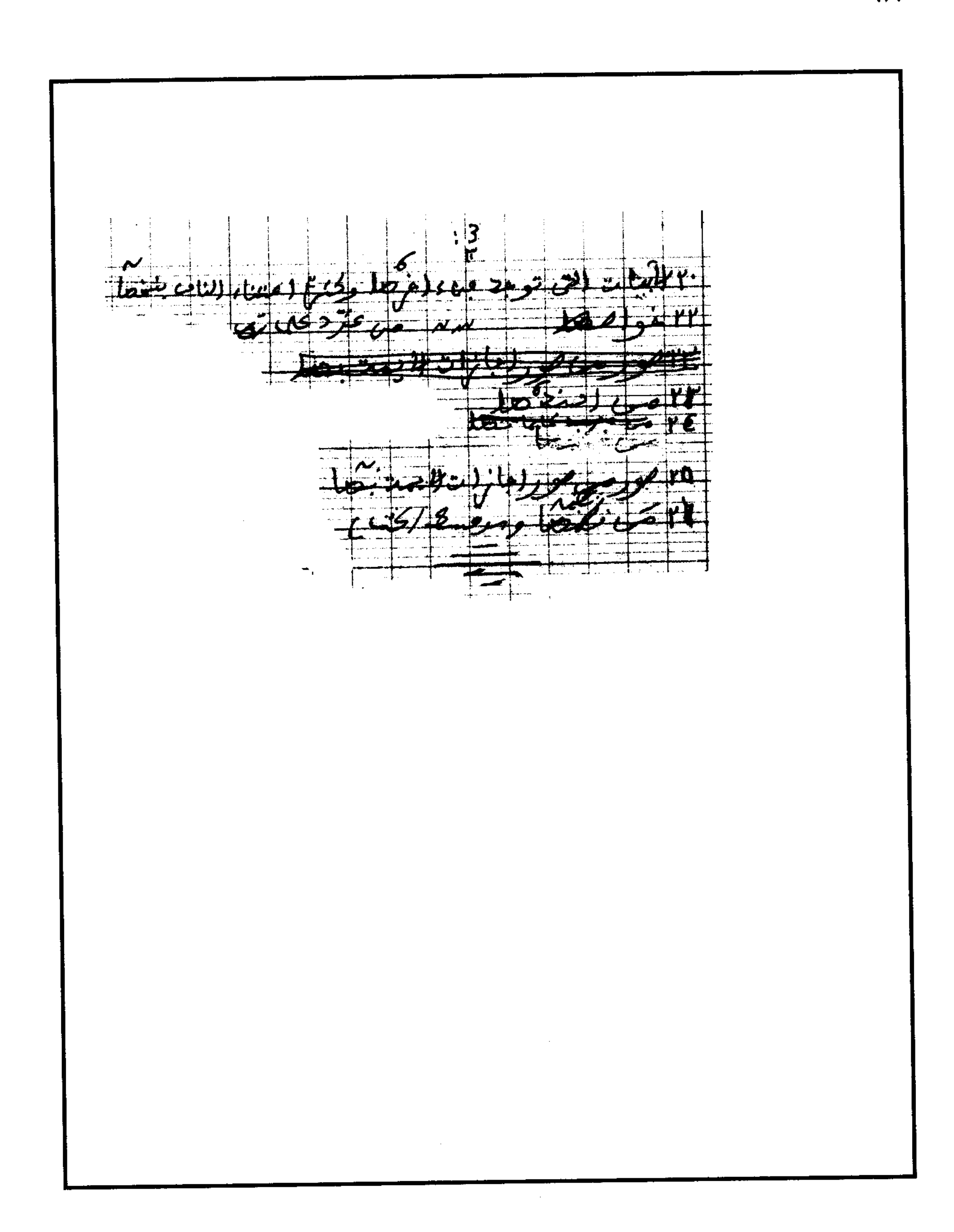
الورقة الأخيرة من نسخة الأم

الورقة الأولى من نسخة (ب) التي بخط الإمام المصنف في المسودة

ختام النسخة (ب) بخط الإمام المصنف

الفهرس

الفهرس من النسخة



٢٠ الآيات التي توجد [illegible]

٢٢ [illegible]

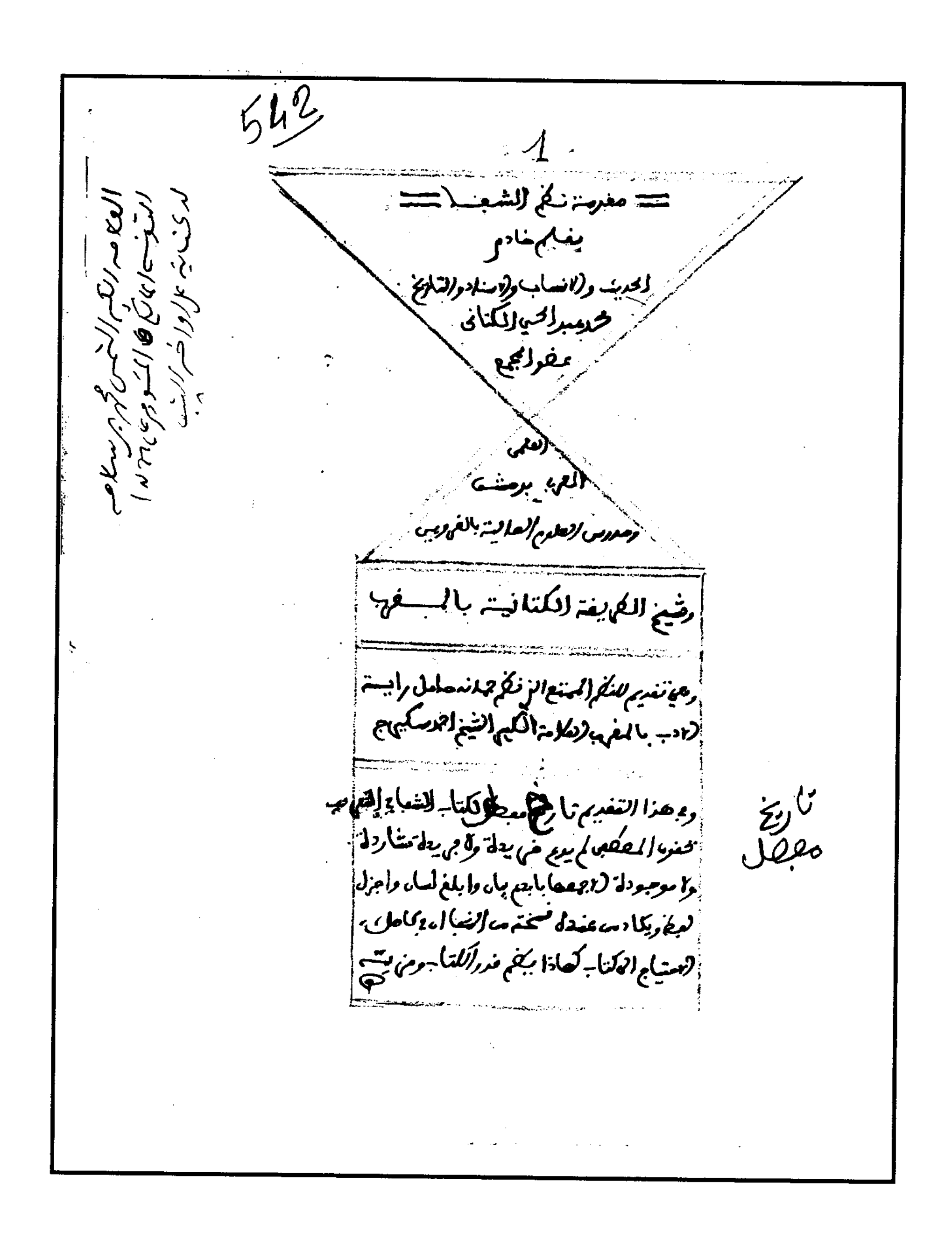
٢٣ [illegible]

٢٤ [illegible]

٢٥ [illegible]

٢٦ [illegible]

تتمة الفهرس من النسخة المختصرة



غاشية النسخة الرابعة وهي النسخة المختصرة



مقدمة نكت الشعرا
بقلم
خادم الحديث والأنساب والإسناد والتاريخ
محمد عبد الحي الكتاني
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
ومدرس العلوم العالية
بالقرويين وشيخ الطريقة
الكتانية بالمغرب
وهي
تقريظ للتأليف الممتع الذي نظم حامل راية
الأدب بالمغرب العلامة الكبير الشيخ
القاضي احمد سكيرج
وفي هذا التقريظ تاريخ مفصل لكتاب الشعرا
في التعريف بحقوق المطلع لم يدع جريدة
ولا فريدة شاردة ولا موجودة إلا جمعها
بأبدع بيان وأبلغ لسان وأجمل
لفظ وبيان وعذوبة
لسحر الشعرا أن يكون
في كمال الاحتياج الى الكتاب
كهذا يكون صدر
الكتاب
وعزته

غاشية الكتاب من النسخة المختصرة

١. كلمة افتتاح.

٢. المقصود من كتاب «الشفا».

٣. ثناء كبار الأئمة على كتاب «الشفا».

٤. كلمة القاضي عياض نفسه عن كتاب «الشفا».

٥. بعض ما قيل في كتاب «الشفا» نظمًا من كبار أعلام الأندلس وبر العدوة.

٦. مصادرها

٧. من خرج أحاديثه.

٨. من شرحها من أهل المشرق.

٩. من شرحها من أهل المغرب.

١٠. من عرف برجالها.

١١. من اختصرها.

١٢. من ترجمها.

١٣. اهتبال الملوك بها.

١٤. من كان يحفظها من الأعلام.

١٥. من سمعها في مجلس واحد.

١٦. من كان من الأئمة يلازم تدريسها.

١٧. من كان يتحرى إسماع الربع الأخير منها.

١٨. ما انتقد منها.

١٩. من حاداها.

٢٠. نسخها العتيقة الموجودة في بعض المكاتب العامة.

٢١. النسخ المدخرة منها للمكتبة الكتانية.

٢٢. كثرة اعتناء الناس بنسخ «الشفا».

٢٣. الأبيات التي توجد في آخرها.

٢٤. خواصها.

٢٥. من أسندها.

٢٦. من صور إجازات الأئمة بها.

٢٧. من نظمها.

المدخل إلى كتاب الشفا

وهو تاريخ مفصل لكتاب الشفا وما كتب حوله ونسخه وعناية الأمة المحمدية به

تأليف

الإمام الحافظ لسان السنة الغراء

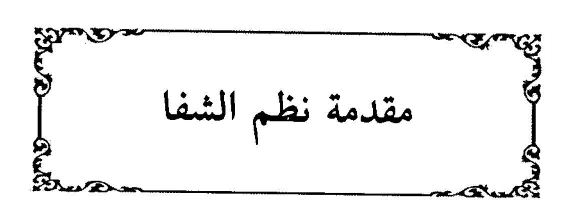
السيد الشريف محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٨٢هـ

اعتنى به وقدم له

خالد بن محمد المختار البداوي السباعي





مقدمة نظم الشفا

بقلم: خادم الحديث والأنساب والإسناد والتاريخ؛ محمد عبد الحي الكتاني، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، ومدرس العلوم العالية بالقرويين، وشيخ الطريقة الكتانية بالمغرب.

وهي تقديم للنظم الممتع، الذي نظم جمانه حامل راية الأدب بالمغرب؛ العلامة الكبير، الشيخ القاضي أحمد سكيرج، وفي هذا التقديم تاريخ مفصل لكتاب «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى»، لم يدع خريدةً ولا فريدةً شاردةً ولا موجودةً إلا جمعها، بأبدع بيانٍ وأبلغ لسانٍ وأجزل لفظ، ويكاد مَن عنده نسخة من الشفا أن يكون في كامل الاحتياج إلى كتاب كهذا، يظهر قدر الكتاب ومزيته.



وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين.

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد، فقد كتب الله على العظيمِ أن تشتغل به الأفكار، وتتبع منه الآثار، ويحفظ الخلق عنه الإقبال والإدبار، والتبشير والتخويف والأخبار، ويستوصفوا حِليته وخِلقته وجلسته، ويبحثوا في أصوله وإن عَلَوا، وأقاربه وإن دَنَوا.

ولما كان سيدنا محمد ﷺ قد تبوأ الذِّروة العُليا في العظمة وأربى بما قَلَبَ العالم ظهرًا لبطن، فجعل السَّادة سوقة والسوقة سادة، ووضع الوفاق بعد طول الشقاق، وأتى بخير الأخلاق، ومهَّد لأمته الشريفة طُرُق الاسترزاق، ووضع من ضروب العلم وأنواع المعارف ما سبق به السباق، واخترق السبع الطباق، إلى غير ذلك من الأحوال التي ظهر بها، والأقوال التي ساد بها ما ضربت به الطبول في سائر الآفاق، ولم يبق موضع في العالم إلا وقامت له فيه أسواق، واستفرغ ما في الآفاق من دموع، وشرع من طرق الآداب ما فاق به كل تابع ومتبوع.

لا جرم كثرت في شأنه وأصوله وفروعه وأقواله وأحواله من التصانيف ما لو جمع في القرن العاشر أسماء المؤلفات المفردة له لكان

في عشرين مجلدًا فأكثر، كما قاله الحافظ السخاوي في كتابه: «الإعلان»[١] (ص٩٢).

ولا شك أنه صُنِّفَ من التاسع إلى الآن ما يربو على ذلك ويزيد[٢].

ومن تتبع ذلك تحقق بأنه لم يتفق لِعَظِيمٍ في الدنيا من بني البشر ما اتفق له ﷺ من هذه الناحية، بل من جميع نواحيه.

فهل اتَّفق لرجلِ دين من الأديان أو لرئيس شعبة من شعب العالم أن وُضع في سيرته عشر معشار هذا العدد من المصنفات؟

لا لا والعرب والعجم بالباب.

ولما كان لكتاب **«الشفا في التعريف بحقوق المصطفى»** للقاضي أبي الفضل عياض من الشفوف والاعتزاز ما حيث ذكر أو حضر أو قرئ وقع الاضطراب والاهتزاز، من خشوع قلب، واطمئنان لب، وميلان

---

(١) الإعلان بالتوبيخ، نشرة حسام الدين القدسي (ص٩٢).
(٢) قال المؤلف في كتابه التآليف المولدية بعنايتي (ص١٤): فإذا زدت عليه ما كتب بعده في هذه القرون الأربعة انجلى الأمر على حقيقة ما ذكرناه، وإذا أردت مثالًا يوقفك على ما وراءه، فإن عائلةً واحدةً بالمغرب الأقصى هي العائلة الكتانية اتفق لعدد من أفراد علمائها الاشتغال بالتدوين في الشؤون المحمدية، ومنهم من كتب في ميلاده عليه السلام، ومنهم من كتب في علمه، ومنهم من كتب في نظام حكومته، ومنهم من كتب في شيبه وخضابه، ومنهم من كتب في أكله ولباسه، ومنهم من كتب في شمائله، وغير ذلك مما يجتمع منهم لهم خاصة قريب من مائة مصنف، يجتمع منها عدة مجلدات ضخمة.

روح، وانشقاق روح وريحان، وتأثير في الأذهان، وشغف وتوقان، واحتراق قلب مثلوج بالإيمان؛ ما أصبح به كتاب الشفا ثاني كتاب بعد كتاب الله لا يخلو منه بيتٌ أو مكانٌ لمسلم في مشارق الأرض ومغاربها.

كِتَابُ الشِّفَا شِفَاءُ القُلُوبِ وَحَسْبُكَ قَوْلِي كِتَابُ الشِّفَا
تَضَمَّنَ أَخْبَارَ خَيْرِ الوَرَى وَهَادِي البَرِيةِ وَالمصْطَفَى

تؤخذ عنه سيرة الرسول وهديه النبوي، كما تتلقف منه فصاحة التركيب[1] وسلامة التعبير وواجب التقدير، كما يهتدى به في مدلهمات الفرق بين ما للخالق والمخلوق من صفات القِدم وسمات الحدوث، كما يتعلم منه فحص الحقائق وإيضاح الطرائق في مشكلات الآي والأحاديث ما أصبح به كتاب «**الشفا**» فارس السباق، وخير خريت في المهَامِهِ الفيْح التي تحار فيها القطا، وتتأخَّر فيها فطاحل العرفا، كما يبعث الشوق الساكن والحب الكامن لأشرف الأماكن؛ تلك العرصات الحرمية والرحاب المكية والمدنية، إلى ما فيه من تحرير الفقه والأثر وسني الخبر، مع ما حرر وحبر من أسانيد المتون، ومتون الأسانيد، وطرق

---

(١) قال الإمام الحافظ المؤلف في وصيته لتلميذه العلامة السيد محمد المنتصر ابن محمد الزمزمي ابن الإمام محمد بن جعفر الكتاني رحمهم الله تعالى، (ق٢) وقد كتبها له إبان توجهه للديار المصرية لطلب العلم سنة ١٣٥٣ ما نصه: «وإني لأعجب كل العجب ممن يريد أن يتدرب على الفصاحة والطلاقة ولا يتلقى أساليب النطق والتعبير عن ممارسة كلام أفصح من نطق بالضاد، وممن يريد أن يأخذ الانسجام وحسن التوقيع من ممارسة كلام الحريري، ولا يأخذه من مزاولة شفاء القاضي عياض، فإنها تكسب البلاغة وقوة الإيمان» اهـ ومن خطه نقلت.

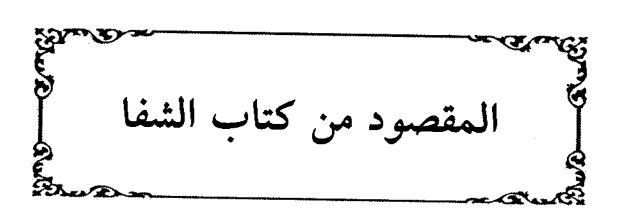
النقد والتخريج، وعلا فيه من الأسانيد، وساق وحبر من طرق السماع والإجازة، وحبر من الأبحاث الممتازة، فجزاه الله عن هذه الأمة ما يستحق من ضروب الإعزاز، كما أعز وأكبر من نبي الحجاز، عليه أفضل الصلاة وأنماها، وأشرفها وأزكاها.

ولقد قام بنظمه على أبدع شكل وأرفع طراز؛ حامل راية الأدب باليمين، صاحب الفضل المكين، والْموتَى من السحر الحلال ما يعد عين الدُّر الثمين؛ القاضي العلم، الركن المستلم، الحب الموافي والصديق الغير المجافي، الثابت في الوعد، الصادق في العهد، العلامة الكبير الصوفي الممتاز، **أبو العباس السيد أحمد سكيرج**(١) أدام الله إسعاده وأبّد إمداده.

ولما كمُل بدر تمام هذا النظم الممتع فصار قمرًا، طلَب مني أن أقدم نظمه المذكور للناطقين بالضاد، فانتهزت فرصةً جمعت فيها بعض ما يدل على اهتبال علماء الأمّة في مشارق الأرض ومغاربها بكتاب الشفا، ورصفت ذلك على تراجم، هي حلى المعاصم وتيجان العرب والأعاجم، فأقول وبالله أستعين:

---

(١) في مقدمة عنايتنا بالكتاب ذكر ما كان بين الإمام المصنف والعلامة الناظم من الصلات العلمية والأخوية بتفصيل.



المقصود من كتاب الشفا

قال الشيخ النظار أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي[١] في شرحه على الدلائل[٢] لدى قول الشيخ الجزولي[٣]: «اللهم صل على الموصوف بالكرامة»[٤]، أي: كرامته ﷺ على ربه عز وجل، ووجوه كرامته عليه لا يحاط بها، وهي مقصود كتاب الشفا، وخصوصًا القسم الأول، فإنه تضمن بيانَ ما ورد في الكتاب العزيز من ثناء الله عليه، وإظهاره عظيم قدره لديه، مما جاء مجيء المدح والثناء، وتعداد المحاسن كوصفه

(١) ولد سنة ٩٨٨، وتوفي سنة ١٠٥٢، صاحب مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن. ترجمته في: نشر المثاني (٢-١١)، وعناية أولي المجد (ص٢٩-٣٢)، وسلوة الأنفاس (٢-٣٥٢/٣٥٤).

(٢) مات قبل إتمامه كما في سلوة الأنفاس (٢-٣٥٣) ونسخة المؤلف منه في مكتبته العامرة تحت رقم: ١٥٣٢ك، ومنه نسخة بالمكتبة الحسنية تحت رقم: ٣٩٩٤ كما في كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية (ص٢٥٢).

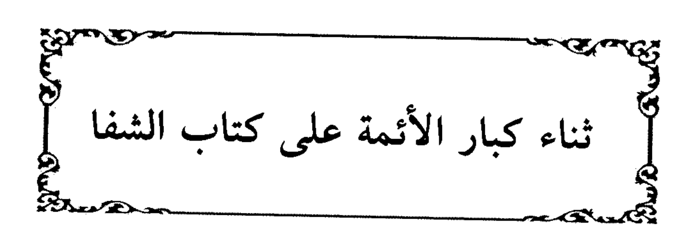
(٣) الإمام العارف بالله محمد بن سليمان بن داوود بن بشر الجزولي السملالي، ولد سنة ٨٠٧، وتوفي سنة ٨٧٠. أفردت ترجمته بالتأليف، ومن مصنفات الإمام المصنف: سلاسل البركات الموصلة بدلائل الخيرات، وهو من جملة ما لم نقف عليه من تراثه. الضوء اللامع للحافظ السخاوي (٧/٢٥٨ - ٢٥٩)، وممتع الأسماع (ص٢-٣٣).

(٤) دلائل الخيرات (ص١١٩) مع الدلالات الواضحات للعلامة القاضي يوسف النبهاني.

بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة، وما ورد في خطابه إياه مورد اللطافة والمبَرَّة، وما ورد من قسمه تعالى بعظيم قدره، وقسمه جل اسمه ليحقق مكانته عنده، وما ورد مورد الشفقة والإكرام، وما أخبر به تعالى من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء، وإعلامه تعالى خلقَه بصلاته عليه وولايته، ودفع العذاب بسببه، وما تضمنته سورة الفتح من كرامته، وما أظهره في الكتاب العزيز من كرامته عليه، ومكانته عنده، وما خصّه بذلك من سوى ما انتظم مما ذكرناه.

وتضمن أيضًا بيان تكميل الله له المحاسن خَلقًا وخُلقًا جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقًا، وما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته، وما خصّه به في الدّارين من كرامته مما جاء يذكر مكانته عند ربه بالاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل والسيادة، وما خصَّه به في الدنيا من المزايا والرُّتَب، كتفضيله بما تضمنته كرامة الإسراء من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء، والعروج به إلى سدرة المنتهى، وما رآه من آيات ربه الكبرى، وتفضيله بالمحبة والخلة، وما له من الأسماء، وما تضمنته من فضيلته وتفضيله في القيامة بخصوص الكرامة والشفاعة والمقام المحمود في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة، والكوثر والفضيلة.

وتضمن أيضًا: ذكر ما أظهره الله على يديه من المعجزات، وشرفه به من الكرامات، ﷺ اهـ كلام أبي حامد الفاسي الملخص من طالعة الشفا.



ثناء كبار الأئمة على كتاب الشفا

لَذَّ لي قبل أن أصدر بتعداد من مدح الشّفا من الأئمة أن أحكي عبارةً وقعت للإمام فخر الأمة؛ التقي السبكي في كتابه «شفاء السقام»[١] ص١٢٩، فإنه قال: «أمّا القاضي عياض فناهيك به نبلا وجلالة، وثقة وأمانة، وعلمًا ومجمعًا عليه» اهـ

وناهيك بقول السبكي مجمعًا عليه من إجماع.

وقال فخر الأندلس وإفريقية بقية الحفاظ ابن الأبار في التكملة[٢] حين جرى ذكر ما خالف فيه عياض غيره: لعياض بالحفظ الشهرة، وفي هذا المعنى الأثرة. (ص٦٣٥ ج٢) طبع مجريط[٣].

وفي أول «كتاب الأنوار[٤] في آيات النبي المختار»، لعالم الجزائر ومحدثها، ومسندها، وبركتها، أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي

---

(١) شفاء السقام (ص٣٤٩).

(٢) ٣/٢٤١. د بشار.

(٣) كانت الطبعة المدريدية من كتاب الصلة ناقصة، إلى أن تكرم الإمام المؤلف بإمداد العلامة محمد ابن أبي شنب الجزائري رحمه الله، والمستشرق الفرنسي ألفريد بيل بأصل نفيس من مكتبته يتمم القسم الناقص من الكتاب، فتم نشره بالجزائر سنة ١٣٢٧هـ/١٩١٩م، ولهذا الخبر تفصيلٌ ذكرته في كتابي: تاريخ المكتبة الكتانية.

(٤) (١/١٦٩).

الجزائري[١] المتوفى ٨٧٥: اعلم أن كتابي هذا لم أجمعه لمنكر النبوة، ولا الطاعن في معجزة حتى أحتاج لذكر الأدلة، وإنما قصدت ما قصد عياض في الشفا، من تأكيد محبة أهل الإيمان لنبيهم سيد ولد عدنان، إلى آخره. وهو كتابٌ جامعٌ في مجلد، موجودة منه نسخة في المكتبة الكتانية[٢] والمكتبة العبدلية بتونس[٣].

وقال العلامة الكبير، العالم الشهير، أحد رجال المغرب في القرن العاشر والحادي أبو العباس أحمد ابن أبي القاسم الصومعي التادلي[٤]، في كتابه لب اللباب في معاملة الملك الوهاب[٥]: اتفقت الناس على علمه وعمله وزهده وورعه، وزاد أن الناظر في كتاب المدارك يزيد الناظر إيمانا.

ثم أثني بكلمة وقفت عليها في «درة الحجال في مناقب سبعة رجال»[٦] لعالم مراكش ومحدثها ومؤرخها أبي عبد الله محمد الصغير

---

(١) المتوفى سنة ٨٧٥هـ. ترجمته في: فهرس الفهارس (٢/٧٣٢-٧٣٤)، والضوء اللامع (٤/١٥٢)، وشجرة النور (١/٢٦٤ - ٢٦٥).

(٢) طبع في ثلاث مجلدات عن دار ابن حزم بتحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر، على ثلاث نسخ خطية، ليس منهما نسخة الإمام المصنف، ولا نسخة المكتبة العبدلية بتونس، التي أشار إليها المصنف هنا.

(٣) كما في برنامجها المطبوع في مجلدين بتونس سنة: ١٣٢٦-١٣٢٧

(٤) انظر ترجمته النفيسة في كتاب روضة الآس للحافظ المقري (٣٠٠-٣٠٣)

(٥) منه نسختان في المكتبة الكتانية، الأولى تحت رقم: ٢٦١٨ك، والثانية تحت رقم: ٢٥٢٧ك. انظر التعريف به في كتاب الأستاذ مصطفى عربوش: أحمد بن أبي القاسم شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة (ص٣٤٨ - ٣٦٨).

(٦) وقف المصنف على هذا الكتاب عند صاحبه العلامة مؤرخ مراكش القاضي =

الإفراني المراكشي[١] قال: «شاع على الألسنة أن يقولوا: لولا عياض ما ذكر المغرب، ولم أقف عليه لأحد من الأقدمين، ولا يبعد ذلك من حاله، فقد كان مفخرةً من مفاخر المغرب، وآية عن جلالته تعرِب.

وفي كتاب «انتصار الفقير السالك»[٢] لأبي عبد الله محمد الراعي الأندلسي المصري[٣] قال: لما قرئ على الشيخ سراج الدين البُلقيني[٤] كتاب الشفا مدحه وأثنى عليه إلى الغاية، وكان يحضره جماعة من

= الأديب النوازلي، العباس بن إبراهيم التعارجي المراكشي رحمه الله، بمدينة سطات وهو على قضائها، فقال في وصفه كما في رحلته الدرنية: وهو في خمسة كراريس بخط مؤلفه، مبتورة الأول. ثم انتخب منه فوائده في رحلته المذكورة. وقد آل هذا الأصل لتلميذه العلامة السيد محمد بن عبد الهادي المنوني، وعنه نشره الدكتور حسن جلاب.

(١) ولد في حوالي ١٠٨٠، واختلف في سنة وفاته، فقيل: إنه توفي سنة ١١٣٨هـ، وقيل في حدود ١١٥٠، وقيل: بعد سنة ١١٥٥، انظر ترجمته في: التقاط الدرر (٢/٤٣٨-٤٤٠)، عجائب الآثار (١/١٣٠)، الإعلام للمراكشي (٦/٥٠ – ٥٨).

(٢) (ص ٣٥٠-٣٥١).

(٣) ولد سنة ٧٨٢ تقريبا، وتوفي سنة ٨٥٣، ترجمته في الضوء اللامع (٩/٢٠٣-٢٠٤)، وبغية الوعاة (١/٢٠٣).

(٤) سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، ولد سنة ٧٢٤، وتوفي سنة ٨٠٥، ترجمته في: إنباء الغمر (٥/١٠٧)، والمعجم المؤسس للمعجم المفهرس كلاهما للحافظ ابن حجر (٢/٢٩٤-٣١١)، والتبيان لبديعة البيان للحافظ ابن ناصر الدين (٣/١٥٢٣-١٥٢٥)، ولحظ الألحاظ للحافظ تقي الدين بن فهد (٥-٢٠٦-٢٢٠). وقد طبعت ترجمته المفردة لابنه القاضي علم الدين عن دار أروقة بالأردن بتحقيق الأستاذ عمر حسن القيام.

المالكية، فقال القاضي جلال الدين[١] إنه مالكي: ما لكم يا مالكية لا تكونون مثل القاضي عياض؟ فقال له أبوه الشيخ سراج الدين المذكور: مالك لا تقول للشافعية: ما لكم يا شافعية لا تكونون مثل القاضي عياض؟

وهذا من إنصاف سراج الدين البُلقيني، وهو دليل على أنه ليس للمالكية ولا للشافعية مثله.

ونظير ما شاع على الألسنة ما أخبرني به الفقيه أبو عبد الله بن المبارك قال: لما قدم أبو علي اليوسي لزيارة ضريح عياض في حدود المائة وألف، عرض له جيران ضريح عياض فقالوا: يا سيدي: أرنا حد حرم عياض، - يعنون من ضريحه إلى باب حومته -، فقال لهم أبو علي: المغرب كله حرم لأبي الفضل:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد[٢]

وقد نقل كلمة الشيخ سراج الدين البلقيني السابقة عنه الإمام المقري في «نفح الطيب» في ترجمة الراعي. انظر (ج ٢ ص ٤٨) منه، طبع مصر[٣].

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، ولد سنة ٧٦٣، وتوفي سنة ٨٢٤، انظر: التبيان لبديعة البيان للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي (٣/١٥٤٣-١٥٤٤)، ولحظ الألحاظ (٥/٢٨٢-٢٨٤)، الضوء اللامع (٤/١٠٦ - ١١٣). وقد أفرد ترجمته أخوه القاضي علم الدين، وطبعت بعناية الأستاذ سليم محمد عامر، وصدر عن دار أروقة بالأردن.

(٢) درة الحجال (١٦١-١٦٢).

(٣) ٢/ ٦٩٨ ط د إحسان عباس.

ولا نحتاج إلى أكثر من هذا في ترجمة عياض، نعم؛ نحيل للقارئ على من أفرده بالتأليف من الأعلام، كولده العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن عياض، وهو في جزء لطيف جدًا، حلو المساق، عذب التركيب والإفادة، موجود في المكتبة الكتانية[١].

وترجم الحافظ ابن الأبار في تكملة الصلة البشكوالية[٢] للفقيه الأديب محارب بن محمد بن محارب الوادي آشي أبي محمد فقال: له مقامة في القاضي عياض، كتبها أبو عمر بن عياد عن أبي محمد عبد الله بن إبراهيم بن سعيد اللواتي عنه، لقيه في حصن البونت عام ٥٥٣ انظرها، ساق الحافظ ابن الأبار في تحفة القادم (ص٤٤-٤٥) قصيدة له يمدح القاضي عياض أثناء مقامه من لإنشائه فانظرها.

وكمسند إفريقية أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي التونسي[٣].

---

(١) موجود في المكتبة الكتانية تحت رقم: ٥٥٣ ك، وعن هذه النسخة الوحيدة نشرها الدكتور محمد بن شريفة ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة بالمملكة المغربية. تنبيه: قال الأستاذ عبد السلام بن سودة في دليل مؤرخ المغرب الأقصى (١-١٨٦): يوجد بخزانة شيخنا أبي الفضل عبد الحفيظ الفاسي نسخة عتيقة، ومنها انتسخت جميع النسخ التي بأيدي الناس اهـ. وهو تعميم في غير محله، فنسخة الإمام المؤلف الحافظ ليست مستنسخة من نسخة ابن خالته العلامة القاضي الأديب عبد الحفيظ الفاسي، وهذا من إطلاقات الأستاذ ابن سودة الكثيرة التي تحتاج إلى تحرير.

(٢) ٢/٤٥٢.

(٣) محمد بن جابر الوادي اشي التونسي، المتوفى سنة ٧٤٩هـ. انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (٣/ ١٤٩٦)، غاية النهاية لابن الجزري =

وقد وصف كتابه هذا[١] الحافظ ابن حجر في المجمع المؤسس[٢] بقوله: في جزء. انظر ترجمة أحمد بن محمد الإسكندراني المعدل منه، ونحوه للسخاوي في ترجمته من الضوء اللامع[٣].

وكالحافظ أبي العباس أحمد المقري التلمساني[٤] دفين مصر، له فيه «أزهار الرياض»[٥] وهو في مجلدين كبيرين، موجود في المكتبة الكتانية، عليه خطه، وما أجدره بالاختصار.

= (١٠٦/٢) ذيل التقييد (١/ ١١٣)،. وقد أفرده الإمام المصنف بتصنيف حافل في ترجمته وأخباره، وأصله محاضرة علمية له في مؤتمر الثقافة الإسلامية المنعقد بتونس، وقد وقفت عليه بخطه الشريف رحمه الله، ويعمل على العناية به ونشره أخونا البحاثة الدكتور عبد الله التوراتي حفظه الله وييسر نشره قريبًا.

(١) وقد وصفه هو بنفسه في برنامجه (٢١٨) قائلا ما نصه: وقد حملتني هذه القصيدة على أن جمعت قطعة جيدة تضمنت التعريف بالقاضي عياض وتواليفه وما قيل فيها وما وقع لدي مما خاطب به الحافظ السلفي وغيره وما وجدت له من نظم أو قيل فيه وأثبتها في آخر الشفا الذي كنت نسخته ابتغاء ثواب العلم الجسيم.

(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس (١-٤٣٤).

(٣) الضوء اللامع (٢-٦٨).

(٤) انظر ترجمته في: فهرس الفهارس (٢-٥٧٤) وللحافظ تذييل عليها، وبيان الأوهام الواقعة في نقد هذه الترجمة ،كتبه تذييلا على مقال للأستاذ علال الفاسي الذي نشره بمجلة المغرب الجديد، التي كانت تصدر بمدينة تطوان تحت اسم مستعار، وقد اعتنيت به مع تذييله على مقال المذكور أيضًا عن الإمام اليوسي، وترجمته في فهرس الفهارس (١١٥٤/٢-١١٦١)، ومهدت له بممهدات مهمات ومقدمات وتتمات يسر الله سبل نشره قريبًا.

(٥) قال المصنف في فهرس الفهارس (٨٠٣/٢): بناه على روضات ثماني=

وفي فهرسة[١] آخر قضاة العدل بمكناس، أكبر قضاة المغرب، العلامة أبي القاسم ابن العلامة الشيخ سعيد العميري المكناسي[٢]:

رحم الله والدي، فقد كان يحدثنا أن رأى النبي ﷺ في عالم النوم، وله مجلس حافلٌ غاصٌّ بالصحابة والعلماء، وأنه عرف منهم جماعة، وأثبت منازلهم منه ﷺ، وممن حضر ذلك المجلس إمامنا مالك وأنه رأى عياضًا جالسًا وراء ظهره عليه السلام، وتأوله عليه بالاقتداء،

= أتى فيه منها بستّ، وبقي عليه على ما في النسخ التي بيدنا وبتونس وغيرها الروضة السادسة والسابعة، فلم أجدهما في النسخ التي بأيدينا منه، وكذا بيد من عرفناه، فإما لم يكتبهما المقري، أو كتبهما وضاعتا، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

قلت: تم طباعة أزهار الرياض في خمسة أجزاء، فالأجزاء الثلاثة الأولى اعتنى بها الأساتذة: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، وهم من أهل مصر، وأكمل بقيته وهو الجزء الرابع والخامس الدكتور عبد السلام الهراس، والأستاذ سعيد أعراب، وقد اعتمدا في جملة ما اعتمدا نسخة المصنف في نشر عملهما.

(١) قال عنها الإمام المصنف في فهرس الفهارس (٨٣١/٢) في مجلد وسط، وهي أشبه بديوان أدبي منها بثبت، وقد اشتملت على فوائد وتراجم نفيسة، وهي عندي.

(٢) ولد سنة ١١٠٢، وتوفي سنة ١١٧٨، ترجمته في: الأنيس المطرب(١٩/٦) الطبعة الحجرية الفاسي، ونشر المثاني (١٩٧/٣-٢٠١) إتحاف أعلام الناس (٥٤١/٥ - ٥٦٣)، وفهرس الفهارس (٨٣١/٢). تنبيه: كرر الأستاذ الزركلي ترجمته في أعلامه مرتين، الأولى: (٩٩/٣)، والثانية: (١٧٦/٥)، واعتمد في الأولى على ترجمة النقيب ابن زيدان، وفي الثانية على دليل ابن سودة، وفهرس دار الكتب المصرية، فحق الثانية أن تحذف.

وأنه قصَّ رؤياه على شيخه سيدي الحسن اليوسي، وذكر له أنه رآه في ذلك المجلس من جملة من حضره، فسرَّ بها وأبشر، وناهيك بها بشارة من سيد البشر[١].

وقال الفقيه المؤرخ الأديب الكاتب الجمَّاع أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم العبدوني الورديغي التادلي[٢] في كتابه: «يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ المعطى» ابن الصالح الشرقي[٣] لما تكلم على مسقط رأس الشيخ المذكور: يكفي في شرف تادلا كون القاضي عياض بن موسى اليحصبي صاحب الشفا استقر بها لما قدم من عدوة الأندلس إلى مراكش، ومكث بها هو وأبوه مدة حتى دفن بأرضها. وانتقل القاضي عياض بعد ذلك إلى مراكش هـ منها.

قال هذا في تادلا بعد أن نقل أن بلاد تادلا أكثر بلاد الله أولياء، وأنهم يفرون إليها من أوطانهم كما تفر الإبل لبلد الرعي، وأنه كان فيها في القرن الرابع نحو أربعين زاوية، أهلها يهدون الخلائق للملك العلام.

وفي هذا القدر كفاية، فلننتقل إلى ما نحن بصدده فنقول:

قال البرهان ابن فرحون في الديباج[٤]: أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه كفايته فيه، ولم ينازعه أحد في الانفراد به، ولا أنكروا مزية

---

(١) فهرسة العميري (ص٦٠).

(٢) توفي سنة ١١٨٩ كما في: مؤرخو الشرفاء للمستشرق ليفي بورفينصال (ص٢٣٦).

(٣) من هذا الكتاب عدة نسخ في المكتبة الكتانية للإمام المصنف، هي ذات الأرقام التالية: ٣٠٥ك و ٢٨٣ك.

(٤) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٤٩).

السبق إليه، بل تشوفوا للوقوف عليه، وأنصفوا في الاستفادة منه، وحمله الناس عنه، وطارت نسخه شرقًا وغربًا هـ.

ولما تكلم حافظ اليمن عماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري أول كتابه «بهجة المحافل في تلخيصه المعجزات والسير والشمائل»(١) على الكتب المصنفة في السير قال: ومما لم ينسج على منواله ولا سمحت القرائح بمثاله كتاب الشفا للقاضي الإمام عياض، فإنه تكلم في ذات النبوة وأحكامها والمجوزات عليها، ولها مع ما وشحه به من الشمائل المرضيات والهدي والمعجزات، بقوة عبارةٍ وتلويح إشارةٍ على أحسن أسلوب وأمنح تقسيم وترتيب هـ.

وقال العلامة الدَّماميني(٢): وقد أتى عياض في الشفا بما فيه الشفا.

وقال قاضي فاس العلامة الصالح المؤرخ النسابة أبو عبد الله ابن السكاك(٣) ....

(١) (١-٦).

(٢) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر المخزومي، المعروف بابن الدماميني، ولد سنة ٧٦٣، وتوفي بالهند سنة ٨٢٧، انظر ترجمته في: إنباء الغمر (٣/٣٦١-٣٦٢)، والمجمع المؤسس (٣/٢٩٠ - ٢٩١)، كلاهما للحافظ ابن حجر، والضوء اللامع (٧/١٨٤)، وبغية الوعاة للحافظ السيوطي (١/٦٦-٦٧).

(٣) هو أبو عبد الله وأبو يحيى محمد بن أبي غالب المكناسي، - نسبة لمكناسة، قبيلة حول تازة - العياضي، قاضي الجماعة بفاس، توفي سنة ٨١٨، له شرح على الشفا، وصاحب الكتاب الشهير: نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام. انظر ترجمته في: جذوة الاقتباس (١/٢٣٨)، وإتحاف أعلام الناس (٣/٥٨٨-٥٨٩).

في طالعة شرحه[١] لقصيدة[٢] أبي الحسن علي بن وفا[٣]: التعلق به ﷺ يشمل الصلاة عليه ومحبته واتباع سنته ومدحه والثناء عليه بما هو أهله، وذكر شمائله وصفاته وسيرته وخصائصه ومعجزاته، ومحبة أهل بيته وتعظيمهم وتوقيرهم، والتوسل به ﷺ وبأسمائه، والتسمي بها تبركًا، وذكرها والنظر فيها وكتبها، وغير ذلك من وجوه التعلق به ﷺ، ويتأكد على المحب أن يأخذ بحظه بكل نوع منه، ويطالع كتب الأئمة في هذه الوجوه، ككتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض رضي الله عنه.

ولله در القائل: شفاء عياض للمحب شفاء.

---

(١) منه نسخة بخزانة القروين تحت رقم: ١٥٥٧/٣. انظر فهرس المكتبة لتلميذ الإمام المؤلف الأستاذ محمد العابد الفاسي (٤-٢٧٩) وبالزاوية الناصرية بتمجروت تحت رقم: ١٧٣٩، كما في دليلها لتلميذه العلامة الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني (ص١١٧).

(٢) مطلعها:

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

(٣) العارف علي بن محمد بن محمد بن وفا، أبو الحسن القرشي الشاذلي المكي. ولد سنة ٧٦١، كما نقله عنه الشعراني، وقال الحافظ السخاوي ٧٥٩، وتوفي سنة ٨٠٧. انظر ترجمته في: إنباء الغمر للحافظ ابن حجر (٢-٣٠٨/ ٣٠٩) ومعجم شيوخه المجمع المؤسس (١٩٩/٣)، والضوء اللامع (٦/٢١-٢٢)، وطبقات الشعراني الكبرى (ص٤٧٨/٥٦٣) وانظر النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية للإمام الزرقاني (ص٤٦-٧٨).

سمعت شيخنا سيدي يحيى بن محمد السراج الرُّندي[١] حفظه الله يحكي أن السيد عياضًا رؤي بعد موته، وبإزائه شخص من أجمل خلق الله صورة، وجهه يضيء نورًا كالشمس، وعليه حلَّة حسنةٌ من أحسن شيء، فقيل له: من هذا الشخص الذي معك على هذه الهيئة الحسنة؟ فقال: هذا كتاب الشفا، صوره الله كما ترى، فأنا أتباهى به، وككتاب خصائصه ﷺ للإمام السيوطي، وشرح أسمائه ﷺ له. اهـ بواسطة كتاب «حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار في الصلاة على النبي المختار»[٢].

وقال الحافظ السخاوي في كتابه الرياض[٣] لما تكلم على الشفا: لا يخفى جلالة عياض في الحديث، بحيث اعتمده فيه جمهور من جاء

---

(١) قلت: هما رجلان من نفس الطبقة ممن اسمه يحيى السراج، وكلاهما من أهل رندة، فأولهما شاعر أديب، ورد ذكره في ديوان ابن فركون وغيره. والثاني محدث فاس أبو زكريا يحى بن أحمد بن محمد السراج الرندي أصلًا الفاسي دارًا، والمتوفي سنة ٨٠٣، صاحب الفهرسة المشهورة، والتي نشرت بدار الحديث الكتانية بتحقيق د نعيمة بنيس حفظها الله تعالى، وانظر مقدمتها (ص٥٥-٥٨).

(٢) مؤلفه هو أحمد بن الحسين بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني، الشهير بابن عرضون، المتوفى عام ٩٩٢هـ. ولعله زاد ذكر كتاب الخصائص للحافظ السيوطي، إذ إن ابن السكاك توفي قبل أن يولد السيوطي، كما هو ظاهر، والله أعلم.

(٣) نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة النبوية المنورةضمن مجموع رقم ٣٠٨، ق١٧.

بعده، وقد أراد الزين العراقي أن يعزو أحاديثه ويتكلم عليها، ثم رجع عن ذلك قائلًا: هذا كتابٌ قد تُلُقِّي بالقبول، فلا أحب التعرض له.

وقال الشهاب القسطلاني[١] شارح البخاري في مبحث الإسراء من المواهب اللَّدنية: كل من صنف في شيء من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجناء معارف اللطائف من رياض عياض، والاستشفاء من أدواء المشكلات بدواء شفائه المبري لمعضل الأمراض[٢] هـ.

وفي «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»[٣] للإمام أحمد بن مصطفى، المعروف بطاشكبري زاده، عن الشفا: هو كتاب نفيس لم يؤلف مثله في بابه، بل هو أحد أركان الإسلام. وهو عالم المغرب. هـ منه (ص ١٩ ج ٢) طبع الهند[٤].

(١) فائدة: كان الإمام الحافظ الشهاب القسطلاني كثير النسخ بخطه، وقد كان على ملك الإمام المصنف عدة مجلدات بخطه، فمنها كتاب: المراسلات للأمراء والوزراء والسلاطين لأبي علي الحسن بن زيد الأنصاري، فرغ الإمام القسطلاني من نسخها سنة ٨٧٩. انظر التراتيب الإدارية للإمام المؤلف (٥٦/١). ومنها: مجموع حديثي احتوى على نوادر، وهو اليوم بالمكتبة الملكية العامرة بمراكش.

(٢) ١٢/٦ مع شرح الإمام الزرقاني عليها.

(٣) (٢/ ١٣٠-١٣١) دار الكتب العلمية، ولكلامه تتمة تأتي عند المصنف رحمه الله.

(٤) عرف المؤلف بهذا الكتاب وفهرس العلوم التي احتواها من نسخته الخطية أولًا في كتابه التراتيب الإدارية (٢- ٢٣٧-٢٤٠) ط مكتبة شيخنا نظام =

وقال الإمام فخر المغرب أبو عبد الله محمد بن غازي المكناسي الفاسي في حواشيه على الصحيح[١] لما تكلم على إعجاز القرآن من كتاب الاعتصام ما نصه: وعليك بالشفا للقاضي عياض، فإنه كما قيل:

كُلُّهُمْ عَالَجُوا الشِّفَا وَلَكِنْ   مَا أَتَى بِالشِّفَا غَيْر عِيَاض هـ

وقال الإمام فخر المغرب على المشرق الحافظ أبو العباس أحمد المقري في «أزهار الرياض» حول كتاب الشفا: بلغ فيه الغاية القصوى، وكان فيه لضرب الإحسان من تشفا وبز فيه المؤلفين وأربى، وحاز قصب السبق به دونهم، وطار صيته شرقًا وغربًا، وقد لهجت به الخاصة والعامة عجمًا وعربًا، ونال مؤلفه وغيره من الرحمن قربًا: سمعت غير ما مرة شيخنا الإمام علم الأعلام المفتي عمِّي سِيدي سعيد بن أحمد المقري رحمه الله يقول عنها: ما ألف في الملة المحمدية مثل كتاب الشفا للقاضي عياض، وحرز الأماني[٢] للشيخ أبي القاسم الشاطبي.

= يعقوبي الخاصة بالبحرين، وفي آخر كلامه إشعاره بأنه لم يقف على الطبعة الهندية، وإنما رأى إعلان صدورها، ثم عاد في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب (ص٣٥٣-٣٥٤) فبين أن المطبوعة الهندية من هذا الكتاب أوسع من النسخة الخطية التي عنده، والتي نقل منها فهرس العلوم الواردة فيه، قلت: وطبعة الكتاب الهندية صدرت سنة ١٣٢٩ في مجلدين بحيدرأباد بدائرة المعارف.

(١) إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب ﷺ [redacted]

(٢) هي حرز الأماني ووجه التهاني، وهي القصيدة اللامية التي نظم بها ولي الله تعالى الإمام المقرئ أبو القاسم ابن فيرة الشاطبي كتاب التيسير للإمام الحافظ المقرئ أبي عمرو الداني، وقد أخذت تسميتها من قوله فيها:

وسميتها حرز الأماني تيمنا   ووجه التهاني فاهنها متقبلا

وفضائل هذا الكتاب لا تستوفى، ولا يرتاب من سمع كلامه العذب السهل المستوفى، في وصف النبي ﷺ أو وصف إعجاز القرآن أن تلك نفحة ربانية، ومنحة صمدانية، خص الله بها هذا الإمام، وحلاه بدُرِّها النظيم، حكى غير واحد منهم الشيخ الرَّحال ابن جابر الوادي آشي أن القاضي عياضًا رحمه الله أوقف عليه شيخه القاضي أبي بكر بن العربي فقال له: بارك الله فيك يا أبا الفضل واستحسنه جدًا، وناهيك بشهادة أبي بكر بن العربي المعافري ودعائه(١). هـ منه.

وقال مسند الحجاز وحافظه وراويته في القرن الحادي عشر أبو مهدي عيسى الثعالبي الجزائري في فهرسته الكبرى المسماة «كنز الرواية»(٢) بعد إتيانه بكلمات ابن فرحون السابقة عن الديباج: أبدع فيه كل الإبداع، وسلم له أكفاؤه فيه من غير معارضة ولا دفاع، ولم ينازعه

---

(١) أزهار الرياض (٤/٢٧١-٢٧٢).

(٢) ق٢٤ من نسخة الإمام الحافظ السيد منه، وهي أتم نسخه الثلاث التي وقعت إلي، فالأولى هي نسخة المؤلف، وقد حللها وعرف بها في كتابه فهرس الفهارس (١/٥٠٠)، ومما قال: ظفرت منه بالمجلد الأول، وهو عندي عليه خط مؤلفه بالمقابلة والتصحيح. والنسخة الثانية هي نسخة الزاوية الحمزاوية تحت رقم ١٩٢، وهي التي وصفها وعرف بها مالكها الإمام أبو سالم العياشي في رحلته ماء الموائد، وهي بخط صاحبه والمتدبج معه، أحد أعيان أصحاب مؤلف الكنز مسند الحجاز من بعده الإمام حسين العجيمي رحمهم الله تعالى. والنسخة الثالثة هي نسخة جامعة عليكره بالهند، وهي أشتات غير مرتبة من الكتاب، وقعت ضمن مجموع، أوله كتاب الأوسط لابن المنذر، وعليها تملك مسند الحجاز الشيخ صالح الفلاني، وقد شرعت في العناية بهذا السفر النفيس والعلق النادر معتمداً على هذه المخطوطات الثلاث يسر الله إتمامه.

أحد بالانفراد بمغزاه، ولا أنكروا مزية السبق إلى مداه، وتشوفوا للوقوف عليه والإنصاف له في الاستفادة مما لديه، وحمله الناس عنه آحادا وجموعًا على اختلاف الطبقات وطارت نسخه طيران القَطا في أعماق الآفاق، ولهج الناس به الشادي والبادي، وتحلت به النوادي في الحواضر والبوادي، وقد كثرت فيه الأمداح، وركضت سوابق الأفكار في راحه الرحراح، فمِن مُجَل برز في الإعراب عن مرفوع قدره المتمكن، ومن مصل تلا فى الإبانة ببيان البيان عن واجب حقه المتعين[1].

وقال جوّاب الآفاق ورحلة الدنيا الحاج مصطفى جلبي التركي الأستاني في كتابه كشف الظنون[2]: وهو كتاب عظيم النفع كثير الفائدة، لم يؤلف مثله في الإسلام، شكر الله سعي مؤلفه.

قال الإمام ابن صعد التلمساني في ترجمة عياض من «النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب»[3]: تآليفه دالة على ما له من الكرامة من الله والعناية ممن تأمل انتفاع المسلمين بها شرقًا وغربًا، علم أن ذلك من أسرار القرب والولاية، وكتابه الشفا هو وسط القلادة، وبرنامج السعادة، وفيه يقول بعض الفضلاء:

---

(١) بعد هذا أورد الإمام أبو مهدي عيسى الثعالبي قصيدةً للإمام لسان الدين بن الخطيب في مدح كتاب الشفا، وأخرى لأبي الحسين عبيد الله بن عبد المجيد الرندي نزيل بجاية.

(٢) ٢/١٠٥٤.

(٣) (ص٣٠٨-٣٠٩م).

أنس الوحيد وذكية الأنداء ... ونسيم عرف الروضة الغناء
وضياء مأمول الرضى ومديده ... وقلادة الخلفاء والسعداء
وأمان كل مخوف وعياده ... من طارق الأهوال والأهواء
كتب الشفا وفت لنا بحقوق من ... خصصته مكارم الإباء
ونصوص أنباء النبي محمد ... كرمت مصححة عن العلماء
بشر عياضا أن غرس بنانه ... وزكائه فيه من الشفعاء
تتلذذ الأرواح في تلخيصها ... كتلذذ العافين بالنعماء
إني بذكر محمد وصفاته ... لهم وفيه همتي ورجائي
ووسيلتي يوم الشفاعة حبه ... وإذا مرضت ففي الشفا شفاء
أهلا به وبآله وبصحبه ... غر الوجوه وزين كل ملاء هـ

ووجدت بخط قديم على متن نسخة عتيقة من النجم المذكور لدى هذا المحل قال بعض الشيوخ: كانت الشمس تطلع على الناس من المشرق وتغرب في المغرب، وجاءنا نحن أهل الشرق شمس أخرى من المغرب الأقصى، وهو كتاب الشفا للقاضي عياض. هـ

وقال الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الحُرَيشي في طالعة شرحه له(١): كتاب لم تسمح قريحة بمثاله، ولا نسج فاضلٌ على منواله، فأعجب بنكتة ما أتى فيه من البيان، وجل البرهان في حق من يقصر عن وصفه البنان ويكل اللسان، ومن هو أكمل من كل إنس وجان، كأنها الياقوت والمرجان، فدونكها أيها الإنسان، وغمض على حسنها

---

(١) يأتي ذكره والتعريف به لدى ذكره لشروح الشفا.

الأجفان، فهي أجل وأعلى من عروس على المنصة تجلى، ولم تزل نفوس الكبراء بها معلقة، والهمم بها متشبثة هـ.

وقال محدث المغرب الحافظ أبو العلاء إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني الفاسي[١] في شرحه على إحياء الميت في فضائل آل البيت للحافظ السيوطي[٢] بعد نقله فصلًا انتقاه من الشفا: إن أردت التبحر في حقوقه عليه السلام فطالع الكتاب كله، وتحقق حجة مؤلفه في مبدإ الوجود، واستعذ بالله من شر من دعا عليه من أهل بلده، لكونه لا يخرج يوم السبت من داره، فقد كان يؤلف فيه هذا الكتاب الحافل المقدار، الذي لم يؤلف في بابه مثله، حسب ما ذكر ذلك سيدي عبد الوهاب الشعراني تلميذ المصنف في طبقاته، ويرحمه الله حيث ذكره بصيغة التمريض، وحكاه عنه شيخنا سيدي علي الحريشي أول شرحه نسأل الله السلامة، ونعوذ به من الخذلان، ونتضرع إليه سبحانه أن يجزي عنا مؤلفه خيرًا، وينفعنا به وبتآليفه دنيا وأخرى، إذ هو من السادات.

وفي تاريخ المؤرخ المفيد الضابط المعتني أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي[٣]: وفي يوم الأحد ٢٧ شعبان عام ١٢١٣

---

(١) انظر ترجمة المؤلف الإمام الحافظ له في كتابه فهرس الفهارس (٢/٨١٨-٨٢٥).

(٢) وهذا الكتاب نسخته الخطية بخط مؤلفه من جملة مكتبة الإمام الحافظ السيد المصنف، كما في ترجمته للحافظ العراقي من فهرس الفهارس (٢/٨١٨).

(٣) محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي، ولد في ١١٦٥، وتوفي سنة ١٢٣٣، انظر ترجمته في: كتاب الاغتباط لمؤرخ مدينة الرباط تلميذ المؤلف =

ابتدأ شيخ الجماعة بفاس العلامة الكبير الشيخ عبد القادر بن شقرون[١] كتاب الشفا، وقال: لم يؤلف أحسن منه في الإسلام

وقال: كل عالج السقام وما أتى بالشفاء إلا عياض.

وقال أيضًا: كتاب الشفا يخلص من الشدائد والكروب والغموم.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء: وقف على البراق لما تفصد عرقًا حين أراد أن يركب عليه السلام.

وقال الفقيه: إن أصبح رمضان فتصبح على قراءتها، وإن لم يكن صيام ولا رمضان فإن الطلبة يستريحون في غد. هـ منه.[٢]

وفي «الأزهار الطيبة النشر ببعض ما يتعلق بالمبادئ العشر»[٣] للقاضي العدل العلامة أبي الفتح محمد الطالب بن الحاج لما تكلم على كتب السير: أنفس كتاب احتوى على هذا المعنى الشفا هـ.

= وخريجه العلامة مصطفى بوجندار رحمه الله (ص٣٢٨/٣٣٦) والانبساط لتلميذ المؤلف العلامة محمد بن علي دينية (ص١٤٧) والمصادر العربية لتاريخ المغرب (١٤/٢-١٥) ونسخة الحافظ المصنف من التاريخ، هي اليوم في المكتبة الكتانية تحت رقم: ٢٢٩٠ ك، وانظر مقدمة محقق التاريخ الأستاذ أحمد العماري.

(١) ورد اسمه في تاريخ الضعيف مجردًا دون حلاه وألقابه العلمية، وقد زادها المؤلف.

(٢) ص٣١٣.

(٣) (٣٨٩/٢).

وفي ١٢ من برنامج المكتبة العبدلية بتونس عن الشفا: هو كتاب فريد في بابه لم يؤلف مثله، واشتهر قولهم: أربعة لم تعارض على كثرة المحاولين لمحاكاتها: أحدها كتاب عياض، وناهيك بتأليف طار صيته بالعالم، وتلقته طوائف العلماء بالرضى والقبول، وتوفرت دواعيهم على الاشتغال به دراية ورواية، حتى بلغت شروحه العشرات، بل إن تراجم رجاله أفردت بالتأليف هـ ص ١٣٥٣.

وقال الشيخ أبو المحاسن النبهاني[١] في أول اختصاره للمواهب[٢] لما تكلم على المؤلفين في السير: وإن منهم من أطال، ومنهم من توسط، فمن المختصرين الإمام البارع عياض، وحسبك بكتابه الشفا، الذي سار في الآفاق، فوقع على قبوله الاتفاق[٣].

وقال حافظ صنعاء وعالمها المتمكن، صدر حفاظ القرن الماضي شرف الدين الحسين بن أحمد بن الصياغي الحسيني اليمني الصنعاني المتوفى عام[٤] ١٣٢١ في الجزء الرابع من كتابه المعجب، «الروض

---

(١) انظر نور الحدائق (ص٧٩) للإمام المؤلف، وما علقته عليه، وقد أجاز لصاحبه الإمام يوسف النبهاني بثبت خاص، أسماه الإسعاف بالإسناد الرباني في إجازة الشيخ يوسف النبهاني.

(٢) المسمى بالأنوار المحمدية من المواهب اللدنية.

(٣) ص٤.

(٤) بعد أن أنهى الإمام المؤلف النقل عن أهل السنة والجماعة ثنى بالنقل عن كتب المبتدعة من الزيدية والروافض بيانًا أن كتاب الشفا لقي عناية حتى من غير أهل السنة والجماعة، والإمام الحافظ المصنف على اطلاع كبير على مؤلفاتهم المطبوعة والمخطوطة ومقالاتهم كما تراه هنا، وقد اشتد غضب =

النضير شرح مجموع الفقه الكبير» ص٢٤٦ حين تكلم على مسألة سب الجناب النبوي، وقد بسط القول في تحرير الأدلة على ذلك صاحب الشفا من الكتاب والسنة وكفى [١]هـ.

ومن قول الشيخ إبراهيم الدسوقي في مدح «خلاصة الوفا»[٢] للسيد السمهودي المطبوع آخرها سنة ١٢٥٨:

فدونــــه خلاصـــــة كأنهـــا مـــتن الـــشفا

ولنختم هذا الفصل بكلمة وجدتها لعالم المذهب الإمامي بفارس والعراق، ومؤرخه الشيخ محمد باقر المجلسي[٣] في كتابه «روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات» قال حين ترجم لعياض: وله أيضًا كتاب الشفا، ينقل عنه أصحابنا الإمامية كثيرًا، وفيه فوائد كثيرة، وتحقيقات منيفة، وأحاديث جليلة في أحوال الرسول من الولادة إلى الوفاة، يروي فيه عن جماعة من أعاظم المشايخ، وعندنا منه نسخة عتيقة، هـ منه ص ٧٠٥[٤].

= بعض غلاة الروافض من المنتسين للسنة زورًا وبهتانًا، لتجاهل الإمام الحافظ المصنف لإيراد أهل الضلال في كتابه إفادة النبيه، وظن أن خلوه منهم من خلو الجعبة، وليس كذلك، بل الأمر ديانة ودين، وتمييز للصادقين من المجتهدين من الكاذبين، كما فصلناه في محل آخر.

(١) ٤/ ٢٤٦ تصوير دار الجيل.

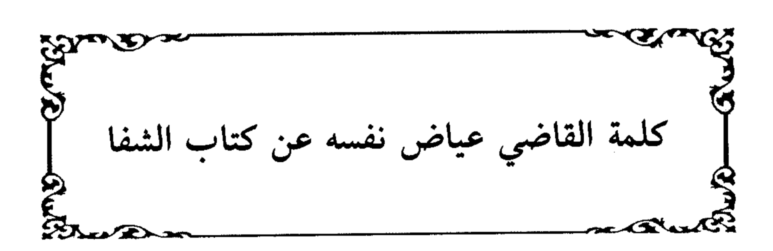
(٢) (ص٣٠٦). الطبعة المصرية القديمة.

(٣) ولد سنة ١٠٣٧، وتوفي سنة ١١١١، انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي(٦/ ٤٨-٤٩) ومن جملة ما ذكره في ترجمته أن بمكتبة الإمام الحافظ المصنف مجموعًا فيه ١٣ رسالة له بخطه تحت رقم: ١٤٨٩.

(٤) ٥/ ٣٢٢.

انظر (ص١٤٢ ط٢) من شرح البردة للشيخ ابن عاشور التونسي في أن مادة ما في البردة الشفا والثناء على بلاغة عياض فيها.

انظر الزرقاني على المواهب على الخطية في توريته بالشفا واتباعه لعياض في الأسس والقواعد.



كلمة القاضي عياض نفسه عن كتاب الشفا

قال في خاتمتها: وقد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع، وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في أكثر التصانيف مشرع[1] إلخ.

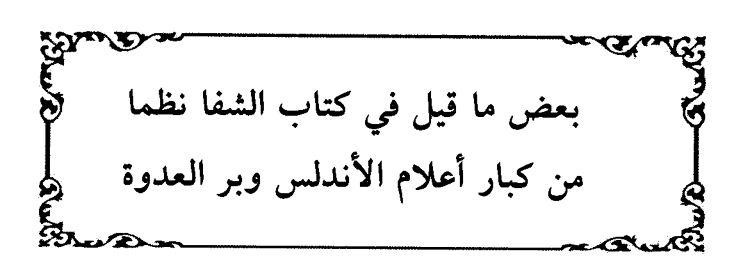
وقد وجدت القاضي عياضًا بنفسه أحال في كتابه «الإكمال» على كتاب الشفا قائلًا في مسألة الغرانيق: بَيَّنَّا ذلك - أي: بطلان القصة - في الشفا بما لا تجده في غيره[2]. ونقله عنه النووي والأبي[3] في شرحهما على مسلم وأقراه.

---

(١) (ص٨٨٢)، ط الأستاذ عبده علي كوشك.

(٢) (١- ٥٠٦).

(٣) (١-٣١٣).



بعض ما قيل في كتاب الشفا نظما من كبار أعلام الأندلس وبر العدوة

قال الإمام النظار فخر الأندلس أبو إسحاق الشاطبي صاحب الاعتصام والموافقات وغيرهما في كتابه الإفادات والإنشادات[(١)] ما نصه:

إنشادة: لما أخذ - فيما زعموا - شيخنا الإمام الشهير الخطيب المحدث البليغ أبو عبد الله محمد بن مرزوق[(٢)] في شرح كتاب الشفا للقاضي أبي الفضل عياض، وهو مستوطن مدينة فاس من بر العدوة بعث إلى الأندلس في طلب[(٣)] أمداح من شعرائها لكتاب الشفا، يجعل ذلك مقدمة الشرح، فندبني إلى امتحان الفكر بهذا القصد صاحبنا الفقيه الكاتب أبو عبد الله بن زمرك[(٤)] إلى أن سمح الخاطر بهذه الأبيات:

---

(١) (١٥٠/١٥٢).

(٢) تأتي ترجمته لدى ذكر شرحه ضمن هذا الكتاب.

(٣) ذكر ابن الخطيب في الإحاطة أنه انهال عليه من ذلك ما تعدد به الأوراق، واختلفت في الإجادة وغيرها الأرزاق، إيثار الغرض ومباردة لإسعاف أربه. (هذه طرة بخط المؤلف).

(٤) الوزير الأديب محمد بن يوسف بن محمد الصريجي الغرناطي، ولد سنة ٧٣٣، وتوفي قتيلًا سنة ٧٩٣، ترجمته في: الكتيبة الكامنة لشيخه لسان الدين بن الخطيب (ص٢٨٢/٢٨٨)، ونثير فرائد الجمان (ص١٥١-١٥٤)، وانظر نفح الطيب (١٤٥/٧-٢٨١).

يا من سما لمراقي المجد مقصده ... فنفسه بنفيس العلم قد كلفت
هذي رياض يروق العقل مخبرها ... هي الشفا لنفوس الخلق إن دنفت
يجني بها زهر التكريم أو غرر التـ ... ـعظيم، والفوز للأيدي التي قطفت
أبدت لنا من سناها كل واضحةٍ ... حسانه دونها الأطماع قد وقفت
وشيد العقل أركانًا موطدة ... بها على متن أصل الشرع قد رصفت
قوت القلوب وميزان العقول متى ... حادت عن الحجة الكبرى أو انحرفت
فيا أبا الفضل حزت الفضل في غرض ... به أقرت لك الأعلام واعترفت
وكنت بحر علوم ظل ساحله ... منه استمدت عيون العلم واغترفت
زارته من جنبات القدس باسمةً ... فحركت منه موج الفكر حين وفت
حتى إذا ما طمت أمواجه قذفت ... لنا بدرتها الحسناء وانصرفت
إن العناية لا يحظى بنائلها ... حريصها بل على التخصيص قد وقفت

ومن كتاب «البغية والمدرك في كلام ابن زمرك» لبعض سلاطين الأندلس[1] وقال: - يعني الرئيس الكاتب العلامة أبا عبد الله ابن زمرك - يمدح كتاب الشفا طِلبة شيخه الخطيب أبي عبد الله بن مرزوق:

وحسن ركاب للصّبا قد ونت به ... نجائب سحب للتراب نزوعها
تسلُّ سيوف البرق أيدي حداتها ... فتنهل خوفًا من سطاها دموعها
تعرّضن غربًا يبتغين معرّسًا ... فقلت لها: مرّاكش وربوعها
لتسقي أجداثًا بها وضرائحًا ... عياض إلى يوم المعاد ضجيعها
وأجدر من تبكي عليه يراعةٌ ... بصفحة طرس، والمداد نجيعها

---

(١) قال الإمام المقري في نفح الطيب (١٦٢/٧)، ولنذكر ترجمة ابن زمرك من كلام ابن السلطان ابن الأحمر في مجلد ضخم، رأيته بالمغرب، جمع فيه شعر ابن زمرك وموشحاته، وعرف به في أوله ثم انتقى منه.

فكم من يدٍ في الدين قد سلفت له ... يرضى رسول الله عنه صنيعها
ولا مثل تعريف الشفاء حقوقه ... فقد بان فيه للعقول جميعها
بمرآة حسنٍ قد جلتها يدُ النّهى ... فأوصافه يلتاح فيه بديعها
نجوم اهتداء، والمداد يجنّها ... وأسرار غيبٍ، واليراع تذيعها
لقد حزت فضلًا يا أبا الفضل شاملًا ... فيجزيك عن نصح البرايا شفيعها[1]

ولفخر الأندلس وبر العدوة شيخ الكتاب والمترسلين، والحكماء والمتطببين، والفلاسفة الإسلاميين، لسان الدين ابن الخطيب السلماني صاحب الإحاطة: [الطويل]

شفاء عياض للصدور شفاء ... فليس بفضل قد حواه خفاء
هدية بر لم يكن لمديلها ... سوى الأجر والذكر الجميل وفاء
وفى لنبي الله حق وفائه ... وأكرم أوصاف الكرام وفاء
وجاء به بحرًا يقول بفضله ... على البحر طعم طيب وصفاء
وحق رسول الله بعد وفاته ... رعاه، وإغفال الحقوق جفاء
هو الذخر يغني في الحياة عتاده ... ويترك منه للبنين رفاء
هو الأثر المحمود ليس يناله ... دثور، ولا يخشى عليه عفاء
حرصت على الإطناب في نشر ... فضله وتمجيده لو ساعدتني فاء[2]

وقد ذكر هذه القطعة ابن الخطيب نفسه في ترجمة ابن مرزوق من الإحاطة، وقال بعدها: واستزاد من هذا الغرض الذي لم يقنع منه بقليل، فبعثت إليه من محل انتقالي من مدينة سلا حرسها الله: [مجزوء الرمل]

---

(١) نفح الطيب (٧/١٥٩-١٦٠). قلت: إثر هذه الأبيات في نص الكتاب الذي طبعه الأستاذ النيفر بدار الغرب، بل ألحقها في آخره نقلاً عن نفح الطيب.

(٢) نفح الطيب (٥/٤٠٩). وكنز الرواية المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع، للإمام الثعالبي (ق٢٤) نسخة المصنف منه.

أأزاهيـــــر ريــــاض أم شـــفاء لعيــاض
جـــدل الباطـــل للحـــ ـــق بأســياف مــواض
وجـــلا الأنـــوار برهـــا نًـــا بحـــق وافتـــراض
وشــفى مــن يــشتكي الغــ ـــلة فــي زرق الحيــاض
أي بنيـــان مقــــال آمــن خــوف انقــضاض
أي عهـــد لـــيس يرمـــى بانتكـــاث وانتقـــاض
ومعـــان فـــي ســطور كأســود فـــي غيـــاض
وشــــفاء لـــصدور مــن ضــنى الجهــل مــراض
حـــرر القـــصد فمـــا شيـــ ـــن بـــنقض واعتـــراض
يــا أبــا الفــضل ادن إن الـــ ـــله عـــن ســعيك راض
فــاز عبــد أقــرض اللـــ ـــه برجحـــان القـــراض
وجبـــت غـــر المزايـــا مـــن طـــول أو عـــراض
لـــك يـــا أصـــدق راو لـــك يـــا أعـــدل قـــاض
لرســـول الله وفيـــ ـــت بجـــد وانتهـــاض
خيــر خلــق الله فــي حــا ل وفـــي آت ومـــاض(١)

نظمت له أيضًا في الغرض المذكور، والإكثار من هذا النمط في هذا الموضع ليس على التبجح بإجادته وغرابته، ولكن على سبيل الإشارة بالشرح المشار إليه، فهو بالغ غاية الاستبحار: [السريع]

حييت يا مختط سبت ابن نوح بكــل مــزن يغتــدي أو يــروح
وحمــل الريحــان ريــح الــصبا أمانـــة فيـــك إلـــى كـــل روح

---

(١) نفح الطيب (٥/٤٠٩ – ٤١٠).

دار أبـي الفـضل عيـاض الـذي أضـحت بريـاه ريـاض تفـوح
يـا ناقـل الآثـار يعنـى بهـا وواصلا في العلم جري الجموح
طرفك في الفخر بعيـد المدى طرفـك للمجـد شـديد الطمـوح
كفـاك إعجـازا كتـاب الـشفا والـصبح لا ينكـر عنـد الوضـوح
لله مـا أجزلـت فينـا بـه مـن منحـة تقـصر عنهـا المنـوح
روض مـن العلـم همـى فوقـه من صيب الفكر الغمـام الـسفوح
فمـن بيـان الحـق زهـر نـد ومن لسان الـصدق طيـر صـدوح
تـأرج العـرف وطـاب الجنـى وكيـف لا يثمـر أو لا يفـوح
وحلـة مـن طيـب خيـر الـورى في الجيب والأعطاف منها نضوح
ومعلـم للـدين شـيدته فهـذه الأعـلام منهـا تلـوح
فقـل لهامـان كـذا أو فـلا يا من أضل الرشد تبني الصروح
فـي أحـسن التقـويم أنـشأته خلقـا جديـدا بـين جـسم وروح
فعمـره المكتـوب لا ينقـضي إذا تقـضى عمـر سـام ونـوح
كأنـه فـي الحفـل ريـح الـصبا وكـل عطـف فهـو غـض مـروح
مـا عـذر مـشغوف بخيـر الـورى إن هـاج منـه الـذكر أن لا يبـوح
عجبـت مـن أكبـاد أهـل الهـوى وقـد سـطا البعـد وطـال النـزوح
إن ذكـر المحبـوب سـالت دمـا مـا هـن أكبـاد ولكـن جـروح
يـا سـيد الأوضـاع يـا مـن لـه بـسيد الإرسـال فـضل الرجـوح
يـا مـن لـه الفخـر علـى غيـره والشمس تخفى عند إشراق يوح
يـاخير مـشروح وفـى واكتفـى منه ابـن مـرزوق بخيـر الـشروح
فـتح مـن الله حبـاه بـه ومـن جانـب الله تـأتي الفتـوح[1]

---

(١) الإحاطة (٣/٩٥ -٩٧)، ونفح الطيب (٥/٤١١-٤١٢).

وفي «إنباء الغمر بأبناء العمر»، للحافظ ابن حجر، في حوادث عام ٨١١، لما ترجم لشيخه أبي القاسم قاسم بن علي الفاسي[١] قال: لقيته بالقاهرة فأنشدني لنفسه:

معاني عياض اطلعت فجر فخره   لما قد شفي من مؤلم الجهل بالشفا
مغاني رياض من إفادة ذكره   شذا زهرها يحيي من أشفى على شفا[٢]

وذكر هذه الأبيات الحافظ السخاوي في ترجمة قاسم المذكور من الضوء اللامع (ص١٨٣ ج٦).

وقال أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبد الحميد الرندي[٣] نزيل بجاية، والمتوفى بها في أحواز التسعين وستمائة[٤] في كتاب الشفا، وكان نسخه بها بيده في وسط شعبان عام ٦٥٨[٥]:

كتاب الشفا شفاء القلوب   قد انتقلت شمس برهانه
فأكرم به ثم أكرم به   وعظم مدى الدهر من شأنه
إذا طالع المرء مضمونه   رسا في الهدى أصل إيمانه

---

(١) ذكر الحافظ السخاوي في ترجمته له من الضوء اللامع (١٨٣/٦) أن الحافظ ابن حجر ترجمه في معجمه.
(٢) (٤١٢/٢).
(٣) الولي الصالح العابد الزاهد الموفق المنقطع المتخلي، كذا حلاه صاحبه الغبريني، ولد سنة ٦٠١، وتوفي سنة ٦٩١، ترجمته في: عنوان الدراية للغبريني (ص١٠٧/١٠٨)، وقد روى عنه في آخره علم التصوف (ص٣٥٩).
(٤) هي سنة ٦٩١ كما حددها تلميذه الغبريني في عنوان الدراية (ص١٠٧-١٠٨).
(٥) أزهار الرياض (٢٧٤/٤-٢٧٦).

ونــال علومــا ترقيــه فــي ثريـــا الـــسماء وكيوانـــه
فللـــه در أبـــي الفـــضل إذ سرى في الورى نيـل إحسانه
تقـــرر قـــدر نبـــي الهـــدى وخيـــر الأنـــام بتبيانـــه
فجــازاه ربــي خيــر الجــزا وجـــاد عليـــه بغفرانـــه
ومنـا الـصلاة علـى المجتبـى وأصـــحابه ثـــم أعوانـــه
مـدى الـدهر لا ينقـضي بهـا ولا يفنــى طــول أزمانــه[١]

وقال راوية الأندلس حافظ المغرب أبـو عبـد الله بـن رُشَيْد الفهـري دفين فاس[٢]:

جزى الإله عياضا بالـشفاء غـدى ريــاض فردوســه نــزلا بجنتــه
دواؤه قـد شـفى الأدواء فهـو لـه ذخــر يقيــه يقينــا لــبس جنتــه

وقد أطال الإمام ابـن جابر الـوادي آشـي في ترجمـة عيـاض بـذكر أشعار أئمة الأنـدلس وغيـرهم فـي مـدح الـشفا، فـساق مقطعـات لنفسه، وللمحدث أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الصنهاجي ابـن الحـداد[٣]، وأحمد بن إبراهيم بن خلف بـن فرقـد القرشـي[٤]، وللمحـدث أحمـد بـن محمد بن إبراهيم الماوردي، وغيرهم.

---

(١) كنز الرواية (ق٢٤) نسخة المصنف.
(٢) الرياض للحافظ السخاوي (٥ق) نسخة مكتبة شيخ الإسـلام عـارف حكمت بالمدينة النبوية المنورة، وأزهار الرياض (٤/٢٧١-٣٠٩)
(٣) توفي سنة ٧٢٢، ترجمه الذهبي في المعجم المختص بالمحدثين (ص٨٤).
(٤) ولد سنة ٥٤٦، وتوفي سنة ٦٢٩، ترجمته فـي التكملـة الأباريـة (١/٢١٨)، والذيل والتكملة (١/٢٣٠-٢٣١).

وقد ساق جميع هذه الأمداح الحافظ المقري في روضة النسرين من أزهار الرياض[١]، وذيل عليه بما لم يقف عليه لابن صعد التلمساني، وقاضي فاس المشاور أبي محمد عبد النور العمراني الحسني[٢]، وابن عبد المنان[٣]، والقاضي شهاب الدين أحمد بن يوسف الرعيوني الشافعي المصري، وبدر الدين التميمي الهمداني، نزيل مصر، والأديب الكاتب أبي عبد الله محمد بن علي الوجدي[٤]، وأبي الحسن علي بن أحمد الشامي الفاسي[٥]، وغيرهم.

ولنذكر بعض ما قيل بعد عصر المقري مما لم يدوَّن.

ولأديب الجزائر في آخر القرن الحادي عشر - وهو أبو عثمان سعيد التلمساني، صاحب العقيقية القصيدة الشهيرة في الملحون - قصيدة في الإمام مالك وموطإه، وانجر الكلام فيها إلى القاضي عياض وكتابه الشفا، قال[٦]:

---

(١) ٢٧١/٤ فما بعدها.

(٢) أحد شيوخ محدث فاس أبي زكريا يحيى بن أحمد السراج، وقد روى عنه قصيدته في مدح الشفا، وكتبها على ظهر نسخته، ومنها نقلها الإمام المقري في أزهار الرياض (٢٨٠/٤) وانظر ترجمته في: فهرس السراج (ص٢٥٠-٢٥٦).

(٣) هو أحمد بن يحيى بن عبد المنان، المتوفى سنة ٧٩٢، ترجمه ابن الأحمر (ص١٧٥-١٨٣).

(٤) توفي سنة ١٠٣٣، ترجمه المقري في روضة الآس(ص٧١-٩٩)، ونزهة الحادي (ص١٥٠).

(٥) ذكر المقري في نفح الطيب وأزهار الرياض وفتح المتعال في مدح النعال كثيرا من قصائده وشعره الذي أنشده إياه.

(٦) ديوانه (ق٦٦-٦٧) نسخة المكتبة الكتانية تحت رقم ١٦٤٤ ك.

ألا يا رياض الغرب ما أتى بالذي ... يروم ثناء العقل للعجز آبق
تقطعت الأسباب من كل قائل ... وما يعرف الأسباب بعدك ناطق
ولكن أبت ترك الحقوق سجيتي ... فلولا ديار الفضل ما حل عاشق
شفائي شفاء اليحصبي من الأذى ... وما كان راو كابن موسى يطابق
تجلت شموس العلم منه على الربا ... وغارت على الألباب منه دقائق
طبيب يغصي الداء في منهج الآس ... وتصبو إلى الأقوال منه اللقالق
فلولا عياض الغرب ما ذكر اسمه ... ولا حيي منه الدهر للطرف رافق
على ساكن الحمراء مني تحية ... تروم ضريح العلم ما لاح طارق

وهي عجيبة أثبتها بطولها أبو حامد العربي المشرفي المعسكري، دفين فاس[١] في كتابه الحسام المشرفي[٢]. انظرها فيه.

وقد وجدت بهامش أزهار الرياض بخط العالم الأديب محتسب فاس أبي محمد عبد السلام بن الخياط الحسني الفاسي في مستهل ربيع الثاني سنة ١١٦٨:

---

(١) توفي سنة ١٣٠١ عن نحو التسعين، ترجمه الإمام المصنف ترجمة نفيسة في ذيل سلوة الأنفاس آخر إعلام الحاضر والآت، (ق٢/١٩٢-١٩٣).

(٢) لقطع لسان الساب العجرفي الناطق بخرافات الجعسوس سيء الظن أكنوسوس، وهو في الرد على المؤرخ محمد بن أحمد الكنسوسي، ونسخته الخطية في المكتبة الكتانية تحت رقم: ٢٢٧٦، انظر التعريف به في المصادر العربية لتاريخ المغرب لتلميذ المؤلف العلامة المؤرخ الشريف محمد بن عبد الهادي المنوني (٢/١٠٣-١٠٤).

عياض قد أتى بالشفا للمهج | وأفحم المفتري بأقطع الحجج
أفاض من علمه ما ليس منحصرا | كالبحر يزخر بالأمواج واللجج
حتى غدت كتبه في الدهر باهرة | تسبي النهى كبديع الحسن والذعج
عليه تنهل رحمة وتلحقه | تحية تزدري بأطيب الأرج
ما هام ذو لوعة والقلب في خفق | والوجد في وهج والنطق في لهج

وفي المكتبة العبدلية بتونس نسخة من الشفا، بآخرها أبياتٌ ثلاثة عشر، لحافظ تونس وعالمها الشيخ قويسم التونسي[١]، ومنها أبيات عشرة للشهاب الخفاجي.

وفي المكتبة المذكورة نسخة جيدة بآخرها قصيدة على روي الهمزية في المديح النبوي، وختمها بمدح كتاب الشفا ومؤلفها، من نظم الشيخ بدر الدين علي بن محمد التميمي الهمداني نزيل مصر، أبياتها ١٤١، مطلعها:

ضحت بحر صفائك الأنبياء | فلنا بها وهي الشفا شفاء هـ

ولمفرد علماء فاس في المشاركة والتحصيل، والتحقيق والأدب الغض، والروح التواقة، أبي حفص عمر بن عبد الله الفاسي[٢] في مدح الشفا ما نقلته من خط تلميذ له من النسخة السلوية[٣] قال لا فض فوه:

---

(١) تأتي ترجمته لدى ذكر من عرف برجال الشفا.

(٢) توفي سنة ١١٨٨، ترجمته في: طبقات الحضيكي (٥٢٣/٢-٥٢٤) وثمرة أنسي في التعريف بنفسي للحوات (ص٧٨ – ٨٢)، وسلوة الأنفاس (٣٨٤/١ – ٣٨٦)، وتاريخ الشعر والشعراء بفاس لتلميذ المؤلف وخريجه العلامة الأديب أحمد النميشي (ص٨٣).

(٣) يأتي ذكرها في باب النسخ النفيسة من كتاب الشفا.

لـست عمـن يـرى الـسلو بـراض ... أيهـا الحـب فـاقض مـا أنـت قـاض
كيف أسلو وقد جرى سابق الحكـ ... ـم بوجـدي فمـا يـرى ذا انتقـاض
لـو درى العـاذلون مـا قـد درينـا ... لغـدوا أهـل لوعـة وارتمـاض
مـا حـسبت المهـاة تفتـك بالأُسـ ... ـد إلـى أن بـدت لنـا بعيـاض
فرمتـه بأسـهم صـائبات ... وسـبتني بـالجفون المـراض
لا تخـل أنهـا ابنـة الـوحش كـلا ... إنهـا مـن بنـات فكـر عيـاض
هي قـوت القلـوب وهـي منـى الأ ... نفـس وهـي الـشفا للأمـراض
وهي كنـزي فلـست أخشى افتقـارا ... وهـي ذخـري فمـا أرى ذا افتـراض
وهـي لـي الـيمن والأمـان إذا مـا ... ظلـت فـي ظـل عزهـا الفـضفاض
جنـة أزلفـت لكـل تقـي ... فـسقوا مـن معـين تلـك الحيـاض
شـربوا حـب مـن بـه أسـعد اللـ ... ـه العبـاد بمرتـع فـي ريـاض
وازدهـت مـنهم النفـوس ارتياحـا ... لـسماع المـديح دون انقبـاض
فبـذكر الحبيـب تبـتهج الأر ... واح أو بتخيـل وافتـراض
صـاح إن فاتنـا الحـضور فمـا فـا ... ت اغتـراف مـن بحـره الفيـاض
ولـئن كنـت لـم أشـاهد محيـا ... ـه ففـي الفكـر غنيـة المرتـاض
فهلـم إلـى شـفاء غليـل الـ ... ـقلب إذا كـان فـي شـفاء عيـاض
فجـزاه الإلـه أفـضل مـا يجـ ... ـزى بـه المقرضـون عـن إقـراض
واشرح الصدر بالصلاة على المخـ ... ـتار كيمـا تفـوز بـالأغراض
وامـلإ القلـب مـن هـواه فـإني ... لـست ممـن يـرى الـسلو بـراض[1]

---

(١) جمع الأستاذ المؤرخ عبد السلام بن سودة ديوانه كما في ترجمته لنفسه آخر كتابه سل النصال (ص٢٣١)، قلت: إن كان جمعه وهو بعد في رياض =

وقال علامة الديار المصرية البدر المنير الإمام أبو محمد الأمير[١] صاحب المجموع:

لمن الشفا ببعض حق المصطفى؟ قالوا عياض قلت: بل قولوا: رياض
نــزه بــه طرفًــا وقلبًــا مــدنفًا يا جنة قد أترعت فيها الحياض
واستشف منه فكم شفى ممدوح من أنفُسٍ قرحى وأبدانٍ مراض

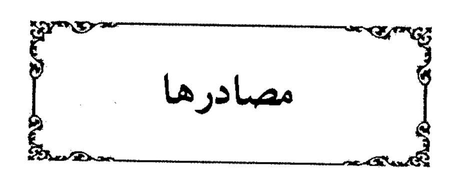
وأنشد شمس الشموس محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس في تاريخه «النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر»[٢] لشيخه العالم المحدث المعمر الشيخ عبد المعطي باكثير اليمني قصيدة في ختم والد المؤرخ المذكور السيد شيخ العيدروس الصحيح جاء من جملتها:

صحيح البخاري والشفا كلاهما لدين الهدى أمن وأصل ومعقل

انظر (ص٣٦٠) من التاريخ المذكور طبع بغداد.

= الدار العامرة لشيخه وأستاذه الإمام المؤلف الحافظ رحمه الله، فسيكون دله على هذه القصيدة النفيسة، وإن كان جمعه بعد عقوقه ومفارقته لشيخه الأستاذ فستكون فاتته مع ما فاته من الخير الكثير، وقد فصلت شيئًا من ذلك في مقدمة تحقيقي لاستدعائه الإجازة من شيخه الإمام الحافظ المصنف وإجازته له.

(١) انظر ترجمته الحافلة واتصالات المؤلف به بما لا تجده مجموعًا في محل آخر في فهرس الفهارس (١/٣٣-١٣٩)، ونور الحدائق (ص١٣٤-١٣٦) بعنايتي.
(٢) (١/٣٢٢).



مصادرها

مصدر الشفا القرآن الكريم، والتفاسير، وكتب التأويل، والكتب الستة[١]، والمسانيد، وكتب الفقه للمتقدمين، وتواريخ الحروب والفتوح الإسلامية، وكتب الكلام والأصول واللغة والأدب والرقائق.

وقد ألف قبله في دلائل النبوة وأعلامها جماعة؛ كأبي نعيم[٢]، والبيهقي[٣]، وأبي الشيخ الأصبهاني[٤]، والطبراني[٥]، وأبي زرعة

---

(١) لعل المصنف يعني الكتب الخمسة المشهورة والموطأ، فإني لم أر القاضي عياضًا أسند شيئًا في الشفا من طريق الإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، ولا رواه عن أحد شيوخه في فهرسته الغنية.

(٢) طبع بدائرة المعارف الهندية بحيدرأباد، ثم صف عن هذه الطبعة الناقصة في بيروت مرات وكرات دون الرجوع إلى مخطوطاته. ولعله إن طبع تامًا أن يكون ضعف الموجود اليوم، ونسخه الخطية كثيرة، وفق الله من يقوم بجمعها والعناية بالكتاب.

(٣) طبع بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي في ثمان مجلدات عن دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤) هذا الكتاب من الكتب المحجوبة عنا، وفي مقدمتي لعوالي الحافظ أبي الشيخ مزيد تفصيل عن كتبه.

(٥) ذكره له يحيى بن منده في جزء في ذكر أبي القاسم الطبراني (ص٦٩).
فائدة: ورد في هذا الكتاب ذكر كتاب في دلائل النبوة لأبي خليفة الفضل بن الحباب (ص٤١)، وقال الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ (٩١٣/٣) وهو في مجلد.

الـرازي[١]، وابـن أبـي الـدنيا[٢]، وأبـي إسـحاق الحربـي[٣]، وأبـي جعفـر الفريـابي[٤]، وثابـت السرقـسطي[٥]، وأبـي القاسـم التيمـي[٦]، وابـن منـده[٧]، وأبـي أحمـد الأصـبهاني[٨]، وأبـي بكـر النقاشـي المفسر[٩]، وأبي العباس المستغفري[١٠]، وأبي الأسود عبد الرحمن ابن

---

(١) ورد ذكره في كتاب السؤلات للبرذعي عنه (٦٩٣/٢)، ولعله الذي سماه ابن أبي حاتم الرازي في الجرح والتعديل (٣٠٤/٩) كتاب الدلالات، وانظر كتاب: أبو زرعة وجهوده في السنة النبوية، للدكتور سعدي ياسين (١٨٥/١-١٨٦).

(٢) ورد ذكره في أسماء مصنفات ابن أبي الدنيا، للحافظ المزي (ص٥٠) ضمن مجموعة رسائل تراثية، وهو من موارد الحافظ ابن ناصر الدين في جامع الآثار.

(٣) ذكره له ابن أبي يعلى في ترجمته له من طبقات الحنابلة (٢١٩/١).

(٤) طبع بتحقيق صديقنا الدكتور عامر حسن صبري حفظه الله عن دار حراء بمكة المكرمة سنة ١٤٠٦.

(٥) إنما له الدلائل وهو لابنه قاسم وهو في غريب الحديث توفي قبل أن يتمه فأتمه أبوه وهو من نوادر الاتفاقات وقد طبع مرتين

(٦) طبع بعضه بتحقيق الدكتور المحدث مساعد بن سليمان الراشد ولم يتمه.

(٧) هو الحافظ محمد بن إسحاق بن منده، المتوفى سنة ٣٩٥.

(٨) الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد ابن العسال الأصبهاني، المتوفى سنة ٣٤٩، ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٦-١٥).

(٩) ذكره له جماعة؛ منهم ابن أنجب الساعي في الدر الثمين (ص٢٠٣) وغيره.

(١٠) طبع الموجود منه بعناية صاحبنا الدكتور أحمد بن فارس السلوم حفظه الله، وصدر في مجلدين بدار النوادر عن أصل نفيس يتيم محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس، مع أن د صلاح الدين المنجد يذكر وجود نسخة منه في الظاهرية برقم (٢٧/٨١).

الفيض[١]، وأبي ذر المالكي[٢]، وإبراهيم بن الهيثم البلدي[٣]، وابن قتيبة[٤]، وأبي داود صاحب السنن[٥]، وأبي الحسين بن فارس اللغوي[٦]، والماوردي[٧]، وأبي المطرف قاضي الجماعة بالأندلس[٨]، وغيرهم من الأعلام الذين دونوا في هذا الموضوع قبله[٩].

---

(١) قال الحافظ أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها (٤/٢٨٠): شيخ ثقة عنده عن عقيل وغيره توفي سنة ٣٢١، وعند ابن منده في فتح الباب (ص٨٠) أن وفاته كانت سنة ٣٢٠.

(٢) ذكره ابن خير في فهرسته (ص٣٥٧)، وانظر ترجمته في ترتيب المدارك، وفيها تواليفه (٧/٢٣٣).

(٣) توفي سنة ٢٧٨، ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(٧-١٦٤) د بشار.

(٤) منه نسخ منها بالظاهرية ضمن مجموع رقم ١٦٤ حديث، وغيرها، ولم أره مطبوعًا.

(٥) فهرسة ابن خير (ص١٤٨) د بشار، وابن حجر في المعجم المفهرس (ص٧٦).

(٦) هذا الكتاب من جملة المحجوب عنا، وقد يسر الله أخيرًا طباعة كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ، عن أصل نفيس في المكتبة الكتانية لمالكها الإمام المصنف بعناية صاحبنا الأستاذ محمد بن ناصر العجمي حفظه الله.

(٧) طبع مرات باسم:: أعلام النبوة.

(٨) هو قاضي الجماعة عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس القرطبي، له ترجمة حفيلة في الصلة للحافظ المؤرخ ابن بشكوال (١/٤٠٢-٤٠٥)، د. بشار، وذكر كتابه هذا فقال: أعلام النبوة ودلالات الرسالة، عشرة أسفار.

(٩) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٩١). وذكر نحوه في ختمه لسيرة ابن هشام المسمى بالإلمام (ص٧٣/٧٥).

وفي الشفا الكثير مما استند فيه عياضٌ إلى أبحاثه الشخصية ومشاهداته العيانية، أو اختيارات كبار مشيخته، كالمازري[١]، وابن رشد، وابن العربي[٢]، والجياني[٣]، والصدفي[٤]، وهذه الطبقة.

غير أني أذكر في هذا الفصل ملاحظة غريبة جديرة بالتدوين، وهي أني وجدت الحافظ أبا بكر بن خير الإشبيلي ذكر في فهرسته ص٢٨٩[٥] كتاب اختصار شرف المصطفى ﷺ قال: تأليف القاضي الإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى ابن عياض اليحصبي رحمه الله، قال: حدثني به إجازة ومشافهة وإذنا[٦] هـ.

---

(١) ورد ذكره مرة واحدة في كتاب الشفا فيما وقفت عليه، وذلك في القسم الثالث في فصل في الرد على من أجاز عليهم الصغائر، والكلام على من احتجوا به في ذلك (ص٦٩٩) طبعة عبده كوشك.

(٢) انظر روايته عنه في كتابه الشفا في فصل في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه (ص٤٣٣) ط بعده كوشك.

(٣) أسند عنه القاضي مراسلة مرات في الشفا، حيث إنه لم يلقه، وإنما كتب له بالإجازة مراسلة كما في ترجمته له من الغنية (ص١٣٨-١٤٠).

(٤) وقد أكثر عنه جدًّا في الشفا وغيره، وترجمه ترجمة نفيسة (ص١٢٩-١٣٨)، وقال فيها: وقد جمعت شيوخه في كتاب المعجم الذي ضمنته ذكره وأخباره وشيوخه وأخبارهم، وهم نحو مائتي شيخ اهـ.

(٥) يحيل المصنف على طبعة المستشرق الإسباني كوديرا وتلميذه طرغوه، وقد طبعت بمدينة سرقسطة ١٨٩٣م.

(٦) ص٣٦١.

وكتاب شرف المصطفى[١] هذا ذكره ابن خير قبل ذكر اختصاره هذا، فقال: تأليف أبي سعيد عبد الملك بن محمد الواعظ، حدثني به أبو محمد بن عتاب عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجالي[٢] عن مؤلفه [٣]هـ.

وسماه الحافظ السخاوي بالاقتفا، وقال: في مجلدات[٤].

قلت: وكأنه غير كتاب شرف المصطفى لأبي سعد عبد الرحمن بن الحسن الأصبهاني النيسابوري الحافظ، صاحب المسند، الثقة المشهور، المتوفى سنة سبع وثلاثمائة.[٥]

وقد وصفه الذهبي في تاريخه[٦] بالحافظ، وأغفله في طبقات الحفاظ، والسهيلي[٧] يكنيه أبا سَعِيد بالياء، وردَّه مغلطاي[٨] بأنه إنما هو سَعْد بسكون العين، ويقع في النسخ ابن سَعِيد وهو خطأ، وكذا قال

---

(١) طبع بتحقيق السيد نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي في ٦ مجلدات، عن دار البشائر الإسلامية، وفاته ذِكْرُ اختصار القاضي عياض للكتاب في مقدمته الدراسية.

(٢) في ترجمته من الصلة أنه رحل إلى مكة المكرمة، فسمع من أبي سعيد الواعظ كتابه: شرف المصطفى ﷺ. الصلة (١/٣٥).

(٣) (ص٣٦١).

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٩١).

(٥) تاريخ الإسلام (٧/١٢٠).

(٦) ترجمته في تاريخ الإسلام (٩/١٢٠) د بشار، وترجمته أيضًا في: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٥٦-٢٥٧)، ولم أر وصفه له بالحافظ في ترجمته تلك، فلعل المصنف وقف عليها في محل آخر من التاريخ.

(٧) الروض الأنف (٢/٤٣٠).

(٨) الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم ﷺ للحافظ مغلطاي (١/٧٢٠).

صاحب رونق الألفاظ في طبقات الحفاظ[١]، وقد تكلم عليه الزرقاني في شرح المواهب[٢] في مبحث الإسراء ص٩٦ في ج١، والله أعلم.

وهذا الاختصار الذي ذكره لعياض لم نر أحدًا نسبه له ممن عرَّف به، ويلوح لي مرارًا أن هذا الاختصار أصل الشفا، فكأن عياضًا اختصر هذا الكتاب أولا، ثم صار يلحق به على طول الأيام بما صار به كتابًا مستقلًا باسمه ونسقه وتنسيقه الحاضر، وهذا يقع للمؤلفين كثيرًا، فلا غرابة فيه.

ولأبي الربيع سليمان بن سبْع - بإسكان الموحدة، وقد تُضَم كما في التبصير للحافظ[٣] السبتي - شفاء الصدور، قال السخاوي عنه في

---

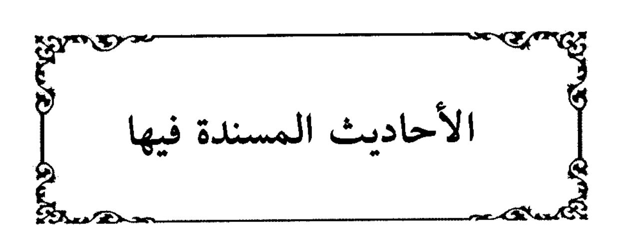
(١) هو الحافظ المحدث يوسف بن شاهين، سبط الحافظ ابن حجر، وقف المؤلف على المجلد الثاني من الكتاب بالمكتبة الخالدية بالقدس الشريف، كما في ترجمته له من فهرس الفهارس (١١٢٩/٢). قلت: هي في المكتبة الخالدية تحت رقم: ١٧١٥، كما في فهرسها (ص٧٥٠-٧٥١)، والنسخة تبتدأ بحرف الغين، وآخره حرف الياء، ثم الكنى والنساء، ومن هذا الأصل صورة بمكتبتنا ولله الحمد، والجزء الأول من الكتاب بالمكتبة المحمودية بالمدينة النبوية المنورة، ونسخة أخرى بمتحف طوبقي سراي بعاصمة الخلافة تحت رقم: ٤٩٣ مدينة، تنبيه: ذكر الأستاذ الزركلي أن هذا الكتاب من مصادره في الأعلام (٣١١/٨)، وذكر أنه بخط الحافظ قاسم بن قطلوبغا، والذي بخطه إنما هو عنوان الكتاب فقط؛ على عادة المصنفين في تقديم تصانيفهم لكبار علماء الزمان في كتابة عناوينها كنوع من التقديم لها، وإلا فباقي الكتاب بخط مصنفه المعلوم المشهور عند أهل الفن والعلم، فحققه.

(٢) تكلم الزرقاني في شرح المواهب في مواطن ينظر منها (٨١/١) و (١١١/١).

(٣) (٦٧٤/٢).

الإعـلان[١]: فـي مجلـدات، وقـال عنـه فـي الجـواهر والـدرر[٢]: إنـه في مجلد، ثـم قـال فـي الإعـلان: واختـصره بعـض الأئـمـة، وفيـه منـاكر كثيرة[٣] هـ.

(١) (ص٩١).
(٢) (١٢٥٣/٣).
(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٩١).



الأحاديث المسندة فيها

لما تكلم الحافظ ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» على الكتب المؤلفة في المعجزات النبوية قال: وهؤلاء يذكرون ما يذكرون بالأسانيد المعروفة، والطرق المألوفة، وهؤلاء منهم من يميز فيما يذكره من الأحاديث بين ما في الصحيحين وما في غيرهما، وإن كان صحيحا أيضًا كالبيهقي، وابن الجوزي، والمقدسي، ومنهم من يذكر ذلك جميعه بأسانيده، وقد يتكلم على الأسانيد والطرق كأبي زرعة شيخ مسلم، وأبي الشيخ، وأبي نعيم، وآخرون يذكرون ما يذكرون معزوًا مسندًا إلى من رواه، وإن لم يذكروا إسناده، قال: كما يفعل القاضي عياض السبتي في الشفا هـ. (ص٢٤٢) الجزء الرابع[١].

قلت: كتاب الشفا مملوء بالأحاديث المسندة، حتى أفردها بعضهم بمؤلف خاص، وهي ستون حديثًا.[٢]

قال محدث الدِّيار المصرية الشهاب أحمد العجيمي[٣] في مشيخته

---

(١) (٦/٣٦٣-٣٦٤).

(٢) قد ذكر المصنف نحو هذا في ترجمته للإمام القاضي عياض رحمه الله في فهرس الفهارس (٢/٥٧٥)، ولما لم أقف على هذا الجزء قمت باستخراجها وتجريدها من الأصل مع التقديم لها بمقدمات مهمات.

(٣) ولد سنة ١٠١٤، وتوفي سنة ١٠٨٦، وهو من المحدثين المكثرين، وقد =

حين ترجم لشيخه مفخرة المغرب على المشرق، الحافظ أبي العباس أحمد المقري، وذكر سماعه عليه الكثير من الصحيحين والشفا، قال: وقد أجازني بذلك، وذكر أنه يروي الكتب الستة عن عمه أبي عثمان ابن أحمد المقري، عن أبي عبد الله التنيسي، عن والده حافظ عصره محمد بن عبد الله التنيسي، عن البحر أبي عبد الله بن مرزوق، عن أبي حيان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن أبي الربيع عن الغاقعي، عن القاضي عياض، بأسانيده المذكورة في الشفا، قال: وهي ستون حديثًا، أفردها بعضهم في جزء، فمن أراد رواية الكتب الستة من طريق عياض فليأخذها من كتاب الشفا، أو من الجزء المذكور هـ.[١]

ونحو هذا للمحبي في ترجمة المقري في خلاصة الأثر[٢].

وقد سمى عياضٌ في الشفا كثيرًا من مشايخه يحليهم ويكنيهم، ويصفهم بما يصح أن يكون أحسن مثال لمن بعده، وحكى عنهم اختيارات وتوجيهات؛ حتى الأحياء منهم، ومن مات قبله بسنة فقط، كالقاضي أبي بكر بن العربي المعافري[٣].

= تفرقت كتبه شذر مذر، وكلها مطررة بخطه، وفيها فوائد ونفائس، شاهدت الكثير منها في عدة مكتبات دخلتها بمصر وتركيا، وتراجع ترجمته في خلاصة الأثر (١/١٧٦-١٧٧) وفهرس الفهارس للإمام المصنف (١/١١٥-١١٦).

(١) ٢٦ /ب، نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، رقم: ٢٩٤ ضمن مجموع هي أوله.

(٢) (١/٣٠٣).

(٣) انظر روايته عنه في كتابه الشفا في فصل في عصمة الله له من الناس وكفايته من آذاه (ص٤٣٣) ط بعده كوشك.

ويكفي الشفا فخرًا وأسانيد عياضٍ قبولًا أن سنده للصحيح والشمائل من طريق الصدفي، هو المصدرة به نسخ الصحيح[1] والشمائل في المغرب، لأن غالب سلاسل الصحيح والشمائل وتصحيح نسخها فيه راجع إلى رواية عياض، نسخته العتيقة المشهود لها بنهاية الصحة والإتقان والعلو، حتى إن صاحب التحفة القادرية[2] نقل عن شيخه الحافظ أبي العلاء العراقي الفاسي أن رواية عياض عن أبي علي الصدفي من الصحيح أفضل من رواية موسى بن سعادة عن الصدفي.

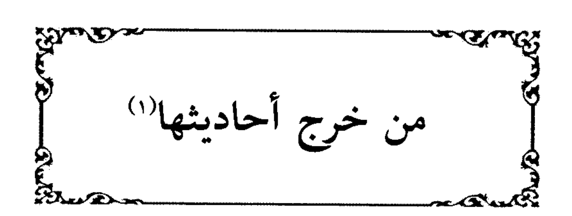
قال القادري: وقفت على رواية عياض عن الصدفي المشار إليها عند شيخنا إدريس المذكور، فباعتبار ما ظهر لنا قول شيخنا صحيح[3]. هـ

---

(١) سند الصحيح في النسخ المغربية جلها من طريق الإمام أبي عمران موسى بن سعادة المتوفى سنة ٥٢٢، وهو قرين القاضي عياض وشريكه في الأخذ عن الحافظ الصدفي رحمهم الله، وعن سند القاضي عياض الذي يكتبه المغاربة في أوائل نسخهم من الشمائل النبوية للإمام الحافظ الحجة أبي عيسى الترمذي ينظر كتاب المصنف: التنويه والإشادة (ص٩٥-٩٦).

(٢) ق١٨٤، نسخة الخزانة الملكية العامرة تحت رقم: ١٣٨٧٦، كما في حاشية عبد المجيد الخيالي محقق على التنويه والإشادة.

(٣) انظر تتمة هذا المبحث في التنويه والإشادة (ص٩٧/٩٨) وفهرس الفهارس (١٠٣٢/٢).



من خرج أحاديثها[١]

قال الحافظ السخاوي لدى كلامه على الشفا كما سبق في كتابه الرياض: لا يخفى جلالة عياض في الحديث، بحيث اعتمده فيه جمهور من جاء بعده، وقد أراد الزين العراقي أن يعزو أحاديثه ويتكلم عليها ثم رجع عن ذلك قائلًا: هذا كتاب قد تُلُقي بالقبول، فلا أحب التعرض له. هـ

..... بابًا لتخريج ما فيه من الأحاديث[٢]. (٢٨ق)

وأول من علمت أنه أفرد أحاديثها بالتأليف والتخريج؛ الحافظ قاسم بن قطلوبغا الحنفي المصري[٣] ثم عصريه وتلميذه الحافظ جلال

---

(١) ممن خرج أحاديث الشفا الإمام الحافظ قطب الدِّين محمد بن محمد الخيضري الدمشقي رحمه الله، وقد وفقني الله للحصول على أصله بخطه الشريف، ووفقني الله للعناية به، ويصدر قريبًا إن شاء الله تعالى، وفي مقدمته تتمة كلام عن تخاريج أحاديث الشفا.

(٢) يشير المصنف إلى ما ذكره الحافظ السخاوي في الرياض ق١٦، ويأتي نقل المصنف له أن له على الشفا كتابًا مفردًا بناه على أربعة أبواب، الباب الثالث منه في تخريج ما فيه من الأحاديث وبيان أمرها وتعيين ما لم أقف عليه. قال: وهذا الباب هو السر الظاهر والفخر الباهر.

(٣) قال الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (١٨٦/٦): وكتب منه أوراقًا. =

الدين السيوطي، له: «مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا»، وهو تخريج نفيس في نهاية الإجادة والاختصار.

قال في أوله: هذا كتابٌ نفيسٌ ألفته، وتأليفٌ شريفٌ رصفته، خرجت فيه أحاديث الشفا تخريجًا محررًا سالكًا فيه طريقًا موجزًا مختصرًا، لم أستمد فيه من شيء من الكتب المؤلفة عليه، بل اعتمدت فيه على حفظي ونظري، وراجعت الأصول المعتمدة والجوامع إلخ[١].

وهو مطبوع بمصر[٢].

وقد ذيل عليه الحافظ أبو العلاء إدريس بن محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي، فله «موارد أهل السَداد والوفا في تكميل مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا». وهو تخريج واسع ينبئ عن اطلاع عظيم، ذكر في أوله أنه لما قُدِّم لتوريق كتب الوعظ بالقرويين، و كان من جملتها شفا القاضي عياض، طلب من تكلم عليها ليكون منها على بصيرة مما أورده فيها، ثم ذكر كلام الخفاجي السابق وتأليف

= قلت: لعل الحافظ السخاوي وصف ما وقف عليه، وإلا فإن الإمام الشهاب الخفاجي في نسيم الرياض (٢/٢٠٥) ينقل منه عند الباب الثالث من القسم الأول من الشفا، ويبدو أنه تخريج موسع يطيل فيه في تتبع الطرق وروايات الحديث الواحد على ما يقتضيه كلام الإمام الخفاجي ونقله منه.

(١) ص٢٩ مؤسسة الكتب الثقافية.

(٢) طبع بمصر، الأولى على الحجر دون تاريخ، والثانية مع كتب الشفا سنة ١٢٧٦، كما في معجم المطبوعات العربية (٢/١٣٩٧)، وطبعة الشفا التي يعنيها هي التي بهامشها شرح العلامة شيخ الجامع الأزهر حسن العدوي، وسيأتي الحديث عنها بعد.

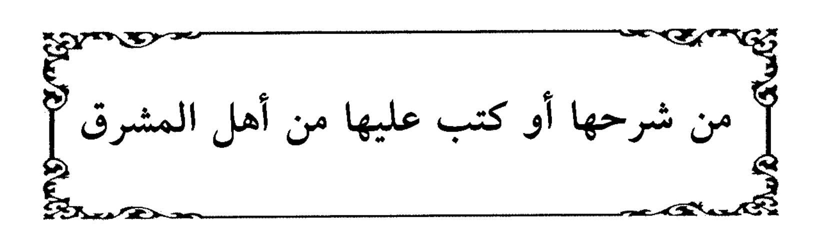
السيوطي، فقال: وأفعل مع الجلال ما فعل مع البدر الزركشي في الدرر المنتثرة؛ من تتميم كلام مختصر أو تنبيهٍ على ما أهمله مما هو عند القوم مشتهر، فأنقل كلامه بنصه، ثم أعقبه بما هو مقرر في كتب القوم؛ متتبعًا كلَّ خاتم منه بفصه إلخ[١]. وهو في مجلد وسط، في المكتبة الكتانية[٢] منه بعض كراريس بخط مؤلفه.[٣]

---

(١) ق١، نسخة مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء.

(٢) هي اليوم في الخزانة الملكية العامرة بمراكش تحت رقم: ٢٩٤٦، كما في مقال د طارق طاطمي عن ببلوغرافيا الشفا (ص١٤٧).

(٣) تنبيه: ذكر د طاطمي (ص١٥١) تخريجًا للشفا، ونسبه لعبد العزيز الزبيدي، وقد وقفت على الكتاب، فإذا به في تخريج أحاديث كتاب شفاء الأوام في أحاديث الأحكام للأمير الحسين بن محمد اليحيوي الزيدي المتوفى ٥٦٢هـ، وهو يخرج أحاديثه من كتب أهل السنة والجماعة في غالبه لخلُوّ القوم كسائر أهل البدع من علوم الحديث والنقل والنقد، واعتمادهم الكذب على آل البيت عليهم السلام.



من شرحها أو كتب عليها من أهل المشرق

أعظم من كتب عليها من أعلام المشرق حافظ الشام البرهان إبراهيم بن محمد الحلبي المعروف بسبط ابن العجمي، سماه: «المقتفى في تحرير ألفاظ الشفا»[١] وهو في مجلد، فرغ منه بحلب عام ٧٩٧، قال عنه الحافظ السخاوي: هو أوسع شروحها - أي: لعهده - وأفيد[٢] هـ.

والشرح المذكور موجود بخط مؤلفه بالمكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم: ١٨١، قال في آخره: فرغ من تعليقه يوم الاثني عشري شوال سنة ٧٩٧ في الشرقية بحلب، وابتدأ فيه بعد نصف شعبان من السنة إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، ولله الحمد والمنة. هـ.

ومنه نسختان في مكتبة قاضي عسكر محمد مراد تحت عدد: ٤٥٣ - ٤٥٧، ونسخة في مكتبة فيض الله أفندي[٣]، وفي المكتبة السلطانية بمصر[٤].

---

(١) حقق هذا الشرح أخونا د عمر عميري وفقه الله، وهو تحت الطباعة في دارنا دار الحديث الكتانية.

(٢) الجواهر والدرر (٣/١٠١٧).

(٣) تحت رقم: ٣٧٤، نسخت سنة ٨٧٦، وفي مكتبتنا نسخة مصورة عنها.

(٤) منه في دار الكتب المصرية اليوم ثلاث نسخ مخطوطة كما في الفهرس الشامل (٢/٨٧٧).

ثم ولده الحافظ أبو ذر أحمد بن إبراهيم الحلبي المتوفى عام ٨٨٤، له عليها كتابة لم تتم[١].

واختصر شرح الحافظ الحلبي تلميذه محمد بن خليل الحلبي، وسماه: «زبدة المقتفى»، وزاد عليه زيادات مهمة[٢].

والفاضل الأديب الشاعر البارع المصنف أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حسن بن إبراهيم الأنصاري الخزرجي المعروف بالحجازي[٣]، من كبار تلاميذ العراقي والهيثمي المتوفى سنة ٨٧٥، له حاشية على الشفا في أكثر من ست كراريس، والمذكور هو مختصر الروضة[٤]، نقل عن الحاشية المذكورة القسطلاني في المواهب[٥].

---

(١) الضوء اللامع (١/١٩٩)، وفيه: وشرح الشفا والمصابيح ولم يكمل. فالظاهر أن الذي ما تم هو شرحه للمصابيح.

(٢) كشف الظنون (٢/١٠٥٤)، ومنه نسخة بمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض تحت رقم: ٢١٩ ق، وعلى هذه النسخة تملك الإمام الخفاجي.

(٣) ترجمة الحجازي المذكور في الضوء اللامع (٢/١٤٧- ١٤٩)، وعنوان العنوان للإمام البقاعي (ص٤٥-٤٦)، والمنجم في المعجم للحافظ السيوطي (ص٦٣/٦٨)، ونظم العقيان في أعيان الأعيان (ص٦٣ – ٧٧) له أيضا، ولم أر فيها نسبة حاشية له على الشفا، ولا مختصرًا للروضة، ثم بحثت عن الحجازي مختصر الروضة فوجدت الحافظ السخاوي ترجمه في الضوء اللامع (٩/٥١-٥٢)، وفيها: وكتب على الشفا تعليقًا لطيفًا، وقد تتبع المصنف الإمام الزرقاني في تعين الحجازي وهو وهم منه رحمه الله تعالى.

(٤) نقل منه الإمام القسطلاني في المواهب كما فيها ممزوجة بشرحها للإمام الزرقاني (٥/٢٢٣).

(٥) ٣/١٦٩ بشرحها للإمام الزرقاني.

ثم الإمام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني الحنفي القاهري[(١)]، له: «مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا»[(٢)] لخصه من شرح البرهان الحلبي، وأتى بتتمات يسيرة، وهو موجود في المكتبة الكتانية[(٣)].

قال الحافظ السخاوي: اختصره من شرح البرهان الحلبي مع زيادات، وهو كتاب لطيف انتفع الفضلاء به. هـ.[(٤)]

وشيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف بن أرسلان الرملي المقدسي الشافعي[(٥)]، المتوفى عام ٨٤٤، له تعليقة جيدة. وذكره السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع باسم شرح، وقال: معتنيًا فيه بضبط ألفاظه[(٦)]. هـ

ووصفه صاحب «الأنس الجليل في تاريخ القدس» بقوله: علق على الشفا تعليقة جيدة لضبط ألفاظه هـ.[(٧)] موجود بمكتبة لاله لي بالأستانة[(٨)]، ووصفها بعضهم فقال: تعليقة، وهي بمقدار شرح الشمني،

---

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع (٢/١٧٤-١٧٨)، والحافظ السيوطي في حسن المحاضرة (١/٣٦٦ – ٣٦٨)، والمنجم في المعجم (ص٨٢ – ٩٢).

(٢) وللمؤلف فوائد نفيسة وتنبيهات شريفة عن الشرح المذكور في كتابه: «عقد اليواقيت والزبرجد» (ص٢٨١) وقد صدر بعنايتنا، ولله الحمد.

(٣) ونسخه الخطية كثيرة جدًا تند عن الحصر.

(٤) الجواهر والدرر (٣/١٠١٧).

(٥) ترجمته في الضوء اللامع (١/٢٨٢-٢٨٨).

(٦) ١/٢٨٥.

(٧) ٢/١٧٤.

(٨) من الكتاب نسخ كثيرة مفرقة على عدة بلدان، انظر الفهرس الشامل.

وشرح أبي الفدا إسماعيل بن إبرهيم بن جماعة الكناني[١]، وشرح كمال الدين ابن أبي بكر بن علي ابن أبي شريف المقدسي[٢].

وشرحه الشمس محمد بن محمد الدلجي العثماني الشافعي[٣]، سماه «الاصطفا لبيان معاني الشفا»، في المكتبة الكتانية مجلده الثاني[٤]، ثم دخل للمكتبة الكتانية مجلده الأول، وكتب على أوله أنه نسخ لمكتبة الزاوية الدلائية، ولعل على أوله خط الأمير محمد الحاج الدلائي رحمه الله، وهو شرح نفيس، حتى قال عنه عالم تونس الشيخ قويسم في سمط اللآل: ربما أقر المحققون من المتأخرين كأقرانه وأترابه بتفضيله وتقديمه على جميع الشروح، وأنه فرد في بابه هـ.

وشرحه الإمام القاضي علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أقبرس الشافعي المصري، المولود عام ٨٠١ بالقاهرة، المتوفى عام ٨٦٢، وهو شرح نفيس في مجلدين، قال السخاوي: إنه تعب فيه[٥] هـ.

---

(١) ولد سنة ٨٢٥، وتوفي سنة ٨٦١، قال الحافظ السخاوي (٢/٢٨٤): وبلغني أنه شرع في شرح الشفا.

(٢) ولد سنة ٨٢٢، وتوفي سنة ٩٠٦، قال الحافظ السخاوي (٩/٦٦) وشرحًا على..... ومختصر التنبيه لابن النقيب، والشفا لم يكملا.

(٣) ترجمته في الضوء اللامع (٩/٢٠٠-٢٠١)، والكواكب السائرة (٢/٦-٧)، وشذرات الذهب (١٠/٣٨٦).

(٤) تحت رقم: ١٣٣٥ ك.

(٥) الجواهر والدرر (٣/١٠١٧).

وقال في ترجمته من الضوء اللامع: كتب على الشفا شرحًا في مجلدين، فيه فوائد[1] هـ.

سماه: «فتح الصفا بشرح معاني ألفاظ الشفا». ورأيت مجلده الأول في زرهون[2]، وكاملًا في تونس، وفي المكتبة العبدلية منه عدة نسخ، ووصف في برنامجها بأنه لم يقتصر فيه على كشف معاني الألفاظ اللغوية، بل تجاوز لكشف ما فيه من المباحث الكلامية والمقاصد التفسيرية والطرف البيانية والأحكام الفقهية والقواعد الأصولية بأجلى بيان، فهو واسطة شروحه، وعليه بنى من بعده كالخفاجي وغيره، وهو في صورة حاشية، أوله: الحمد لله العلي العظيم الذي علم من السر فأخفى. هـ.

---

(١) (٢٩٣/٥).

(٢) بحثت عنه في فهرس الكتب الموقفة على ضريح فاتح المغرب الإمام إدريس الأول رحمه الله تعالى فلم أجده، فلعل المصنف اطلع عليه في مكتبة خاصة من مكتبات زرهون، أو أنه أحد الشرحين المنسوبين لمجهول لم يعرفهما مفهرس المكتبة المذكورة، وهما شرحان، الأول: (ص١٥٨)، والثاني: (ص١٧٤)، كما في الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة المولى إدريس الأكبر بزرهون. **تنبيه**: نشر أحد الروافض كتابًا عن مذهب مولانا إدريس بن إدريس رحمه الله، وهو فيه مقلد لإمامه الذي سبقه بالتأسيس لهذا الضلال فزعم نقلاً عن زيدي أنه دفن في طليطلة، فأثبت جنونه وتناقضه، إذ أن طليطلة من عمل الأمويين أعداء آل البيت رضي الله عنهم كما يزعم هو وحزبه، فكيف يكون الإمام دفينها وله بها ضريح إن هي إلا إحدى كذبات الضُّلال أهل الخبال.

وللعلامة تاج الدين أبي محمد عبد الباقي بن هبة الله عبد المجيد القرشي اليمني[1] نزيل طيبة المتوفى سنة ٧٤٣ تعليق على الشفا، قال السخاوي: فيه نحو ثلاثة كراريس، سماه «الاكتفا في شرح ألفاظ الشفا»[2] هـ.

وقال عنه الحافظ الشوكاني في ترجمته من تاريخه: ضبط ألفاظ الشفا لعياض في جزء[3] هـ. ولعله أول من كتب عليها، ومن العجيب أنه رواه عنه امرأة، وهي: أم الخير رقية بنت يحيى بن مزروع المدنية، ومن طريقها عنه رواه مسند الحجاز أبو علي حسن بن علي العجيمي المكي، كما في ثبته الكبير[4].

وللحافظ الكبير الشمس محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري عليها كتابة، وصفها بنفسه في كتابه الرياض في ختم الشفا للقاضي عياض[5]، قال: قد سودت عليه كتابًا في أربعة أبواب، الأول في غريبه،

---

(١) ولد سنة ٦٨٠هـ، ترجمته في: الدرر الكامنة (٣/١٠٢-١٠٩).

(٢) يعمل على تحقيقه فضيلة الدكتور محمد السرار حفظه الله ووفقه لنشره قريبا بمنه وكرمه.

(٣) (١/٢١٨).

(٤) كفاية المتطلع لما ظهر وخفي من غالب مرويات العلامة العمدة الفهامة الشيخ حسن بن علي العجيمي المكي الحنفي، تخريج صاحبه العلامة تاج الدين الدهان المكي الحنفي ق٦٤، نسخة مكتبة المسجد الحرام الشريف زاده الله تشريفًا وتكريمًا.

(٥) ق١٦باختصار، نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مجموع رقم ٣٠٨.

والثاني في تراجم من فيه من الأنبياء والملائكة وغيرهم، وهما مرتبان على حروف المعجم، والثالث في تخريج ما فيه من الأحاديث، والرابع في بسط مسائله هـ.

وللإمام المحدث الصوفي شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني صاحب «إرشاد الساري» حاشية على الشفا، نسبها لنفسه في المواهب في مبحث الإسراء، انظر صفحة ٢١٣ ج٦[١].

ولحافظ الشام ومسنده في القرن العاشر الشمس محمد بن طولون الحنفي الدمشقي[٢] «الاصطفاء في غريب الشفا»[٣]، قال: جمعت فيه بين التعليقة عليه لأبي اليمن اليماني، والحافظ برهان الدين الحلبي، والتقي الشمني، وولي الله أبي العباس بن رسلان، وهو في مجلدة ضخمة، قال: ثم وقفت على شرح عليه لبعض المغاربة في ثلاث مجلدات، وإن يسر الله عاريته ألحقت زياداته بهذا المؤلف[٤] قاله ابن طولون بنفسه في كتابه «الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون»[٥]: وله «غاية الوفاء في ختم الشفا»[٦]

---

(١) المواهب مع شرح الزرقاني (١٢/٦).

(٢) انظر ترجمته عند المؤلف في فهرس الفهارس (٤٧٢/١).

(٣) منه نسخت بمكتبة الأوسكريال رقم: ١٥٧١ في ٢٤٧، ورقة، ومنه مصورة في مكتبتنا الخاصة.

(٤) الاصطفا (٢/١ق) نسخة الأوسكريال بخط المؤلف.

(٥) (ص٧٤).

(٦) الفلك المشحون (ص١٢٠).

وللإمام عالم الديار المشرقية قاضي مصر الشهاب أحمد بن محمد الخفاجي الحنفي، المتوفى عام ١٠٦٩ شرح واسع البحث عظيم الفوائد، لعله أكبر شروحها، سماه: «نسيم الرياض»[١]، وهو مطبوع في أربع مجلدات ضخام[٢]، واختصره جماعة من المغاربة.

قال عنه ابن عبد السلام بناني أول اختصاره[٣] توخى فيه غالبًا صوب الصواب، مجليًا من أزهاره فرائد العقول والألباب، جامعًا لجميع معاني الكتاب.

وشرح عصريه عالم مكة النور علي بن سلطان الهروي القاري المكي الحنفي، وهو في مجلدين، طبع مرارًا[٤] غلبت عليه فيه النكتة الصوفية والمباحث العربية مع عجمة المؤلف، وهو الشرح الذي لمز وعيب بميلانه وانحرافه فيه عن القول بنجاة الأبوين الشريفين[٥]، ولذلك عنَّ لي أن أثبت هنا أن عالم الجزائر ونادرتها الشمس محمد بن عبد الرحمن الديسي

---

(١) وقفت على نسخة المؤلف بخطه منه بتركيا، وقال المصنف عنه في ترجمته له من فهرس الفهارس (١/٢٧٧-٢٧٨) لا أفيد منه ولا أوسع.

(٢) طبع باصطنبول في أربع مجلدات سنة ١٢٦٧ وبالقاهرة سنة ١٣٢٦.

(٣) يأتي حديث المصنف عنه في فصل الشروح المغربية.

(٤) منها طبعة اصطنبول سنة ١٢٦٤ في مجلدين.

(٥) انظر شرح الشفا له (٢/ ٤٤٩)، وقد ذكر هناك أن له رسالة مفردة في نصرة ما ذهب إليه، كما أنه تعرض لذلك في شرحه للفقه الأكبر المنسوب للإمام الأعظم أبي حنيفة، وقد رد عليه العلامة السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي في كتاب سماه: «سداد الدِّين وسداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين».

البوسعادي[١] أخبرني بزاوية الهامل عام ١٣٣٩ قبل موته بأسبوع أنه لما وقف على كلام القاري المذكور عمل فيهما أبياتًا قال فيها:

عَجِبْتُ لِشَارِحِ الشِّفَاءِ وَمَا اشْتَفَا ... وَإِنَّ الشِفَا يَتْبَعُ السَّمِيعَ مَعَ الْقَارِي
فَقَالَ مَقَالًا فِيهِ قَدْ بَانَ جَهْلُهُ ... أَلاَ فَاعْجَبُوا مِنْ جَاهِلٍ وَاسْمُهُ قَارِي[٢]

وللإمام العارف الكبير الشهاب أحمد بن محمد القشاشي المدني[٣] على الشفا حاشية لم نقف عليها.

وقد رأيت في ثبت عالم الجزائر ومسندها الشهاب أحمد بن قاسم البوني[٤] أنه سمعها على والده حسب روايته لها عن مؤلفها المذكور.

وشرح الإمام عالم الديار الحلبية ومسندها أبو حفص عمر بن عبد الوهاب العُرضي الحلبي[٥]، المتوفى عام ١٠٢٤، وهو في أربع مجلدات ضخام، كل سفر أربعون كراريس في مسطرته إحدى وأربعون،

---

(١) ترجمته في الرحلة الجزائرية (٢/٤٢-٤٤) وفي مواطن أخرى منها.

(٢) ساقها المصنف في كتابه: الإفادات والإنشادات وبعض ما تحملته من لطائف المحاضرات رقم الإفادة ٢٨، وقد تعرض المصنف لنقض مصنفات العلامة ملا علي القاري في كتابه الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة بتوسع وتفصيل.

(٣) توفي سنة ١٠٧١، ترجمته عند الإمام المصنف في: فهرس الفهارس (٢/٩٧٠-٩٧١)، وانظر خبايا الزويا، لصاحبه الإمام أبي علي حسين العجيمي (ص١٢٠-١٢٨).

(٤) ثبت أحمد بن قاسم البوني (ص٦٧-٦٩).

(٥) انظر ترجمته عند المؤلف في فهرس الفهارس (٢/٧٩٢).

سماه «فتح الغفار بما أكرم الله به نبيه المختار»[١] صرف همته به نحو اثني عشر سنة في تأليفه، وأبرز فيه علومًا جمة، وشاع في الآفاق واستكتبه علماء الروم[٢] والعرب، موجود في مكاتب حلب منه عدة نسخ[٣]. أوله: الحمد لله الذي جعل شفاء القلوب في متابعة سيد الأنام وارتياح الأرواح في دفع الشكوك عن القلوب والأوهام والسعادة الأبدية في دك الشبه بالوصول إلى اليقين التام.

قال فيه بعد أن ذكر تسميته له بفتح الغفار على أنني لم أقف له على شرحٍ لهذا الكتاب، سُلِكَ فيه ما يَليق به من البيان، ويُظْهِر خفِيّاتِه ويوصِلُها إلى الأذهان؛ سِوى أنّ شيخَ أشياخِنا قطبَ الدّين عيسى الإيجِيَّ كتب على قطعةٍ منه وَصل إلى أثناء الباب الثاني منه، وذلك قدْرٌ يَسير، ثم قال: وقد جاء هذا الشرحُ مُشتمِلًا على أمور:

الأوّل: ما هو وظيفة الشُّرّاح من بَيان مَقصودِه وإظْهار مُرادِه.

---

(١) هذا الشرح تشرفنا بالعمل فيه في دار الحديث الكتانية مع مؤسسة جائزة دبي للقرآن الكريم على نسخه الخطية، وفي مقدمتنا له تفصيل خبره يسر الله نشره.

(٢) من صور استكتاب علماء الروم له نسخه الخطية الموجودة بمكتبات الأستانة، فمنه نسخةٌ تامةٌ في ١٢ مجلدًا بمكتبة نور عثمانية، وهي مصورة في مكتبتنا، ومنه نسخة في مكتبة شهيد علي باشا في مجلدين. وهو مصور في مكتبتنا أيضًا ولله الحمد.

(٣) لقد أتينا على توصيف نسخه في مقدمتنا الدراسية للكتاب. وأشار المصنف في تاريخ المكتبات (ص٣٣٨) إلى وجود مجلد منه بمكتبة صاحبه العلامة بلحسن النجار.

الثّاني: إيضاحُ ما استعْمَلَه من اللُغاتِ الغريبة، وارتكَبه من الأساليب العجيبة.

الثّالث: ردُّ ما أشكَل من تراكيبه إلى قواعد علم العربية.

الرّابع: ترجمةُ مَن ليس مشهورًا من الرِّجال الذين جرى ذِكرهم فيه.

الخامِس: بيانُ وَجْه استِشهاده بالآياتِ القُرآنيّة، والأحاديث النّبوِيّة.

السّادِس: أن المصنِّف يورِدُ الأحاديثَ والآثار، ويُشير إلى القَصَص والأخْبار، غيرَ معزُوَّةٍ إلى تخريجِها، وهذا هو الغالِب على صَنيعه. ولم أدَعْ - ولله الحمد - حديثًا ذكرَه غيرَ معْزُوٍّ إلا عزَوْتُه إلى مُخَرِّجه، وبيَّنتُ كَونَه صحيحًا أو حسَنًا أو ضعيفًا؛ كما ستقِف على ذلك كلِّه. وكذلك أفعَلُ في الآثار والقَصَص.

السّابِع: أنه لا يذكُر من الحديث إلا محلَّ الشاهِد، وقد يكونُ الحديثُ طويلًا، فأنا أذكُر الحديثَ جميعَه، وفي ذلك فائِدة عظيمة، لأنه ربما يكون الاستِشْهادُ به خَفِيًّا، فيظْهَر بذِكر الحديثِ كلِّه.

الثّامِن: أنه ربما ذكَر مدَّعًى بغير دليل، فأنا أذكُر لِمُدَّعَياتِه دلائِلَ مُتعدِّدة؛ وربما ذكَر دليلًا فيه نظَر، فأنا أذكُر لمُدَّعَياتِه دلائِلَ مَتينة.

التّاسِع: استِقْصاءُ ما أورَد فيه من المَباحِث المُتعلِّقة بالاعتِقاد، والإشْكالاتِ الوارِدة في الأحاديث والآثار التي استشهَدَ بها، وذِكرُ ما يتعلَّقُ بها من أي فَنٍّ كان؛ كما سترى ذلك مفَصَّلًا في مَحالِّه[1].

---

(١) فتح الغفار نسخة مكتبة نور عثمانية باصطنبول.

وعالم الديار المصرية ومحدثها الشهاب أحمد بن خليل السبكي الأنصاري الشافعي، له عليه حاشية في مجلد، رأيتها في المكتبة العربية بقسمطينة[١]، وفيها فوائد، سماها «منهج الحنفا إلى شرح ألفاظ الشفا»[٢]، ألفها لما طلب منه إقراء الشفا بالأزهر عام ١٠٠١، وأتمها عام ١٠١٠.

وممن شرحها أيضًا العلامة الأنطاكي[٣]، والعلامة الصفوي[٤]، والعلامة الحجازي مختصر الروضة، في أكثر من ستة كراريس[٥]، وكذا العلامة سليم الحنفي[٦]، رأيت اسمه في برنامج مكتبة السلطان الفاتح بالآستانة.

---

(١) ذكر الإمام المصنف التعريف بها في كتابه: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب (ص٣٢٩ - ٣٣٠).

(٢) ومنه نسخ كثيرة، منها نسخة بمكتبة مراد ملا تحت رقم ٦٢٧ نسخت ١٠٢٩، وأخرى في ولي الدين أفندي تحت رقم ٦٧٢، كما في معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات اسطنبول وأناضولي (١/١١٣)، ورأيت منه نسخة في مكتبة جوتا بألمانيا.

(٣) هو محمد بن محمد الأنطاكي الرومي البرسوي الحنفي، المعرفو بعرب زاده، توفي سنة ٩٦٩هـ، انظر ترجمته في: العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم بهامش ابن خلكان (٢/١١٩ - ١٢٤).

(٤) هو الإمام عيسى بن محمد بن عبيد الله الإيجي، توفي سنة ٩٥٥، انظر ترجمته في: شذرات الذهب (١٠/٩٢٧-٩٢٨)، والكواكب السائرة (٢/٢٣٣-٢٣٥).

(٥) سبق ذكره والتعريف به.

(٦) تحت رقم (٤٩/٨٣٧) كما في الفهرس الشامل (١/٥٠٠).

وكذا ابن العُمك[١] بضم العين وفتح الميم له تعليق، وهو في أربعة كراريس.

وللعلامة الكبير الشيخ بدر الدين الهندي أكبر تلاميذ عالم الهند، الشيخ عبد الحكيم السيلكوتي محشي البيضاوي، ترجمه تلميذه أبو سالم العياشي في رحلته قائلًا فيه:

كان أيام مجاورته بالمدينة مشتغلًا بكتابة شرح على الشفا للقاضي عياض[٢] هـ.

قال: وأخبرني بعض أصحابنا أن بيته الذي كان يسكن به في الرباط المقابل للحجرة الشريفة فيه كوة تقابل الحجرة، وكان يجلس وقت التصنيف بإزائها مكشوف الرأس، مستقبل الحجرة بأدب وتواضع، فكأنه يستجد الحضرة النبوية، وما أجدر بحصول المراد من طالب نفسه بالقيام بأدب الحضرة النبوية، وأشعر نفسه بعض ما لها من التعظيم والإجلال والإكبار. هـ منها الجزء الأول آخره.

---

(١) قال الحافظ السخاوي في الرياض (ق١٥) نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة النبوية المنورة: وهو بضم العين وفتح الميم، وأظنه يمانيا، بل رأيت من زعم أنه ابن عبد الباقي الماضي فالله أعلم. قلت: ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه جامع الشروح والحواشي (ص١٤١٦) أن منه نسخة بمكتبة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار بحضرموت، وتقع في ٣٥ ورقة، وعند مقابلة النسخة بشرح ابن عبد الباقي اليماني تبين أنه هو هو، وقد تفضل الأستاذ زيد بن يحيى بتصوير أول هذه النسخة، فجزاه الله خيرًا.

[redacted]

ولعالم مصر ومحدثها الشيخ عبد الرؤوف المناوي المتوفى ١٠٣١، شرح الباب الأول من الشفا، ذكره له المحبي في خلاصة الأثر[١]، ثم صاحب عقود الجوهر ممن لهم خمسين تصنيفًا فمائة فأكثر[٢] (ص٢٦٠).

وعالم حلب ومحدثها ومسندها الشيخ عبد الكريم الشراباتي الحلبي[٣]، له حاشية على الشفا.

وممن كتب عليها من المتأخرين بمصر شيخ كثير من شيوخنا محدث مصر؛ النور حسن بن علي العِدْوي الحمزاوي المالكي الأزهري[٤] المتوفى عام ١٣٠٣، له عليها تعليق سماه: «المدد الفياض بنور الشفا للقاضي عياض»، ألفه باقتراح الشيخ مصطفى الذهبي، قصد به ضبط الصحيح وفك ما يعجم من ألفاظه اللغوية؛ مع بذل الجهد في تصحيح متنه مع الشكل، قال: وبذلنا الوسع في تفتيش أصح المتون منه في مصر، فحصل على

---

(١) (٢/٤١٤).

(٢) هو لصاحب المؤلف العلامة جميل بيك بن مصطفى العظم الدمشقي دفين بيروت وقد روى عنه المصنف في الإفادات والإنشادات رقم الإنشادة ١٠٩.

(٣) ولد سنة ١١٠٦، وتوفي سنة ١١٧٨، انظر ترجمته في: سلك الدرر (٢/٦٣-٦٤)، وفهرس الفهارس (٢/١٠٧٦-١٠٧٧)، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧/٣٨-٤٠)، لصاحب المؤلف وتلميذه مؤرخ حلب العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله، وقد اختصر ثبته إنالة الطالبين، وضمنه كتابه الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية، وطبعه.

(٤) وولد سنة ١٢٢١، ترجمته في اليواقيت الثمينة (ص١٢٦-١٢٧)، شجرة النور الزكية (١/٤٠٧).

الإسعاف الرحماني بوجود نسخة مصححة على الأصل، وكان يرجع إليها علماء العصر[1].

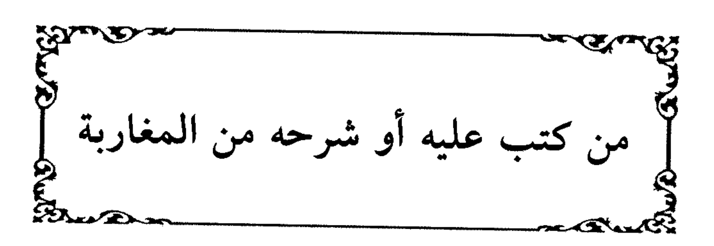
وقد قرظه لما طبع علامة مصر الشيخ عبد الهادي الأبياري بقطعة آخرها:

قد راق طبعا حين لاح فأرخوا   طبع الشفا بالشرح أحسنه حسن

١٨   ٨١ ٤١٧ ٥٤١ ١٢٤ ١١٨

سنة ١٢٧٦.

(١) المدد الفياض ص٣ الطبعة الحجرية المصرية.



من كتب عليه أو شرحه من المغاربة

وممن كتب عليه من المغاربة عالم البلاد وفخرها الشمس محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني، المتوفى بمصر عام ٧٨١ وهو شرح واسع، إلا أنه لم يكمله، قال عنه ابن الخطيب في الإحاطة: استبحر فيه، وأكثر النقل، وبذل الجهد[١]. هـ

وقد ترجم لابن مرزوق هذا الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة وقال: وقدم علينا حفيده محمد بن أحمد بن أبي عبد الله بن مرزوق القاهرة، وحج بعد العشرين، وكان قد وقع لي شرح الشفاء بخط جده فأتحفته به، وسر به سرورًا كثيرًا[٢].

وقد قال عنه الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر[٣] في ترجمة شيخه الحافظ ابن حجر: وقدم عليه - أي: الحافظ العلامة محمد بن أحمد بن أبي عبد الله محمد بن مرزوق حفيد العالم - فأتحفه بشرح الشفا لجده العلامة المتفنن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق بخطه، وسر به سرورًا كبيرًا.

قال السخاوي: قلت: وهذا الشرح ما رأيته. هـ

---

(١) (٣/٩٥).

(٢) انظر (٥/٩٦) دائرة المعارف الهندية.

(٣) (٣/١٠١٦).

وهذا الشرح هو الذي سبق ذكره عن الإفادات والإنشادات للإمام النظار أبي إسحاق الشاطبي أنه لما شرع فيه كتب إلى أهل الأندلس يطلب منهم إفاضة القول في مدح الشفا؛ ليجعل ذلك مقدمة لشرحه المذكور. راجع ما سبق[١].

والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان، - وهو الأسمر بلغة البربر - الراشدي التلمساني[٢]، له عليها شروحٌ ثلاثةٌ في عدة مجلدات، سمى أحدها «بغية أهل الصفا» وهو الصغير، وسمى الكبير «الغنية» وهو في مجلدين[٣].

ووقفت على طرة بهامش فهرس العالِم المقري أبي زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة الفاسي[٤] على اسم جده التاسع المذكور في عمود المؤلف، وهو عيسى بن مخلوف بن علي بن الحسن الذي كان موجودًا في القرن التاسع أنه هو المحشي على شفاء عياض.

---

(١) وقد ذكر بروكلمان أن بمكتبة جوتا نسخة من شرحه فوهم في ذلك فقد زرت المكتبة وقلبت مخطوطاتها علّي أظفر به بل كان هو سبب رحلتي وسفري إليها فلم أجده، ثم سألت شيخنا العلامة نظام يعقوبي العباسي الشافعي حفظه الله أن يحقق لي خبر وجوده عند زيارته للمكتبة، فنفى وجوده وأرجع سبب الوهم أن فهرس جوتا ذكر فيه المفهرسون ما كتب على الشفا من شروح وأعمال وإن لم تكن بالمكتبة.

(٢) توفي سنة ٨٦٨، انظر: وفيات الونشريسي (ص١٤٧) ولقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لابن القاضي (ص٢٦١).

(٣) قال الحافظ المقري في أزهار الرياض (٤/٣٠٨): وقفت عليه بخطه.

(٤) انظر ترجمته في فهرس الفهارس للمؤلف.

وأبو عبد الله محمد بن علي ابن أبي الشرف الحسني التلمساني[١]، من تلامذة السنوسي وابن غازي، كان حيًا عام ٩٠٢، سماه: «المنهل الأصفا في شرح ما تمس الحاجة إليه من ألفاظ الشفا» وهو موجود في المكتبة الكتانية في مجلدين[٢]، اشتمل على فوائد.

والحافظ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سعيد بن الحسن بن يحيى بن معاوية، البرنسي الصنهاجي المعروف بالزموري[٣]، كان حيًا عام ٨٦٨، وقفت عليه بالصويرة، وهو في مجلد ضخم، سماه «إيضاح اللبس والخفا»، وقد اعتمده التلمساني، وهو ما كان بيده من شروحها.

وممن كتب عليها من المغاربة أيضًا أبو الحسن علي بن أحمد بن أحمد الأندلسي المالقي، وسماه «برج الخفا في شرح الشفا»، ثم اختصره، انظر الكلام عليه في مختصري الشفا[٤].

وممن شرحها أيضًا العلامة أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني، قال عنه الحافظ السخاوي في

---

(١) ذكر صاحب نشر المثاني أن وفاته كانت سنة ١٠٥٢، انظر (١١/٢) منه، وهو بعيد، لأنه أتم شرحه سنة ٩١٧، وفي كفاية المحتاج (٢٢٥/٢) أنه كان حيًا سنة ٩٢٠، وترجمه صاحب نيل الابتهاج (٢٨١/٢).

(٢) تحت رقم: ١٣٤٠ ك. ونقل صاحب توشيح الديباج (ص١١١) عن التلمساني في شرحه للشفا تحليته له بالحافظ.

(٣) ترجمه التنبكتي في نيل الابتهاج (٢٥٣/١)، وذكر أنه وقف على شرحه بخطه، وأنه كان حيا سنة ٨٨٨.

(٤) ذكر المؤلف اختصاره للشفا في كتابه: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب (ص٣٣٠-٣٣١).

الجواهر والدرر[١]: شرحًا حافلًا، لكنه لم يكمله، والموجود منه في أوقاف المؤيدية من أوله إلى بعد قوله: فصل في حسن خلقه عليه السلام، في نحو خمسة عشر كراسًا [٢]. هـ

والعالم الجليل قاضي فاس أبو الخير محمد بن غالب بن أحمد بن علي بن أحمد المكناسي العياضي المعروف بابن السكاك، المتوفى بفاس عام ٨١٨، له شرح على الشفا[٣]، أحال عليه هو بنفسه في كتابه المسمى «استخراج كنز الملوك والأمراء والحجاب»[٤]، وهو صاحب نظم ملوك الإسلام، الكبير والصغير.

ولقاضي تونس أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع، الأنصاري، التلمساني الأصل، التونسي التخريج والمدفن، كتاب «تذكرة المحبين

---

(١) (١٠١٦/٣).

(٢) يوجد المجلد الأول منه بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: ٤٠١٦، وعلى النسخة تملك صاحب المكتبة الضخمة التي تفرقت بعده شذر مذر العلامة شرف الدين بن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهي تقف عند الفصل الرابع في نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ﷺ. ومن الشرح نسخة بتونس في جامع الزيتونة تحت رقم: ١٣٢١ كما في مقدمة رحلة التيجاني، للمستجيز من المؤلف العلامة المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب الصمادحي ٣٣.

(٣) ماذكره بروكلمان من وجود الكتاب بمكتبة جوتا غير صحيح، فهو من جنس خطيئة الذي سبق بيانه لدى ذكر شرح ابن مرزوق.

(٤) تتمة عنوانه: بالتعريف بأذكار يتوصل بها إلى فوز الدارين أرباب الألباب. وسبقت ترجمته، ومن الكتاب نسخة في مكتبة الإمام المصنف رقم: ٩٠ ك.

في شرح أسماء سيد المرسلين» قال في أوله: قصدت فيه شرح بعض أسماء المصطفى وما وقع من ذلك في كتاب الشفا شرحًا ذكرت فيه اشتقاقها ومعانيها وما يليق بمدلولها ويشير إليه فحواها، وما يصلح للمريد أن يتخلق به[١]، وهو كتاب نفيس، موجود في المكتبة الكتانية[٢].

وللعلامة النظار أبي حامد العربي ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي شرح على الشفا، لم يكمله[٣].

والعلامة الأديب الكبير أبو عبد الله الشرقي ابن الشيخ أبي بكر الدلائي، المتوفى سنة ١٠٧٩ بالدلاء أو فاس[٤]، وقد وصف شرحه هذا صاحب البدور الضاوية[٥] بقوله: شرحٌ حافلٌ.

وقد أشار إلى شرح الشرقي المذكور على الشفا العلامة اليازغي في منظومته في الدلائيين فقال:

قد شرح الشفا بشرح أحفل   أوضح فيه كل معنى مقفل[٦]

وفي ترجمة العلامة النحرير الأصولي الأديب السيد الشرقي بن الشيخ سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي المتوفى عام ١٠٧٩ من

---

(١) (ص٣٩) تحقيق د محمد رضوان الداية.

(٢) تحت رقم: ٣٧١ك.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) ولد سنة ١٠١٩، كما في البدور الضاوية.

(٥) ق ٤٢٩ نسخة جامعة هارفرد.

(٦) المسماة بحدائق الأزهار الندية في التعريف بأهل الزاوية الدلائية البكرية، وهي مضمنة بأول البدور الضاوية، نسخة جامعة هارفرد ق ٨.

«النزهة»[1] للتازي كان في العلم آية من آيات الله، قال: ومما يدل على باعه المديد في العلم أنه شرح الشفا في سفرين بشرح رائق بديع. هـ

١٢٠ وترجم التازي المذكور لأخيه العالم الصالح الأديب أبي عمرو ابن العالم العارف الكبير الصدر الشهير الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي له شرح على الشفا لعياض جيد جدا، أبدى فيه وأعاد حتى إنه لم يشرحها أحد مثله هـ.

وممن كتب على الشفا من المغاربة العلامة أبو عمران موسى بن محمد الراحل، الدغمي العبدلوي الحواري السلوي، وهو في مجلد كبير، وقفت عليه بأبي الجعد عام ١٣٥٥ وعلى أول النسخة المذكورة تمليك الشيخ المعطى بن الصالح بخطه، وهي قديمة، إلا أن النسخة فيها تصحيف، وكأنها فريدة لأني لا أعلم وجود نسخة أخرى[2].

أوله: نحمدك يا من شفا صدورنا مما عليه أهل الضلال شفاء يقينا منه من الوقوع في الزلل، قال في أوله: لما طمست معالم العلوم في هذه الأعصار ودرس أعلامها في البوادي والأمصار، وصارت أودية الجهل

---

(١) هو نزهة الأخيار المرضيين في مناقب الدلائيين البكريين» مؤلفها هو عبد الودود بن عمر بن أحمد الأندلسي الأصل الشفشاوني ثم الفاسي، توفي سنة ١٢٤٧هـ، من كتابه هذا نسختان في المكتبة الكتانية واحدة ضمن مجموع ١٢٦٤/٧، وأخرى ضمن مجموع أيضًا رقم ٢٣٥١. انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب (٢٢/٢).

(٢) منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ٢١٤١ د، ونسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم ٣٥٥ ضمن مجموع، انظر فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية (ص٥٩/٦٠).

عـامرة، وأنديـة العلـوم غـامرة، إلـى أن وصـل لذكرشـيخه أبـي سـرحان مسعود بن محمد بن علي جموع الفاسي فأطراه، قال: فلازمته عندما ورد علينا لسلا عام ١١١٨.

وقرأ عليه كتاب الشفا في جماعة من طلبة سلا بزاوية الولي الصالح القطب الواضح الناصح المتبرك به حيا وميتا شيخنا ووسيلتنا أبي العباس أحمد حجي، وقرأنا عليه كتبًا كثيرة، وحين طالع في جملة تواليفه هذه الحواشي المقيدة بخط يده على كتاب الشفا التي انتقاها من شروحه، ومن تقارير مشايخه وودت أن لو نظمه في سلك تصنيف ويرتبه ترتيب تأليف لكن لما رأيت انشغاله عن ذلك بمهمات أشار علي بجمعها، فجمعتها بعد الاستخارة معترفًا بأني ليس لي فيها إلا النسخ والترتيب، على أني لم أعدل عن لفظه ولو بكلمة ولم أزد فيها على ما قيد إلا أحرفًا قليلة.

ثم قال: وقد أجازني بالشفا بعد أن قرأتها عليه وأخبرني أنه أخذ جميعه عن شيخه أحمد بن حمدان التلمساني عن أبي سعيد المرغثي عن ابن طاهر المدغري عن الجنوي عن سقين عن ابن غازي إلخ، وسماها «مناهج الصفا في التقاط درر الشفا» ورمز بالشين للشهاب الخفاجي وبالدال للدلجي وبالحاء للحلبي وبالشين للشريف التلمساني.

وقد ترجم للدغمي المذكور صاحب «إتحاف الملا بأخبار الرباط وسلا»[1] فقال فيه: ممن تجملت سلا بمثله ونالت الخير بحسن عدله،

---

(١) من إتحاف الملا للعلامة الفقيه المؤرخ المستيجز من المصنف محمد بن علي الدكالي، نسخة المكتبة الكتانية، تحت رقم: ٢٣٩١ ك.

وهـو فقيـه ... مـشارك موثـق سـهل الجنـاب ناسـك، وجمـع الحاشـية المعروفـة علـى الـشفا، لهـا النهـى مـصروفة، وهـي التـي لـشيخه جمـوع، رأيتها في أجمل الترصيع، انتهى من خط مؤلفه.

ولما ترجم عالم سلا أبو العباس أحمد بـن عاشـر الحـافي الـسلوي فـي فهرسـته[١] لـشيخه العـالم المحـدث الـسيري الناسـك، الأسـتاذ أبـي سرحان مسعود بن محمد جمـوع، الفاسـي أصـلا، دفـين سـلا، المتـوفى عام ١١١٩، قال: له تصانيف، فعد منها حواشي على الشفا هـ. فانظر هل هما الطرر التي جردها الدغمي أو حواشي مستقلة.

ومـسند فـاس أبـو الحـسن علـي بـن أحمـد الحُرَيْـشِي الفاسـي دفـين المدينة[٢]، له عليها شرح في مجلدين كبيرين، وهـو موجـود فـي المكتبـة الكتانية[٣] جله، اختصره من شرح الشهاب، وزاد عليه فوائد عن مـشايخه من الفاسيين وغيرهم، وسماه: «الفـتح الفيـاض فـي شـرح شـفاء القاضـي عياض».

والعلامة الأديـب الكبيـر الـشمس محمـد بـن محمـد بـن محمـد بـن عبد الرحمن الدلائي، ترجمه أبو الربيع الحوات فـي البـدور الـضاوية فـي أهل الزاوية الدلائية، فذكر أنه شرح الشفا،ولم أقف عليه.

---

(١) ذكـره المـصنف فـي فهـرس الفهـارس (٨٤١/٢)، ولـه ثبـت، عنـدي منـه نحو ثلاثة كراريس، وهو في المكتبة الكتانية تحت رقم: ١٤٢١ ضمن مجموع من ٢٥١ إلى ٩٠٨.

(٢) ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (٣٤٢/١-٣٤٤).

(٣) تحت رقم: ١٣٣٤ ك.

وعصريه المعمر شيخ الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي[١]، اختصر أيضًا شرح الخفاجي في مجلدين، موجودٌ بالمكتبة الكتانية أكثره[٢]، سماه: «لقط الحياض من أزهار نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض».

وتلميذه محدث المغرب وحافظه العالم الأثري؛ الشيخ أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي الحسيني الفاسي دفين الزاوية الصقلية بها.

ذكر تلميذه ابن عبد السلام الناصري الدرعي في الاستدعاء الذي كتبه له عادًّا ما له من المؤلفات: وتعليق على الشفا في المبيضة. وله على المناهل تعليق أيضًا لما رأى من أن صاحبه يخرج الحديث وينسبه لغير أهل الصحيح وهو في الصحاح، ثم يستدرك عليه الشيخ ذلك، إذ بيض الحديث بذكر من خرجه ولأمور أخرى، ومن خطه المتبوع بإجازة المجيز نقلت.

قلت: وقفت على عدة نسخ من الشفا عليها بخط الحافظ العراقي المذكور ما لو خرج لكانت حاشية كبيرة، منها نسخة في مكتبة القرويين، ومنها نسخة في المكتبة الكتانية.

والعلامة المؤرخ المسند الرحال راوية سوس الأقصى أبو عبد الله محمد بن أحمد الحُضيكي السوسي[٣] المتوفى عام ١١٨٩، له عليها

(١) ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٢٢٤-٢٢٧).

(٢) تحت رقم: ١٤٥٦ ك.

(٣) ترجمه المصنف في فهرس الفهارس ترجمة حفيلة في كتابه فهرس الفهارس (١/٣٥١-٣٥٣)، وللمصنف كتاب سماه نفح العطر الذكي، من تلخيص فهرس الحضيكي واليابوركي.

حاشية، وهي من جمع تلميذه محمد بن الحسين اليَبُرْكي الهشتوكي السوسي بإذنه، وهي في جزء، رأيت تسميته في برنامج مؤلفاته ومكتبته.

وتلميذه العلامة أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله التملي الجشتيمي الجزولي السوسي، له عليها شرح، رأيت اسمه في برنامج المكتبة السلطانية[1] بفاس الذي جمع عام ١٣٢٨.

ونادرة المتأخرين العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي الرباطي، وقفت على تعليق له على الشفا بخطه، وهو في المكتبة[2]، قال في أوله: هذا ما اشتدت إليه حاجة من يريد سرد الشفا كل وقت من حل ألفاظها الخفية، والاقتصار على ما لا بد منه من النقل إلخ.

والعالم الجليل المدرس النفاعة الناسك الخطيب المسن، أبو عبد الله محمد التهامي بن المدني جنون الفاسي، المتوفى عام ١٣٣١، له عليها تعليق في جزء[3]. وصفه بعض الآخذين عنه بقوله: في مجلد

---

(١) لعلها النسخة التي آلت إلى الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم: ١٦٩٩، كما في كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية (ص٢٥٧)، والنسخة بخط حفيده محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، فرغ منها سنة ١٢٨٩، كما في فهرس الكتب المخطوطات في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية (ص١٧٣).

(٢) تحت رقم ٢١٩٩ ك.

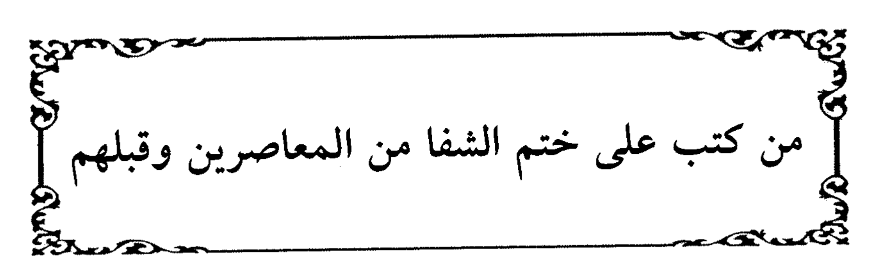
(٣) منه نسختان بمكتبة حفيده العلامة عبد الله كنون بمدينة طنجة، برقم: ١٠٥٣٠، ونسخة أخرى برقم: ١٠٦١٧.

ضخم، جامعة لفرائد نفيسة لا توجد في غيرها، ونكات شريفة ما قلدت إلا في نحرها، سماها: «المورد الأصفا ببيان ما تمس إليه الحاجة من ألفاظ الشفا» هـ.

ولصديقنا العلامة نادرة العصر في الحفظ والمشاركة والأدب الغض وبليغ النفع الشمس محمد بن عبد الرحمن الديسي البوسعادي الهاملي، المتوفى بزاوية الهامل من صحراء الجزائر عام ١٣٤٠ شرح على الشفا، ذكره له الشيخ ابن يوسف الكافي في شرحه على عقيدة المذكور(١).

---

(١) إيقاظ الوسنان الفاتح لمنظومة التوحيد لابن عبد الرحمن، طبع بدمشق.



من كتب على ختم الشفا من المعاصرين وقبلهم

ولعلامة قسمطينة المعمر أبي الحسن علي الونيسي شارح البخاري المتوفى عام ١٢٢٣ ختم الشفا، ذكره له صاحب تعريف الخلف[١].

ولصديقنا الفقيه الأديب اللغوي المؤرخ القاضي أبي محمد عبد القادر بن قاسم الدكالي ختم الشفا.

ولصديقنا أيضًا قاضي المالكية بتونس الفقيه الماجد الأصيل المدرس النفاعة الوجيه أبي عبد الله محمد الصادق النيفر التونسي المالكي[٢] كتابة على خاتمة الشفا في ورقات، وهي مطبوعة بتونس.

ولشيخنا الأستاذ الوالد أبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني مقدمة في افتتاح تدريس الشفا[٣].

ولصديقنا الفقيه الخطيب الصوفي الجوال المرشد الناسك أبي محمد فتح الله بن أبي بكر البناني الرباطي «تحفة أهل الاصطفا بمقدمة

---

(١) انظر (ص٢٩٤) منه.

(٢) انظر ما صدرت به إجازة الحافظ الإمام المصنف له، المسماة بنور الحدائق في إجازة محمد الصادق (ص١٢-٢٨).

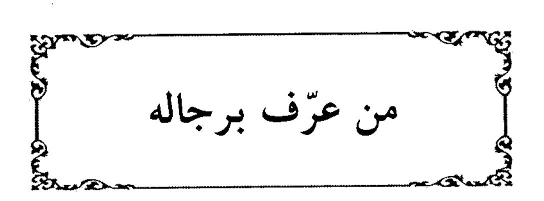
(٣) هذه من فوائد كتابنا، فلم يذكره المصنف في ترجمته لوالده من فهرس الفهارس، ولا المظاهر السامية.

فتح الشفا» في ورقات، وهي مطبوعة عام ١٣٤٨ بالرباط مع «رِفد القاري بمقدمة افتتاح البخاري» له أيضًا.

وللحافظ السخاوي «الانتهاض في ختم الشفا لعياض»[١] بل له مصنف آخر حافل سماه: «الرياض»[٢] ذكر ذلك في ترجمته من الضوء اللامع، انظر الجزء ٨ ص ٢٢، وقد تكلم على هذا الختم السخاوي في كتابه الإعلان[٣] فقال لما ذكر الشفا: وقد شرحت شأنه وبيان من كتب عليه في مؤلف له في ختمه هـ.

وقال السخاوي أيضًا في كتاب الجواهر والدرر[٤]: وعملت مجلسًا لطيفًا في ختم الشفا هـ.

(١) طبع ضمن لقاء العشر الأواخر سنة ١٤٢٢هـ و٢٠٠١م بتحقيق د عبد اللطيف بن محمد الجيلاني.
(٢) منه مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بيك ضمن مجموع رقم: ٣٠٨ وقد أعلن د الجيلاني في سنة ٢٠٠١م عن إخراجه في القريب العاجل، ولم يخرج بعد.
(٣) الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص٩١).
(٤) ٢/١٢٧٢.



من عرّف برجاله

للحافظ السخاوي كتابٌ في تراجم ما اشتمل عليه الشفا من الأنبياء والملائكة وغيرهم، ذكره هو من مصنفاته لما عرف بنفسه[١].

ثم تصدى إمام عظيم من رجال القرن الحادي عشر وأول الثاني بعده بجمع تراجم الرجال المذكورين في الشفا، وهو عالم الديار التونسية ومحدثها وفخرها الشيخ قويسم بن علي التونسي[٢] المتوفى عام[٣] ١١١٤ عن ٨١ سنة، فجاء كتابه في أحد عشر مجلدًا ضخمًا، وهو كتاب جامعٌ بالغَ مؤلفه فيه جهده، وأفرغ له عمره، مكث في تصنيفه أربعة عشر سنة، وقد اشتمل على تراجم مشاهير الأنبياء والفقهاء والصالحين، بل والطالحين والفراعنة والملوك والجبابرة والنساء، وكل من وقع له ذكر في الشفا، وهو موجودٌ بتمامه في مكتبة تونس، وقفت عليه بها، وفي مكتبة باش تارزي[٤] بقسمطينة منه أربع مجلدات، أحدها

---

(١) الضوء اللامع (١٧/٨).

(٢) ترجمته في: ذيل بشائر أهل الإيمان في فتوحات آل عثمان (ص١٩٥-١٩٦)، والحلل السندسية (٢/٦٧٧-٦٨٢) وعنوان الأريب (٢/٦ -٨)، وشجرة النور الزكية (١/٣٢٠)، وكتاب العمر (٣/٥١٥-٥١٧)، وحواشي محققيه وتراجم المؤلفين التونسيين للأستاذ محمد محفوظ (٤/١٢٧-١٣٠).

(٣) في نسخة أ ١١١١.

(٤) تاريخ المكتبات الإسلامية (ص٣٢٩).

بخط المؤلف، وقد وقفت عليه بها. وفي المكتبة الكتانية منه أربع مجلدات[١].

وقد اختصره تلميذ تلامذة مؤلفه الشيخ أحمد أبو راوي في جزئين[٢]، وما أجدر الأصل واختصاره بالطبع، فإنه كتاب من غرر كتب التونسيين التي تفتخر بها الزيتونة والقطر التونسي، لأنه دائرة معارف إسلامية واسعة الأطراف.

وليكن القارئ هنا على بال من أن شرح الشفا للخفاجي والقاري وحتى التلمساني وغيرهم فمن دونهم يقع لهم من الأغلاط الفادحة في التعريف برجال الشفا المذكورين فيها ما لا يحتمل من مثلهم، وخصوصاً الخفاجي، والعذر لهم في ذلك بُعْدُ الديار وانعدام كتب رجال الأندلس من مكاتبهم أو المكاتب العامة ببلادهم، فإنا اليوم بعد ظهور المجموعة الأندلسية[٣] نجد أكثر شراح الشفا يخبطون خبط عشواء في كثير من

---

(١) تحت رقم: ١٣٧٦ ك.

(٢) يوجد مجلدٌ منه في المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم: ١١٨٣٤ (أحمدية ١٣٣٨)، انظر كتاب العمر لصاحب المؤلف والمستجيز منه العلامة المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب (٣/٥٢٥-٥٢٦).

(٣) يقصد ما طبع في وقته من كتب التراجم الأندلسية؛ كتاريخ ابن الفرضي، وصلة ابن بشكوال، والتكملة لابن الأبار، وغيرها من المصادر الأندلسية. وقد كان للإمام المؤلف يد بيضاء على العلم وأهله في خصوص المكتبة الأندلسية في حياته العامرة، فنشرت تتمة التكملة الأبارية عن نسخة خزانته النفيسة في الجزائر بعناية العلامة محمد أبو شنب الجزائري والمستشرق الفرنسي ألفريد بيل، ونشرت قطعة هامة من صلة الصلة للحافظ ابن الزبير الغرناطي عن نسخته وبإرشاده وتوجيهه للمستشرق الفرنسي ليفي =

التراجم والأنساب والوفيات مما يقضى منه العجب، وزاد في الطين بلَّة عدم وقوفهم على فهرس القاضي عياض المعروف بالغنية، وهو موجود في المكتبة الكتانية،[١] فلو كان بيدهم ووقفوا لِتَتَبُّعِهِ لَحَال بينهم وبين كثير من الأغلاط الفادحة التي وقعوا فيها، ولكن لا عجب من مثل الخفاجي والقاري، بل ممن هو أكبر منهم وأعظم!

وفي «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» لتلميذه السخاوي أنه التمس منه العلامة أبو البركات العراقي رحمه الله إفادة ما أغلق على حافظ البلاد الحلبية الأمر فيه في شرحه على الشفا، ومعظمه في الرجال، وكأن المصنف كان أوصى أبي البركات بذلك، ففعل ذلك في كثير منها، ثم تشاغل عن باقيها، لكنه التمس من السائل إفرادها في كراسة ليسهل الأمر عليه في مراجعتها، وما أظنه تيسر. هـ من الجواهر والدرر.

وكل هذا يدلك على اهتمام هؤلاء الحفاظ؛ البرهان الحلبي والحافظ ابن حجر، وناهيك بمقدرتهم ومزيد اطلاعهم برجال الشفا ومعرفة تراجمهم، وسبب ذلك بُعد الديار وقلة المواد في رجالات الأندلس والمغارب الثلاث، وطبقات المالكية، خصوصًا من جاء بعد عياض وفات إدخاله في المدارك، والكمال لله.

= بروفينصال، إلى غير ذلك من الجهود والأعمال التي تضمن ما وصلنا خبره، منها كتابنا تاريخ المكتبة الكتانية.

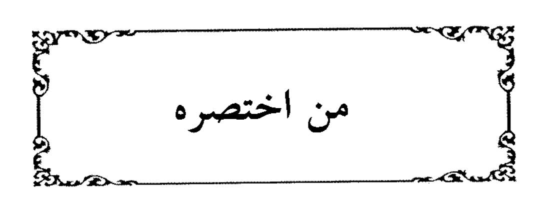
(١) هو في المكتبة الكتانية تحت رقم ٣٣٣٢، ووقفت على نسخة مفرعة عن أصل الحافظ المصنف بخط تلميذه العلامة الأديب مولاي أحمد النميشي، وهي اليوم في مكتبة علال الفاسي تحت رقم٢٦٣، وقد نقل من هوامش شيخه الحافظ على الأصل كما في ٥٢٩ق منها.

ولا زال المشارقة إلى الآن وحتى الساعة لا يكاد يُشِذُّ عن علم الباحث المتقن الراوية المسند منَّا ترجمة أحدٍ من رجال المشرق لكثرة تآليف المؤرخين المتأخرين منهم في كل باب من أبواب التاريخ، أمَّا رجالات المغرب فوقوف المشارقة على تراجمهم نادر[1]، بل من النوادر معرفة العظيم منهم بحال مغربي؛ بل إفريقي. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وهذا سببه قلة اعتناء المغاربة بالتصنيف، أو قُلْ بالنشر، وقلة توثق الروابط المتينة بين رجال البحث والتنقيب بين علماء المشرق والمغرب، وهو داء قديم.

---

(١) من نماذج ذلك ما حكاه المؤلف عن نفسه مما وقع له مع صاحبه مسند الشرق ورحالته الشيخ أحمد بن عثمان أبو الخير العطار الهندي المكي، قال في مقدمة فهرس الفهارس (١/٥٠): جثا بين يدي منصفا، وقال لي: شاركتني في تراجم المشارقة أهل بلدي وأسانيدهم ومعرفة خطوطهم وأخبارهم، ولم أشاركك في أخبار أهل بلادك، ولا لي اطلاع على تراجمهم وآثارهم.



من اختصره

من الذين اختصروها[١] الشمس محمد بن أحمد بن علي بن عمر الإسنوي ابن عم الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي الشافعي، البارع العالم العامل، المتوفى عام ٧٦٣، ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة فقال: اختصر الشفا[٢].

وللعالم العارف الشهير أبي عبد الله محمد بن علي بن جعفر العجلوني القاهري، المعروف بالبِلالي، المتوفى سنة ٨٣٠ اختصار الشفا، ذكره له الحافظ السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع[٣]، وهو مختصر الإحياء أيضًا.

وتلخيص الشفا لابن الأخيضر[٤]

---

(١) سماه تحفة إخوان الصفا في اختصار كتاب الشفا، منه نسخة في مكتبة رفاعة الطهطاوي برقم: ٣٤، كتبت سنة ١٠١١، وفي مكتبتنا مصورة منها، ومنه نسخة أخرى في مكتبة غازي خصروبك بسراييبو تحت رقم: ٣٣٧٩، نسخت سنة ٧٩٣ كما في فهرس المكتبة.

(٢) (٥/٧٣).

(٣) (٨/١٧٨-١٧٩)، ومولده كما فيه قبل الخمسين وسبعمائة، وقد ترجمه الحافظ ابن حجر في معجم شيوخه (٣/٣٣٤-٣٣٥) وإنباء الغمر (٣/١٥١).

(٤) قال في كشف الظنون (٢/١٠٥٤) لابن الأخيضر الأخضر جلال الدين =

ولقطب الدين محمد بن محمد الخيضري، وسماه «الصفا بتحرير الشفا»[١].

وممن اختصرها ولخصها الإمام العلامة قاضي القضاة شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي الحموي في الكتاب الذي سماه: «المعتمد من النقول مما جاء في تفضيل الرسول» المسمى: «بتوثيق عرى الإيمان».

ووقفت على نسخة منه جيدة في مجموع بالمكتبة الوطنية بباريز، وتوجد منه نسخة أخرى في المكتبة الأحمدية بحلب؛ حسبما كتب لي بذلك مؤرخ حلب ومسنده الشيخ راغب الطباخ في كتابه إلي قائلًا لما سألته عنه: عثرت على نسخة منه نفيسة، وهو في مجلد ضخم، أوله: الحمد لله ذي العزة والسلطان، قال: إنه لخصه من الشفا ورتبه على أربعة أركان.

الركن الأول: في فضل الصلاة والسلام.

الثاني: في فضائله.

= أحمد بن محمد الخجندي، وانظر ترجمته في الضوء اللامع للحافظ السخاوي (٢/١٩٤-٢٠١)، وفيه (٢/٢٠٠): وشرع في شرح الشفا فكتب منه قطعة في كراريس.

(١) نسبه لنفسه في كتابه أزهار الرياض في رد ما شنعه عياض (ص٣٧). وقد ذكر في فهرس مكتبة المسجد الأعظم بتازة (٢/٥٣٥-٥٣٦) كتاب باسم الصفا في شرح الشفا، ولم يسم المفهرس د عبد الرحيم العلمي مؤلفه، ولكنه ذكر أن نسخته مشرقية، فلعله هو، والله أعلم.

الثالث: في إغاثة من استعان به.

الرابع: في معجزاته.

ويقول: إن النسخة تمت عام ٧٢٣، وهي نفيسة، عليها سماعات على المؤلف نفسه، وهي كثيرة [١].

وممن اختصره الإمام أبو علي حسن بن أحمد بن أحمد الزهري المالقي المالكي، وهو في مقدار ثلاثة أرباع الشفا، ذكر في أوله أنه كان شرح الشفا وجعل له مقدمة، فورد مصر فأشار إليه أعلامها باختصاره فاختصره، وعول في اختصاره على إسقاط المكرر منه، وهو زهاء ثلاثين موضعًا، وحذف الأسانيد، وترك إيراد ما نسبته للجناب النبوي يقصر عن رتبة الاجتباء، ومعوضًا ما في لفظه إيحاش وجفاء بما رَقَّ من العبارة وصفا، ومُسقطًا البعض من القسم الرابع ما رأى استقلالًا لمباحثة النبي لا تخلو عن ألفاظ مدحته جافية عن الإقدام عليه توقفًا، وسميته «لباب الشفا»[٢].

وقد وقفت عليه في مكتبة الجامع الأعظم بتونس[٣]، وهو اختصارٌ لطيفٌ يقتصر على ما في الشفا، وربما زاد بما زاد بتوجيه أو جواب

(١) الكتاب يعمل على تحقيقه على عدة نسخ خطية نفيسة أخونا الشيخ محمد عبد الله الشعار البيروتي، وفقه الله لإتمامه وإبرازه.

(٢) توجد منه نسخة في جامع الزيتونة بتونس تحت رقم: ١١٨١(٦٦) بخط محمد بن الحسن البدراني، وقد ذكره المؤلف من غرائب الكتب التي رأى في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية (ص٣٣٠ - ٣٣١).

(٣) تحت رقم (٦٦/١١٨١)كما في الفهرس الشامل (٨٢٣/٢).

مشكل من عنده، أوله: الحمد لله محب محب رسوله المصطفى، ما أجدره بالطبع والنشر.

ولأبي عبد الله محمد بن حسن بن عبد الله البَخشي[١] «بهجة الأخيار في حلية النبي المختار» قال في أولها: اقتصرت في ألفاظ الحلية الشريفة على ما أورده عياض في الشفا والترمذي في الشمائل، قال: وفي ذلك كفاية، موجودة في المكتبة الكتانية، وهي في جزء بخط المؤلف، افتتحها بسند المؤلف للشفا، وذكر في مصادره شروح الشفا الستة للدلجي، والخفاجي، والمقتفى للبرهان الحلبي، وشرح العُرضي، والأنطاكي، والشمني.

وممن اختصرها العالم المسند المعمر الشيخ مصطفى بن محمد بن رحمة الله الأنصاري الدمشقي، ثم المدني الحنفي، المعروف بالرحمتي[٢]، وصفه مفتي زبيد ومحدثها الوجيه عبد الرحمن الأهدل في ثبته المسمى بالنفس اليماني في إجازة بني الشوكاني بقوله: اختصارًا جميلًا، وشرحه بشرح لم تكتحل عين الزمان بمثله تحريرًا وتحبيرًا[٣]. هـ

وممن اختصر الشفا من أهل عصرنا علامة تونس ونادرتها صديقنا الكبير أبو عبد الله محمد المكي بن المصطفى بن عزوز التونسي[٤]، دفين

---

(١) ولد سنة ١١١١، وتوفي سنة ١١٩٠، ترجمه صاحب المصنف وتلميذه العلامة مؤرخ حلب محمد راغب الطباخ الحلبي في إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧/٨٥-٩١).

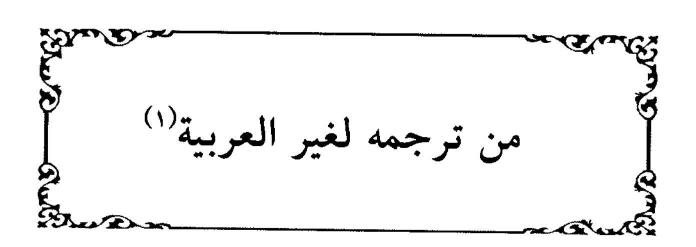
(٢) ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٤٢٤-٤٢٥).

(٣) النفس اليماني (ص٢٣٠ - ٢٣١).

(٤) ترجمه الإمام المصنف ترجمة نفيسة في كتابه فهرس الفهارس =

الأستانة ؛ كما وقفت على تسميته من جملة مؤلفاته في قائمتها الموجودة بمكتبة زاوية الهامل ، ولم أقف عليه.

= (٢/٨٥٦-٨٦١) وفي مقدمتي لكتاب الإمام المؤلف البحر المتلاطم الأمواج تفصيل حول وثيق الصلة بين الإمامين رحمهما الله تعالى.



من ترجمه لغير العربية[1]

ترجمه من العربية إلى التركية شيخ الإسلام بالأستانة ؛ المولى إسحاق ابن شيخ الإسلام إسماعيل الرومي[2] ، المتوفى عام١١٤٧.

وترجمها أيضًا المولى إبراهيم المتخلص...[3] بالحرمين الشريفين.

ولا شك أن رجال الاستشراق والأدب من الأروبيين وغيرهم قد ترجموا منها فصولًا وأبوابًا إلى اللغات الأروبية ، مذكورة في مؤلفاتهم أو مجلاتهم ، من تتبعها ظفر بها.

ترجم الجبرتي في تاريخه ما أحدثه ذكر الإمبراطور نابليون في مصر بعد احتلاله لها عام ١٢١٣ ، ومن جملة ذلك: تأسيسه متحف ومكتبة أقام

---

(١) وممن ترجمها للتركية إبراهيم حنيف بن مصطفى أفندي ، الأسكوبي الأصل ، المولوي ثم الإستانبولي العثماني الحنفي ، المتوفى سنة ١١٨٩ ، فله خلاصة الوفا بشرح الشفا ، ومنه نسخ كثيرة مخطوطة بمكتبات تركيا ، انظر معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات استانبول وأناضولي (١/٦٠) ، وقد طبعت باسطنبول سنة ١٣١٤ ، وببولاق سنة ١٢٥٧.

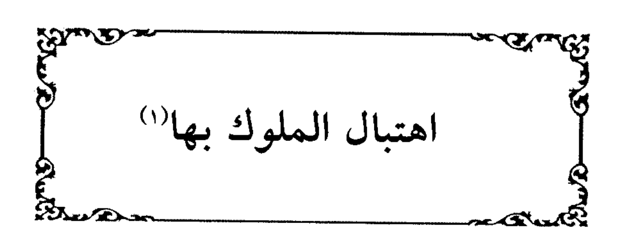
(٢) سماه الاستشفاء في ترجمة الشفاء ، منه نسخة بمكتبة لاله لي رقم: ٣٩٧ ، ومكتبة يحيى توفيق رقم: ٤٤-٤٥ ، ومتحف الأثار رقم: ٩٣ ، كما في معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات استنابول وأناضولي (١/٢٩٤).

(٣) بياض في نسخة الأصل ولم أتبينه.

فيها علماء الحملة التي كانت معه قال: وعندهم كثير من الكتب الإسلامية مترجمة بلغتهم، ورأيت عندهم كتاب الشفا للقاضي عياض، ويعبرون عنه بقولهم: شفاء شريف، والبردة للبوصيري، ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها للغتهم.[١]

---

(١) عجائب الآثار (٢/٢٣٤).



اهتبال الملوك بها(١)

من ملوك المغرب العظام الذين سعوا في نشر كتاب الشفا بتعداد نسخها والوقف على إقرائه السلطان العظيم الشأن، الواسع المملكة، الباقي الآثار، المشيد للمدارس والمعابد والمستشفيات(٢) أبو عنان المريني(٣)، وسيأتي وصف النسخة الباقية إلى الآن من تحبيسه في مكتبة تازة، ونص في الوقف على قراءتها كل يوم والدعاء بعد القراءة للمؤلف والواقف.

---

(١) وعن عناية ملوك المغرب به ففي المكتبة الملكية منه ٢٦٥ نسخة خطية، انظر وصفها وذكرها في: فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية، المحفوظة بالخزانة الحسنية (ص١٨٣) فما بعدها، وسيأتي حديث للمصنف عن عناية الملوك الأشراف العلويين بها.

(٢) أفرد المصنف رسالةً نفيسةً عن مآثر الدولة المرينية من الناحية العمرانية والحضارية، سماها: «الملاجىء الخيرية على عهد الدولة المرينية» نشرت قديمًا بمجلة الزيتونة التونسية، وفي النية إعادة تجديدها، خصوصًا وقد توفر لي منها أصول خطية مزينة بطرر الإمام المصنف وإلحاقاته.

(٣) هو السلطان العظيم، الواسع الملك؛ أبو عنان فارس بن السلطان أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، ولد سنة ٧٢٩، وتوفي سنة ٧٥٢، انظر ترجمته في: روض النسرين (٢٧/٢٩) وجذوة الاقتباس (٢/٥٠٨-٥١٠)، والاستقصا (١/٨٩-١٠١).

وفي «نصح ملوك الإسلام في التعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام» للقاضي أبي عبد الله ابن السكاك الفاسي حين ذكر تشيع أبي عنان هذا في محبة آل البيت والتوسيع عليهم في المرتبات قال: وشاع له من الصيت بالحجاز والعراق، وخافه ملك بني الأصفر، وهابه ملوك عصره، قال: قيل إنه رؤي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بسبب كتاب الشفا، رحمه الله تعالى[1]. هـ

ونقل في التحفة القادرية عن خط الإمام علي بن القاسم البطيوي تكرر السماع من علماء فاس، قالوا: رأى بعض صلحاء فاس في المنام السلطان أبا عنان المريني وهو بحالةٍ حسنةٍ فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة، فقال له: ولم ذلك؟ قال: بتحبيسٍ على قراءة الشفا لعياض بجوامع فاس.

قال في التحفة: وجدت بخطه أن السلطان الناصري الأيوبي صاحب بيت المقدس كان مُسرفًا على نفسه، فاشتكى لبعض الصالحين فدله على كتاب الشفا، قال: فاشتغل بنسخه، وكان يقرؤه دائمًا، ورتب في محله قارئًا له، فتبدلت حالته وانتصر على أعدائه، وعَظُم ملكه.

وقد ذكر الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر[2] أن الشفا كانت تُقرأ بضريح الشافعي بمصر، وعليها إذ ذاك أوقاف تفرق على المشتغلين بها من الملوك المتقدمين.

---

(١) النسخة الحجرية.

(٢) الجواهر والدرر (٣/٩٩٧)

ولما تكلم الحافظ السيوطي في «حسن المحاضرة»[1] على خانقاه شيخو فقال: بناها الأمير الكبير رأس نوبة الأمراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمري وأن ابتداء عماراتها في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة، ورتب فيها أربع دروس على المذاهب الأربعة، ودرس حديث، ودرس قراءات ومشيخة إسماع الصحيحين والشفاء. هـ انظر ص ١٩١ ج٢.

وفي مكتبة القرويين إلى الآن نسخة من الشفا بخط أحد أمراء بني وطاس[2] في ثلاثين جزءًا[3] تاريخ الفراغ من أحدها ٨٥٥[4].

وجدت بخط العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن العربي الزعري مؤرخًا وفاة السلطان أبي الربيع سليمان بن محمد[5] قال: ودفن بضريح

---

(١) (٢/٢٦٦).

(٢) هو محمد بن محمد بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي كما في آخر مستنسخته للشفا، وتاريخ القرويين للإمام المؤلف من باب تاريخ خزانة القرويين الذي نشر في مقدمة برنامج خزانة القرويين باسم المستشرق الفرنسي ألفرد بيل (ص٥-٦). ومن مستنسخاته نسخة أربعينية التجزئة من صحيح الإمام البخاري، وقع الفراغ من استنساخ جزئها الأول ١٧ ربيع الثاني عام ٨٥٧، ومن الجزء الأربعين في أواخر ذي الحجة عام ٨٦١، كما في تاريخ الوراقة المغربية لتلميذ المؤلف العلامة المؤرخ الشريف محمد المنوني (ص٦٦).

(٣) لم يبق منها اليوم في القرويين إلا إحدى عشر جزءًا.

(٤) رقمها في خزانة القرويين ١٠٧١، وتاريخ الفراغ منها يوم الأحد التاسع من ذي الحجة عام ٨٥٥.

(٥) ولد سنة ١١٨٠، بويع سنة ١٢٠٦هـ، وتوفي سنة ١٢٣٨هـ، الاستقصا (٤/١٢٩ — ١٧٢) النبذة اليسيرة في تاريخ الدولة العلوية الشهيرة للمؤلف (ق٤٠).

مولانا علي الشريف بمراكش مجاورًا لضريح الإمام القاضي عياض صاحب الشفا جذبته لقربه محبته لتأليفه المذكور، كان السلطان المذكور رحمه الله محبًا له، ملازمًا له، لا يفارقه في ليله أو نهاره. هـ من خطه.

وذكر أبو القاسم الزياني في فهرسته[١] التي جمع للسلطان أبي الربيع رحمه الله لما ذكر مقروءاته أنه نسخ الشفا ثلاث مرات.

وفي «تاريخ بيوتات فاس»[٢] لما تكلم على بيت بني المليلي وذكر منهم الفقيه الوراق القاري عند باب محراب مسجد القرويين وأبو زيد عبد الرحمن بن أحمد المليلي قال: كان حسن الصوت يحسن القراءة بالطبوع يؤثر بها في النفوس بطيب نغمه، وكان فقيهًا بصيرًا بالعربية شاعرا محسنًا لغويًا، وكان القاري عند باب محراب مسجد القرويين بعد صلاة الصبح كل يوم لأربعة كتب، الأول: تفسير الثعالبي والثاني الشفا لعياض والثالث للبخاري والرابع الحريفيشي هـ.

وفي أيام ملوك بني حفص بتونس أحدث السلطان أبو فارس عبد العزيز بن المولى أحمد بن أبي عبد الله محمد الحفصي قراءة صحيح البخاري في كل يوم بعد صلاة الظهر بجامع الزيتونة، وكتاب الشفا والترغيب والترهيب بعد العصر، قال الزركشي في تاريخه: وأوقف على ذلك وقفًا. انتهى انظر ص[٣] ١٠٢.

---

(١) لم أجد ذلك في المطبوع من جمهرة التيجان للزياني، الباب الخامس (ص١٢٥) فما بعدها.

(٢) (ص٥٦).

(٣) (ص١٠٢) ط تونس ١٢٨٩.

ولما بنى بتونس المرحوم محمد باي بن مراد جامعه الذي أحدثه بجوار الشيخ أبي محفوظ مُحرز، صَدَّرَ عالم عصره ومحدث مصره الشيخ قويسم بن علي التونسي، صاحب سمط اللآل في رواية الصحيح والشفا رواية ودراية على دور السنة، ورتب مرتبًا مؤبدًا على ذلك يأخذه مشاهرة، انظر كتاب ذيل بشائر أهل الإيمان[١].

أما ملوك آل عثمان فقد كان كتاب الشفا من أهم ما يهدى لمكاتبهم العامرة، وأجل ما يستشفون به ويتبركون، ومن تتبع مكاتب الأستانة إلى الآن، ومكاتب الحجاز خصوصًا، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ومكاتب تونس ومصر العامة والخاصة؛ يجد بها من نسخ الشفا المذهبة المزخرفة المكتوبة في الورق الحريري أو في الرق أو بالذهب الخالص، المجلدة بالأسفار المدهشة، المزخرفة بالأحجار الكريمة، ما لا يُقَوَّم ولا ثمن له عند عشاق الآثار بما يعيي المتتبع وصفه، ويقف العقل حائرًا دونه، والبصر باهتًا، والقلم جاثمًا لا يجري حراكًا.

ويوجد في مكتبة السلطان محمد الفاتح بالأستانة ٢٧ نسخة، جلها مذهب مزخرف حسبما في برنامجها[٢]، فإذا كان في مكتبة واحدة هذا العدد فانظر ماذا في مجموع المكاتب هناك، ولعلها بالمئات[٣]، وهذا

---

(١) (ص ٥٦-٥٧).

(٢) هي النسخ من الرقم ١٠٠٦ إلى ١٠٣٢، كما في معجم المخطوطات الموجودة في مكتبات اسطنبول وأناضولي (١٠٣٨/٢).

(٣) عاينت ذلك بنفسي في زياراتي المتكررة لعاصمة دار الخلافة الزاهرة =

كله يرجع إلى شيء واحد هو إعظام كل ما يمت إلى هذا النبي الكريم بصلة أو سبب، أو له به أدنى علاقة.

فما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

وهنا يصح أن نقول على لسان أصحاب تلك الهمم العالية:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ولله در من يقول:

شمائله فيها الشفا لمتيم بأسباب هاتيك الجفون الذوابل
فزدني حديثًا من هواه فإنني أحب حديثًا في الشفا والشمائل

وهنا نكتة بديعة وهي أن أشهر المصنفات التي يتداولها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها ويعددون منها النسخ وقَلَّ أن تخلو دار مسلم منها، ويتباهون في التحصيل على نسخها المزخرفة المذهبة بعد القرآن الكريم، وطبعت مرارًا في الغرب، وترجمت لعدة لغات ثلاثة هي: دلائل الخيرات، والبردة للبوصيري، والشفا لعياض.

ومن الغريب أن هذه الكتب الثلاثة مغربية؛ فعياض سبتي الدار مراكشي المدفن، والبردة صاحبها بوصيري، صنهاجي النسب، وأصله مغربي، والدلائل مؤلفها سوسي الأصل، مراكشي المدفن، وهذا من الغرائب.

= إصطنبول، فكل مكتبة من مكتباتها العديدة إلا وفيها من متن الشفا عشرات النسخ.

وقد رأيت عند صديقنا نادرة العصر العلامة أحمد زكي باشا[١] نسخة من دلائل الخيرات بقلم تركي، مكتوبة بالذهب الخالص الذي لا شائبة فيه، وقال لي: إنه اشتراها بمائة إبرة ذهب.

ورأيت في المدينة المنورة نسخة من البردة مكتوبة جميعها بالذهب الخالص الذي لا شائبة فيه، طلب صاحبها فيها نحو هذا الثمن.

وبلغني أن بصحراء المغرب نسخة من البردة مكتوبة في الرق بطريق التخريم الحرفي، فجاءت في مجلد ضخم، وهذا من العجب العجاب في التفنن في الكتابة.

ولله ما أحلى ختم هذا الفصل بقول الإمام قاضي دمشق عبد الوهاب بن أحمد الطرقاني المعروف بابن عرب سالم الدمشقي الحنفي فيما أنشده له الحافظ السخاوي في ترجمته من الضوء اللامع[٢]:

ولقد شكوت الى طبيبي علتي ... مما اقترفت من الذنوب الجانية
وصف الطبيب شراب مدح المصطفى ... فهو الشفاء فاشرب شفاء عافية

وقد كان الملوك إذا أرادوا الاستنجاد بالعلماء والصالحين في إصدار فتوى أو نشر منشور في أمر يهمهم دعوا العلماء للاجتماع ظاهرا لقراءة الشفا، وعندي مكتوب وزيري ممضى بخط الفقيه الصدر لعهد الدولة العزيزية بالمغرب نصه: الحمد لله محبنا الأرضى الشريف الأعز الأود الفقيه الخير سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني أمنك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله، وبعد: فيأمرك سيدنا دام

---

(١) ولد سنة ١٢٨٤، وتوفي سنة ١٣٥٤، انظر ترجمته في الأعلام للأستاذ الزركلي ومصادره (١/١٢٦-١٢٧).
(٢) ٥(/٩٨).

علاه أن تقدم مع والدك الشريف سيدي عبد الكبير لضريح مولاي عبد الله صبيحة غد الذي هو يوم الأحد عند الشروق بقصد الحضور مع السادات العلماء المعينين لقراءة الشفا والترحم على والدة سيدنا المقدس بالله وعلى المحبة والسلام في ٢١ ذي الحجة عام ١٣٢٠ محمد المفضل غريط أمنه الله هـ منها. والأصل محفوظ.

فلما اجتمعوا وختموا الشفا أظهر قاضي الجماعة بفاس إذ ذاك وهو الفقيه أبو محمد عبد الله بن خضراء سورة الفاتحة التي كتبها ضد أبي حمارة[١] ودعاويه، وكانت ثورته إذ ذاك استفحلت تحت اسم مولاي محمد بن الحسن رحمه الله، فقرأها على الحاضرين فأمضاها ثم أمضاها من حضر من صدور علماء فاس إذ ذاك وكان لهم إذ ذاك بقية يشار لهم بالبنان، وهذه أسماؤهم على الترتيب بمداد المطبعة[٢]، فخرجت إمضاءاتهم بخطهم في النشرة التي ذاعت وشاعت في سائر نواحي المغرب، ثم طبعت[٣] في الجزائر قام بطبعها هناك الوفد المخزني الذي كان يرأسه الوزير الجباص[٤].

---

(١) انظر الحديث عنه في «مظاهر يقظة المغرب الحديث» و«بوحمارة من الجهاد إلى التآمر» لمحمد الصغير الخلوفي

(٢) أسماء العلماء الموقعين للفتوى المذكورة حسب نصها المنشور على ترتيبهم (ص١٤-١٦).

(٣) بين يدي نسخة من ط سنة ١٣٢١/ ١٩٠٣ هذه الفتوى، وقد وقفت على أصلها الخطي، وفيه توقيعات العلماء المذكورين بخطوطهم في مكتبة خاصة بطنجة، ومن جملتهم والد المؤلف وأخوه.

(٤) هو محمد بن محمد الجباص السفياني ثم الفاسي، كان وزيرا للحربية أيام السلطان مولاي عبد العزيز، توفي سنة ١٣٥٢هـ، انظر مختصر العروة الوثقى للحجوي (ص٤٢-٤٣) ومظاهر يقظة المغرب الحديث (٢/٧).

وفي عام ١٣٢٢ لما استفحل أمر أبي حمارة وعظم شره جمع السلطان أبو فارس المولى عبد العزيز بقية البقية من علماء الدَّور الماضي لقراءة صحيح البخاري وشفاء القاضي عياض في الضريح الإدريسي كل صباح عند الشروق بنية اللطف والتفريج عن البلد والقطر من الفتن التي عمت، كانوا يجلسون عن يمين المحراب فيهم خالنا وشيخنا أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني وأبو العباس أحمد بن الخياط، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن قاسم القادري، وشيخنا القاضي الفقيه أبو محمد عبد السلام الهواري، وغيرهم نحو العشرين[١].

منهم من كان يسرد الصحيح، ومنهم من كان يسرد الشفا، وكالآخرين في هذه السنة عينت معهم، فكان نصيبي تلاوة الشفا، ولكثرة التكرار لها هناك عدة سنوات كدت أحفظها، ولما سافرت للحج عام ١٣٢٣ كان الأخ رحمه الله على جلالة قدره ينزل للحضور معهم نيابة عني حتى رجعت من المشرق، فكانت مدة غيبتي في تلك الحجة تسعة أشهر.

وفي أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بنى مسجدا بأبي الجنود من فاس، ولما فتح عام ١٣٢٩ أصدر أمره لقضاة فاس بالحضور فيه، وصحبتهم جماعة من العلماء بقصد افتتاحه وسرد الصحيح به والشفا، ووصل الجميع بصلة نقدية، انظر قصة ذلك في الدرر الفاخرة[٢] ص١٢٤.

---

(١) وقعت هذه الفقرة مكررة مرتين وتجنبا للتكرار أبقينا على النص الأتم والأكمل منها مع الإبقاء على الزائد وهو: إحالة المصنف على كتاب «الدرة الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة» ص ١١٦ منها. انتهى.

(٢) الدرة الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة (ص١٢٤)

وفي «مرآة الحرمين» من ص ٤٦٠ ج١ أن السّلطان محمود رتّب بالمسجد ٣٩ قارئًا يتلون القرآن وصحيح البخاري، وشفاء القاضي عياض، ودلائل الخيرات، والأحزاب، والصلوات، ولو قصر الأمر على تلاوة القرآن وعين للصحيح والشفا من يقوم بدراستها لكان ذلك أجدر.

ورتب السلطان عبد الحميد لمثل هذا ١٥٧ قارئا، ورتبت والدته ثمانية، فأولئك ٢٠٤ قارئا، لو كانوا مفسرين وقائمين بتعليم العامة لحولوا أهل المدينة قاطبة عن الأمية، وأوردوهم من العلوم مناهلها العذبة هـ.

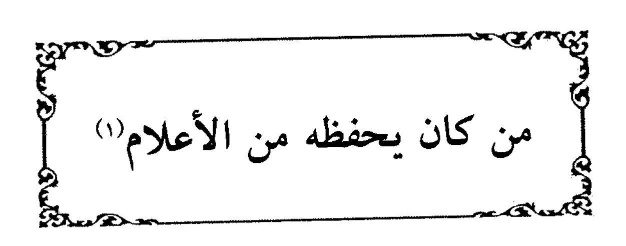
وذكر في ص ٣٥١ ج٢ لدى تعداده المرتبات العديدة للتالين بالحرم النبوي منها ٣٢٤ جنيه لمن يقومون بتلاوة القرآن أو سور منه، وبقراءة البخاري والشفا والدلائل، ولمن يقوم بمد ..... بالماء لشرب الناس، وعد ذلك بالمسجد النبوي، وذلك بتنفيذ الشروط الوقفية الصادرة من أمر عباس باشا الأول في ٤ شوال عام ١٢٦٨ هجرية، ثم ذكر عدة أوقاف على هذا الشكل، بل وصور بعض رسوم الوقف بالفتغرافيا. انظر المرآة المذكورة.

وترجم ابن أبي الضياف التونسي في تاريخه لعالم تونس وقاضيها ومفتيها الشيخ محمد بن سلامة[1] فقال: لما آنس أقرانه منه الترفع أنفذ أمر ذلك، وذلك أنه لما قرأ الشفا بالجامع الأعظم لم يستدع يوم الختم إلا شيخنا أبا عبد الله محمد بن الخوجة وصاحبنا أبا عبد الله محمد بيرم وشيخنا أبا إسحاق إبراهيم الرياحي، ولم يستدع بقية أهل المجلس ظنا منه أنهم يعرفون اليوم والوقت، وصادف الصحبة يقودهم، ولم يحضر

(١) إتحاف أهل الزمان (٨/٧٧-٧٩).

يوم الختم غير نسختي الحنفية، وحضر الباي ورجال دولته، وتغير من عدم حضورهم وتغير من الباي حيث لم يعاتبهم ورام التسليم في الخطة لولا رجال من أصحابه منعوه. هـ

فدل هذا على أن ختم الشفا كان في تونس مشهودا بحضرة الباي ووزراء وشيوخ المجلس الشرعي والأمة.



من كان يحفظه من الأعلام[1]

ترجم الحافظ السخاوي في الضوء اللامع لقاضي المالكية بدمشق سالم بن إبراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي المالكي فقال: إنه أُسِر عام ٨٣٤، وناظر الأساقفة ببلادهم فأفحمهم، وأنه كان من محفوظاته الشفا، ورواه بالسماع عن الجمالين المحمديين ابن علي النويري وابن أبي بكر المرشدي. هـ منه ص٢٤٠ من ج الثالث.

وترجم لسالم المذكور أيضًا المؤرخ المقدسي في «الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل»[2] وقال: ولد بعد السبعين والسبعمائة، واشتغل بالفقه ببلاد المغرب، وقدم هذه البلاد عالمًا فاضلًا، ووقع في أسر الكفار في سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وناظر الأساقفة ببلادهم

---

(١) قلت: في الجواهر والدرر للحافظ السخاوي ثلاثة من الآخذين عن الحافظ ابن حجر ممن يحفظ الشفا، أولهم: القاضي عبد الله بن محمد بن محمد الميموني الشافعي، كان يقرأ عليه بجامع طولون في الشفا من حفظه، (١١٠٨/٣)، وانظر ترجمته في الضوء اللامع (٦٥/٥)، وثانيهم: الشيخ نور الدين علي بن طعيمة الجراحي، (١١١٥/٣)، وانظر ترجمته في الضوء اللامع (٣٠٧/٥-٣٠٨)، والشيخ شمس الدين محمد بن سليمان بن مسعود الشبراوي، قال عنه الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر (١١٤٤/٣): حافظ الشفاء، وانظر ترجمته له في الضوء اللامع (٢٦٢/٧).

(٢) (٢٤٧/٢).

وأفحمهم، وأقام عندهم مدة ثم أنجاه الله، وقدم دمشق وولي قضاءها، ثم قضاء بيت المقدس، ثم أعيد إلى قضاء الشام، وكان يحفظ الشفا غائبًا، توفي في سنة ٨٧٣.

قلت: لا شك أن حفظه للشفا مما يعينه على المناظرة والمحاججة مما غلب فيه وظهر... إلخ

وكان من المتأخرين بسوس الفقيه المفتي مبارك بن عبد الله أشَّن - ومعنى أشن بالعربية: الذئب - الأخصاصي السوسي[١] ممن تخرج بشيخ شيوخنا أبي عمر سعيد الكيتي الشريف، وكان يحكم في النوازل، ويشارط في المدارس، توفي في صفر عام ١٣٣١، كان يحفظ الشفا عن ظهر قلب، كما أخبر بذلك من عرفه.

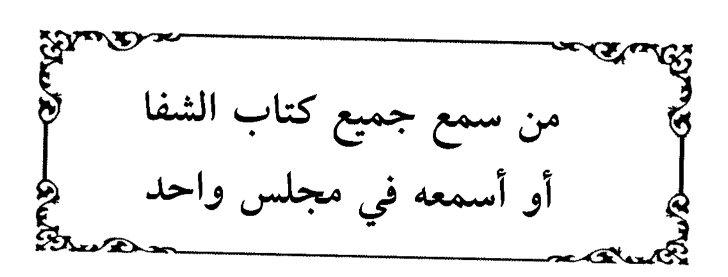
ووقعت مرة بفاس ملمة عامة فهرع الناس لقراءة الشفا على العادة، فاجتمع العلماء لقراءتها على طريق المناوبة في الزاوية الكتانية في حياة الشيخين[٢] من نسخة فرقت كراريسها على الحاضرين، فلما أرادوا ختمها على العادة لم يجدوا الكراسة التي فيها خاتمة الشفا، فانتدب لإملائها من صدره ابن خالنا العالم الفاضل أبو زيد عبد الرحمن بن

(١) انظر ترجمته في المعسول لتلميذ المصنف والراوي عنه العلامة محمد المختار السوسي (١٨/١٢١).

(٢) يعني والده الإمام المحدث العارف سيدي عبد الكبير الكتاني، وأخاه وشقيقه الإمام العارف بالله الشهيد سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمهما الله تعالى.

جعفر الكتاني[1]، فعجبنا لحفظه لها ونحن صغار، ورأينا أن ذلك من كثرة التكرار، وكل شيء عند الله بمقدار.

(١) العلامة أديب فاس وشاعرها سيدي عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، ولد سنة ١٢٩٧، وتوفي سنة ١٣٣٤، وهو من أخص أهل ود المؤلف، وقد مدحه بقصائد كثيرة، ذكر كثير منها في ديوانه المطبوع الذي جمعه الدكتور مولاي علي الكتاني رحمه الله. انظر ترجمته في النبذة اليسيرة النافعة (ص٣١٩/٣٢٢).



من سمع جميع كتاب الشفا أو أسمعه في مجلس واحد

ترجم الحافظ السخاوي في الضوء اللامع[١] لشيخ الشافعية والمالكية بالإسكندرية خلف بن علي المغربي الإسكندري الشافعي من تلاميذ ابن عرفة وابن خلدون، فذكر أنه سمع الشفا في مجلس واحد بقراءة البدر ابن الدماميني.

وترجم العالم الكبير السيد محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس اليمني الهندي في تاريخه: «النور السافر عن أخبار أهل القرن العاشر» للمحدث المعمر عبد المعطي ابن الشيخ حسن با كثير المكي الحضرمي المتوفى بالهند فقال: حكي عنه أنه قرأ كتاب الشفاء على بعض مشايخه في مجلس واحد، وذلك بعد صلاة الصبح إلى أول الظهر. انظر ص ٣٦٤[٢].

قلت: ولولا أن هذا الأمر وقع لي لعددته غريبًا، فقد عزم مرة جماعة من الطلبة بفاس على سماع الشفا علي في يوم عرفة، فجلسنا لها بجامع الأندلس صباحًا، فلم يأت وقت آذان المغرب إلا ونحن قد

---

(١) (١٨٤/٣).

(٢) (ص٤٧٩).

أشرفنا على التمام، وكان جماعة يتناوبون القراءة واحدًا بعد واحد، والحمد لله، وكان ذلك في نحو عام ١٣٢٤.

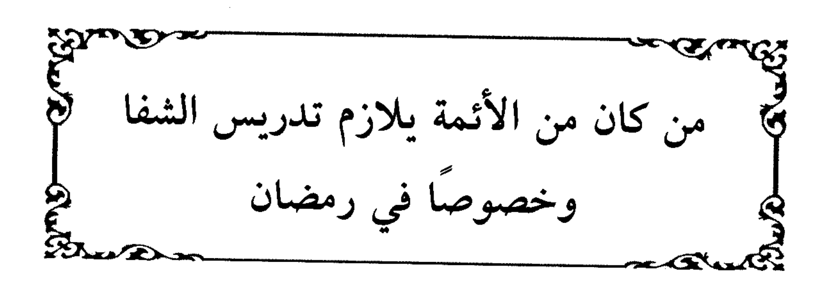
ومما يقرب من هذا أن شيخنا الإمام جبل السنة والدين، الشيخ أبا المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني كان مغرمًا بسماع الشفا وإسماعه ودرسه، حتى إنه ختمه على شيخه محدث الحجاز ومسنده أبي الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني - وهو عديله - على الجمل بين مكة والمدينة في عشرة أيام[١]، ثم سمعه عليه مرة أخرى في زرهون لما ورد على المغرب وروده الثاني عام ١٢٩٧ في ثلاثة أيام؛ بمشاركة جماعة من أعلام ذلك العصر من أهل فاس وزرهون، وهذا صبر عجيب واستلذاذ للحديث والسِّيَرِ غريب.

وسمعها أيضًا الوالد على شيخه العلامة المعقولي المحدث العابد البركة الخاشع المعمر أبا العباس أحمد بن أحمد بناني في طريقهما للحج والزيارة عام ١٢٩٤ حتى على ظهر البحر، وختمها عليه في المسجد الحرام تلك السنة[٢].

---

(١) فهرس الفهارس (٢/٧٤٤)، منية القاصد في أسانيد الوالد (٩ق) نسخة مكتبة أخي المؤلف وتلميذه العلامة السيد الماحي بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله بالصويرة، ومنح القدير في أسانيد والدي الشيخ عبد الكبير (ق ٨٩/٩١) وفيها نص إجازة محدث المدينة السيد علي بن ظاهر لوالد المصنف رحمهم الله تعالى.

(٢) منية القاصد في أسانيد الوالد ٨ق وفيها سمع عليه البخاري ومسلمًا والشفا حتى بمكة، ومنح القدير في أسانيد والدي الشيخ عبد الكبير (ق ٨٥) ونصه: والشفا بلفظه بمكة المشرفة، وكذا بفاس.



من كان من الأئمة يلازم تدريس الشفا وخصوصًا في رمضان

من يوم ألفت الشفا وهي مرجع المطالعين والدارسين، وموئل المؤلفين والمدرسين والمناظرين والمستشفين والمتبركين، لم تزل تقرأ وتدرس على الدوام والاستمرار في مشارق الأرض ومغاربها من الحفاظ والمسندين والفقهاء والعارفين والأدباء المترسلين، حتى وجدت بخط أبي عبد الله محمد بن عبد السلام البناني شيخ الجماعة بفاس أن الإمام أبا الحسن الشاذلي[1] كان يحضر عليه أكابر العلماء، كابن الحاجب وابن أبي العز وابن دقيق العيد والحافظ عبد العظيم المنذري وابن عصفور، فكان ميعاده بالقاهرة بمدرسة سماها، وكان يقرأ الشفا للقاضي عياض. هـ

ففي تقديم رسائل العارف الكبير شيخ الطريقة الدرقاوية أبي حامد العربي بن أحمد الدرقاوي الزروالي لشيخنا شيخ الجماعة بفاس العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن الخياط الفاسي[2] أن الشيخ المذكور كان

---

(١) أفرد ترجمته القاضي الفقيه المشاور عبد النور بن محمد الحسني العمراني الفاسي، وهو مخطوط بمكتبة القرويين بفاس تحت رقم: ٤٩٢، وهو من جملة كتب المناقب المسندة، فجل ما فيه من أخبار الشيخ أبي الحسن بالإسناد، وهو جدير بالطباعة والإذاعة.

(٢) ترجمه المؤلف في كتابه النجوم السوابق الأهلة (ق٣٣/٣٤) نسخة مكتبة =

يطالع بعض كتب الفقه كالعبادة من شراح الرسالة وشرح ميارة على المرشد، ولم يكن يستوعب كتابًا بالمطالعة من أوله إلى آخره سوى صحيح البخاري والشفا للقاضي عياض رضي الله عنه. هـ ص ١٤ منه، طبع فاس.

وفي «يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ المعطى» بن الصالح الشرقاوي البجّعدي لتلميذه وكاتبه الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم الودغيري: دأب الأولياء والصالحون إذا دخل رمضان وكذلك الشهران اللذان قبله يعتكفون فيها على قراءة المصحف وعلى الصلاة على النبي ﷺ وعلى كتاب الشفا للقاضي عياض والإحياء وغير ذلك من كتب الحديث والصلاة على النبي ﷺ، وبذلك فازوا ونالوا الدرجة العلا وحازوا، وتلك عادة أهل التصوف والدين، صفت قلوبهم من الأكدار وأشرقت عليهم لوائح الأنوار. هـ منها.

وقد ترجم أبو حامد العربي بن علي بن أحمد المشرفي المعسكري دفين فاس في رحلته السوسية[١] لشيخ الجماعة بفاس العلامة الصالح المحدث الناسك الورع أبي محمد بدر الدين بن الشاذلي الحمومي

= المسجد الحرام، وفهرس الفهارس (١/٣٨٧-٣٨٩)، وسيأتي أن الإمام المصنف قرأ عليه جميع كتاب الشفا.

(١) هي المسماة: «نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب أحمد بن محمد وولده الحسن»، وهو محفوظ بالخزانة الكتانية تحت رقم: ٥٧٩ ك، وانظر في التعريف به كتاب المصادر العربية لتاريخ المغرب لتلميذ الإمام المصنف العلامة السيد محمد بن عبد الهادي المنوني (٢/١٠١-١٠٢).

شارح الشمائل، فقال: كان ملازمًا لدرس الشفا، ويحب من يقول له: اقرأ معنا الشفا. هـ ومن خطه نقلت.

وترجم عالم سلا أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي السلوي في فهرسته لشيخه العلامة الأستاذ الصالح السيري أبي سرحان مسعود جموع الفاسي، دفين سلا، وذكر مقروءاتهم عليه، قال: وكذلك شفاء عياض؛ سمعناه عليه من أوله إلى آخره، وكان كثير المحبة للنبي ﷺ، كثير التعظيم، ولما كنا نقرأ عليه الشفا وبلغ فصل محبته ﷺ غلبه الشوق والبكاء، وقام من المجلس، وظهر عليه أثر الخشوع، ومرض أيامًا هـ.

وترجم الحافي المذكور أيضًا في فهرسته لشيخه العلامة الدراكة البياني المنطقي الأصولي أبي بكر الفرحى المراكشي السلوي وعدَّ مقروءاته عليه وهي كثيرة قال: وكذلك كتاب الشفا للقاضي عياض من أوله إلى آخره، كان يقرره أحسن تقرير ويفسر آياته ويذكر ما فيها من علم البيان والبديع، ويأتي من ذلك بالعجب العجاب الذي لا تجده مسطرًا مجموعًا في كتاب هـ.

وفي المجلد ٢ من الرحلة العياشية[١] ص ١٧٦ طبع فاس لدى ذكره ما سمعه بمكة على شيخه مسند الدنيا أبي مهدي عيسى الثعالبي صاحب «كنز الرواية» ما نصه: وسمعت من لفظه نحو النصف من كتاب الشفا للقاضي عياض رواية ودراية يقرره أحسن تقرير، ويبين مقاصده ويطالع

(١) قابلنا النص على نص الرحلة المطبوع.

عليه شرح شيخنا شهاب الدين الخفاجي، وكنت أمسك عليه في حال التقرير وأسرد له المحتاج منه، ويحضر مجلسه فيه غالب النجباء من متفقهي أهل مكة، وكان يوم ختمه يومًا مشهودا، حضره أكابر الفقهاء وأديرت فيه كؤوس الأشربة الحلوة، وأطلقت فيه أنواع البخور والروائح الطيبة، وهذه هي أنهى تكرمة عند أهل ذلك القطر هـ.

وفي «قطف الثمر»[1] للشيخ صالح الفلاني المدني أنه قرأ الشفا على شيخه المحدث الشيخ محمد بن سنة الفلاني سبع مرات، قراءة بحث وتحقيق، بإحضار غالب الشروح والحواشي. هـ منه

وفي ترجمة فقيه المغرب وحطابه الشيخ أبي علي الحسن بن رحال المعداني التادلي[2] قاضي مكناس من «نشر المثاني»[3] أنه مرض بمكناسة الزيتون وابتدأ قراءة الشفا وهو مريض والطلبة يدخلون عليه للقراءة بداره فتوفي ٣ رجب عام أربعين ومائة وألف.

في ترجمة شيخ المالكية بالديار المصرية والشامية عالم عصره وحافظ دهره زكي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف القرشي الهاشمي التونسي الشهير بأبن القوبع، المتوفى سنة ٧٣٨، وهو مترجم في «الدرر الكامنة»[4]، وعند

---

(١) (ص١١٣).

(٢) توفي سنة ١١٤٠هـ. ترجمته في: نشر المثاني (٣/٢٩٤)، إتحاف أعلام الناس للنقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان (٣/٧-٩).

(٣) (٣/٢٩٥) وعنه إتحاف أعلام الناس (٣/٧-٩).

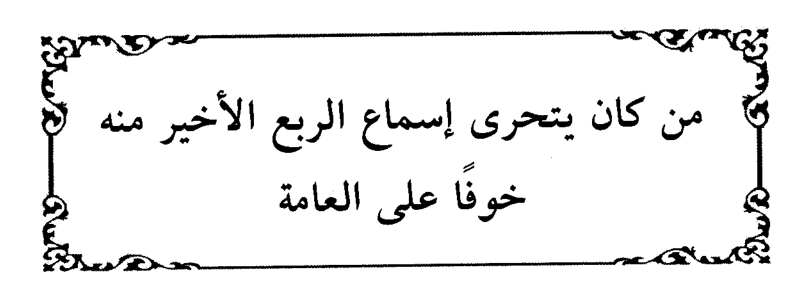
(٤) (٥/٤٤٥-٤٤٨).

السيوطي[١]، والصفدي[٢]، وابن فرحون[٣]، وغيرهم أنه كان لا يخل بالمطالعة في كتاب الشفا كل ليلة. انظر «الحلل السندسية في الأخبار التونسية» للوزير التونسي.

(١) بغية الوعاة (١/٢٢٦-٢٢٨).

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر(٥/١٤٨-١٦٣)، والوافي بالوفيات (١/١٨٧-١٩٣).

(٣) الديباج المذهب (٢/٣٢٣).



من كان يتحرى إسماع الربع الأخير منه خوفًا على العامة

ترجم شيخ الجماعة بفاس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني في فهرسته شيخَه العلامة الصالح القاضي العدل أبا العباس أحمد بن العربي بن الحاج فعدّد مسوعاته عليه، فلمّا وصل إلى الشفا قال: وختمة أخرى أول جزء بقراءتي بلفظي غير الربع الأخير منها، فلم يكن رضي الله عنه يحب سرده عليه خوفًا على العامة هـ[1] .

وقال الشيخ بناني المذكور في إجازته لأبي عبد الله محمد بن محمد بن حمزة ابن الشيخ أبي سالم العياشي في ترجمة المذكور أيضًا: كان لا يقرأ الربع الأخير من الشفا خوفًا على العوام من سماع ما فيه هـ. ومن خطه بواسطة إمام نقلت.

وممن ضرب على هذا الوتر سلطان المغرب وعلَم ملوكه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي، فإنه كتب منشورًا لرعيته عام ١٢٠٣، وأمر عالم عصره أبا عبد الله التاودي بن سودة أن يكون عمله عليه، فقال: ومن وصل في قراءته (تدريسه) من العلماء إلى قول

(١) ق٣/ب نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

خليل: مسكين خليل أكل لحمه الكلاب، أو خليل خلق بهراما[١]، فحين يصل لهذا الباب الذي فيه هذا الكلام الخبيث والعياذ بالله يجوزه ولا يذكره، ولا يتعرض لقراءته، ويقرأ من الباب الذي يليه، وكذلك الذي يقرأ الشفا فحين يصل إلى الربع الأخير يختم الكتاب ولا يقرؤه، وكذلك الذي يقرأ البخاري، فحين يصل إلى حديث الإفك يتركه ولا يتعرض لقراءته، قال: وهذه المسائل التي نهينا عن قراءتها، فمن تعرض لقراءتها ونال منَّا عقوبة على أيدينا فلا يلوم إلا نفسه، لأن المسائل التي نهينا عن قراءتها لم يذكرها أحد من الأئمة المساند ولا تعرض لها. هـ بنصه[٢].

وكنت سمعت من شيخنا العلامة شيخ الجماعة بفاس أبي العباس أحمد بن محمد بن الخياط الزكاري، حين سمعنا عليه الشفا بجامع الأبارين من فاس، قال: من العلماء من كان لا يرى أن تقرأ خاتمة الشفا لما اشتملت عليه من الألفاظ الموهمة، فسألته عمَّن نصَّ على ذلك، فقال: إنه مُتلقى عن أهل العلم ممن أدركهم، كما أخبرني أنه وقف على تقييد للعلامة أبي حامد العربي ابن القاضي أبي العباس أحمد بن الشيخ التاودي بن سودة مضمنه أن السلطان أبا عبد الله محمد بن عبد الله قال

(١) كذا رسمت في الظهير السلطاني الذي نقله المؤلف هنا وفي كتابه الإفادات والإنشادا، والسلطان يشير إلى ما ذكره الإمام خليل في مختصره في فصل الجزية (ص١٠٧) من الألفاظ التي لا يكفر بها ساب النبي ﷺ، ثم ذكرعددا منها. فكأن السلطان استعظم تلك الألفاظ، ورأى أن لا تقرأ على الملإ، والله أعلم. وانظر تحبير المختصر (٢/٥١٤-٥١٥).

(٢) نص الظهير السلطاني المشار إليه نقله المؤرخ المولى عبد الرحمن بن زيدان في إتحاف أعلام الناس (٣/٢١٢).

لجده الشيخ التاودي: ثلاثة كتب لا أقرأها: الشفا لما في خاتمتها، ومختصر خليل لختمه بباب الردة، وجمع الجوامع لمخالفته فيه لمالك في الاحتجاج بعمل أهل المدينة، فأجابه الشيخ التاودي بأن قصدهم أيضًا حسن وهو بيان الحكم الشرعي في هذه الأبواب، وما عسى أن يقع بالناس من النوازل.

وقد وقفت في «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» للحافظ السخاوي[1] على كلماتٍ في الموضوع حُبِّبَ إلي تلخيصها هنا، قال حين ساق أن الاستيعاب لابن عبد البر مملوء بما شانَه من ذكر ما شجر بين الصحابة وحكايته عن الإخباريين، قال: يتأكد تجنبه إلا مع تأويله بحضرة من لا يفهم، كما قالوه في أحاديث الصفات وشبهها.

قال: وأقول في قصة الإفك أيضا، ثم ذكر نظائر، وقال: مع أشياء وقعت واجبة التأويل إلا مقرونة بالبيان، كل ذلك عملًا بـ:«حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[2]، «ما من رجل يحدث قومه بحديث لا تقبله عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[3]. هـ

قلت: وقد كان وقع هرجٌ في أيام السلطان أبي علي المولى الحسن، وفي مجلس الحديث بحضرته في شأن حذف قصة الإفك من

---

(١) (ص٦٣).

(٢) أخرجه الإمام البخاري من قول علي رضي الله عنه، كتاب: العلم، باب: من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، رقم: ١٢١، (٣٧/١). وروي مرفوعًا. وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٢٥/١).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه، باب النهي هن الحديث بكل ما سمع موقوفًا على سيدنا عبد الله بن مسعود (١١/١).

صحيح البخاري، وكانت لا تقرأ في مجلس الملوك العلويين من أيام جدهم المعظم السلطان العظيم الشأن أبي عبد الله محمد بن عبد الله.

وألف شيخنا العلامة النحرير القاضي العلم المعمر أبو العباس أحمد بن الطالب ابن سودة وكان شيخ المجلس إذ ذاك في تأييد العمل المذكور كتابًا سمي بـ: «سيوف الفتك في نحر من قال بقراءة حديث الإفك»، لم أقف عليه.

وانظر كتابنا الإفادات والإنشادات[1] تر عجبًا عجابًا، وتعلم حال من اختار موضوع محاورة بنات مدرسة في تلمسان[2] في عصرنا هذا، - عصر الإلحاد - قصة حديث الإفك بين جمهور النساء والأحداث والملحدين. سبحانك هذا بهتان عظيم.

ويكفي في فضيحتهم قوله سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾.

وها هنا تتمة، وهي: أن العالم العارف السيد عبد الله بن حسين بن طاهر بن محمد بن هاشم الباعلوي الحضرمي اليمني، قال في كتابه «سلم التوفيق إلى محبة الله على التحقيق» في آخر الفصل الذي عقده لموجبات الكفر والردة: وقد عد الشيخ أحمد بن حجر والقاضي عياضًا رحمهما الله

---

(١) الإفادة رقم ٢٠٧ وهو تحت الطبع بدار الحديث الكتانية بعناية الأخوين الفاضلين الأستاذ المقرئ عبد الإله الصالح، والأستاذ عبد الهادي جمعون وفقهما الله.

(٢) يعني المصنف هنا الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري.

في كتابيهما الإعلام[١] والشفا أشياء كثيرة، فينبغي الاطلاع عليها، فكل من لم يعرف الشر يقع فيه. هـ

قال شارح «سلم التوفيق» العلامة الشيخ محمد نووي الجاوي في شرحه المسمى «مرقاة صعود التصديق»: أي: فيندب ندب مؤكد أن لا يحسن تركه[٢]. هـ منه ص٢٤.

وبهذا تعلم ما وقع للأنطاكي في آخر شرحه على الشفا، فإنه قال على قول المصنف في خاتمة الشفا: وأودعته غير ما فصل، وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه إلخ. أي: غير فصل واحد، وهذا الفصل هو الذي حكى القاضي المؤلف فيه ما وقع من الزنادقة وأهل الأهواء الضَّالة بعض الألفاظ البشيعة الشنيعة هـ.

فإن عياضًا مقتنع بأصوبية ما دَوَّن فيما دوَّن وقصد، ويكفي أن الشرع حذر منه ليجتنب، فلم لو يقع منه تحذير لما اجتنب وطورد، وإنما يطارد بذكر أحكامه الصارمة. والله أعلم.

ولذا قال القاري[٣]: أغرب الأنطاكي - أي: في ما ذكرنا - وقرر.

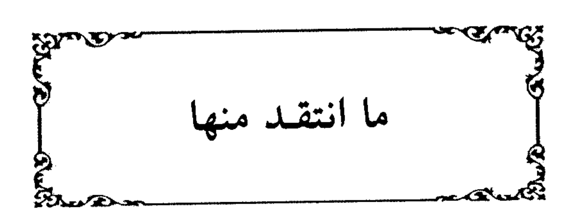
ووقفت على نسخة عتيقة بخط العلامة النحرير الفقيه الفرضي السيري أبي عبد الله محمد بن أحمد نيس من مختصر خليل بهامشها طرره وتحقيقاته، اشتملت على خلاصة المذهب، وما قرر به المختصر

(١) الإعلام بقواطع الإسلام، وهو مطبوع (طرة للمؤلف).

(٢) (ص٢٤).

(٣) شرح الشفا (٥٦١/٢).

لاستفاد الطالب والمطلوب، ومنه على باب الردة لدى قول خ «وإن سب نبيًا أو ملكًا» اعلم أن ما ذكره المصنف من هنا إلى آخر الباب زيادة على ابن الحاجب، لخصه من الشفا، ولو اختصره جملة لكان يكفيه أن يقول: وإن تنقص معصومًا وإن بتعريض أو باستخفاف بحقه قتل والله أعلم. هـ من خطه رحمه الله.



ما انتقد منها

من أكبر من نقل عنه نقد الشفا الحافظ أبو العباس ابن تيمية الحنبلي الدمشقي، ولا شك أن كلمته في الشفا ومؤلفها من سقطاته التي لا عذر له فيها، ففي تفسير شيخ الإسلام بإفريقية أبي عبد الله ابن عرفة الورغمي، التونسي المالكي، - وهو من جمع تلميذه البسيلي في مجلدين ضخمين، كله درر وغرر - أن ابن تيمية لما رأى كتاب الشفا قال: غلا هذا المغربي، وفي بعض النسخ أنه قال: المغيربي بالتصغير(١).

وإلى الرد عليه أشار ابن عرفة فقال:

شفاء عياض في كمال نبينا ... كواصف ضوء الشمس ناضر قرصها
فلا غرو في تبليغه كنه وصفه ... وفي عجزه عن وصفه كنه شخصها
وإن شئت تشبيهًا بذكر أمارة ... بأصل برهان مبين لنقصها
وهذا بقول قيل عن زائغ غلا ... عياض فتبت ذاته عن محيصها هـ

وكتب بعضهم على طرة البسيلي أن ابن تيمية أثنى على عياض، فلا يصح عنه ذمه. هـ بواسطة أزهار الرياض للمقري.

---

(١) لم أقف عليه في المطبوع منه.

قلت: من تتبع كتب ابن تيمية خصوصًا كتابه العظيم «الصارم المسلول على من سب الرسول»، - وهو في مجلد -، وكتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، - وهو في مجلدين كبيرين - وجده يعتمد كلام عياض، وخصوصًا في الشفا، بل هو عمدته، وكلا الكتابين مشتمل على تمجيد قدره عليه السلام ما يستغرب وجوده في مثل قلمه، وذلك أنه يقول في صفحة ٢٠٤: فقيام المدحة والثناء عليه عليه السلام والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله[١]. هـ

ويقول في صفحة ٢٩٣ أنه عليه السلام يباين سائر المؤمنين من أمته في عامة الحقوق فرضًا وخطرًا وغيرهما، مثل وجوب طاعته، ووجوب محبته، وتقديمه في المحبة على جميع الناس ووجوب تعزيزه وتوقيره على وجه لا يساويه فيه أحد، ووجوب الصلاة عليه والتسليم، إلى غير ذلك من الخصائص التي لا تحصى[٢]. هـ

وقال في صفحة ٤١٨ أن الله أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدةً على مجرد التصديق بنبوته ،كما أوجب سبحانه على خلقه من العبادات على القلب واللسان والجوارح أمورًا زائدة على مجرد التصديق به سبحانه. انتهى كلامه[٣].

---

(١) (ص٢١١).

(٢) (ص٢٩٧).

(٣) (ص٤٢٠).

وعلى هذا نقول: من المرقصات المطربات ما وجدته في فهرسة عالم تونس وقاضيها الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم الرصاع[١] في ترجمة شيخه قاضي تونس ومفتيها الإمام أبي عبد الله محمد بن عقاب التونسي، قال: لما ذكر له أن ابن تيمية قال في صاحب الشفا: إنه غلا، وقال الشيخ ابن عرفة: يتَّمَه الله، ما زال يقدح في العلماء والأولياء، ويقدح في أحزاب الشيخ الولي العارف أبي الحسن الشاذلي[٢]، وينكر عليه طلب العصمة في حزبه[٣]، قال: وربما تعدَّى ذلك حتى ذكر عنه أنه كان يقول: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كنزولي هذا[٤]. وهذا قول بالتجسيم نعوذ بالله منه.

قال شيخنا رحمه الله: لعَلَّ قوله في كلام صاحب الشفا: غلا هذا المغربي إنما كان انتقاده على تسميته في قوله: وسميته «كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى»، لا قوله التعريف فيه، ذهب نحو كلمتين لمن قرأهما جيدًا، لأن الذي يعرف هو الأمر الخفي، وأما ما كان وقوعه في الأذهان أشهر من نار على علَم فلا يصح فيه ذكر ذلك.

ولما بلغ ذلك بعض الشيوخ قال: إنما يصح تأويلهم عنه لو صححنا اعتقاده، واعتقاده فاسد، لأنه يقول هذا أو أشد منه، ألا ترى

---

(١) ترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٤٣٠-٤٣١).

(٢) طبع انتقاده لحزب الشاذلي بتحقيق د علي العمران، بدار عالم الفوائد عن نسخة فريدة مبتورة الأول، واجتهد في تسميته، فسماه: «الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق» انظر (ص ٩/١٠) من مقدمة المحقق.

(٣) انظر (ص١١ - ٣٦)، من كتابه السابق.

(٤) لم يرد هذا الكلام في كتب الإمام ابن تيمية المطبوعة.

إلى ما نقل عنه في حديث النزول؟ قال: وبالجملة فلحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في من ينقصهم معلومة. انتهى كلام الرصاع ملخصًا[١]، وهو بحث شيق جدًا، فإن بحث ابن تيمية إن كان ما ذكر هو مراده فوجيه.

وفي خاتمة الجواهر والدرر للسخاوي حين ذكر كتاب الوفا لابن الجوزي قال: وشوحح في هذه التسمية كما شوحح القاضي عياض في قوله: في التعريف بحقوق المصطفى. اهـ منه. انظر الجواهر والدرر[٢].

وقد سبق لي مرارًا في القرويين وغيرها حينما سُمعت علي الشفا أن قررت في وجه كون اسم الشفا عن عياض جاء مقصورًا: القصد به إشعار عياض القارئ بقصوره وتقصيره في الموضوع الذي توخى الكتابة فيه، فالقصر رمز الاعتراف بالقصور، والتقصير الذي يذهب عن عياض مشكلته تعبيره بالتعريف الذي فهم المنتقد على إرادة التعريف الحقيقي الغير المراد منه رحمه الله، وهو وجيه جدًّا.

ولله در الملا علي القاري المكي، فإنه قال في طالعة شرحه على الشفا[٣]: لما رأيت كتاب الشفا في شمائل صاحب الاصطفاء أجمع ما صنف في بابه مجملًا في الاستيفاء لعدم إمكان الوصول إلى انتهاء الاستقصاء، هـ.

---

(١) فهرسة الرصاع (ص١٥٤).

(٢) (١٢٥٣/٣).

(٣) (٢/١).

وإن كان الخفاجي قال: الشفا ممدودٌ قُصِر هنا للوقوف على فواصل السجع كالقوافي، والممدود يجوز أن يُقصر إذا وقف عليه حقيقة أو تقريرًا وهو تجوز منه، فلا غبار عليه.

وقيل: إنه قُصر لأنه قَصر عن شأن هذه الحقوق لطيفة لا تصلح للتوجيه.[١] هـ

أقول: بل صلوحيته ظاهرة جلية، والله أعلم.

وقد وجدت القاضي عياضًا قال آخر الشفا: واستوفي الشرط الذي شرطناه مما أرجو أن يكون كل قسم منه للمريد مقنع[٢].

قال الخفاجي: عبَّر بالمقنع إشارة إلى أنه لا يمكن الوصول إلى حقيقتها المعينة، وإلا فالطلب يقنع بمقدار منها. فلله دره[٣]. هـ

وممن نقدها إجمالًا الحافظ الذهبي[٤]، قال: تواليفه نفيسة، وأجلّها وأشرفها كتاب الشفاء، لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عملُ إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حُسن قصده، وكذا فيه من التأويلات البعيدة، فعليك بدلائل النبوة للبيهقي، فإنها شفاء. هـ

قال الحافظ السخاوي إثره في كتابه «الرياض في ختم الشفا للقاضي عياض»[٥]: أفرط - أي: الذهبي - في الإنكار على عادته،

(١) نسيم الرياض (١/٥١-٥٢).
(٢) (ص ٨٨٢).
(٣) نسيم الرياض (٤/٥٧٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٠/٢١٦).
(٥) ق١٦- ١٧، نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مجموع رقم ٣٠٨.

وكان يمكنه التعبير بأحسن من هذه العبارة، لأنه لا يخفى جلالة عياض في الحديث، بحيث اعتمده فيه جمهور من جاء بعده، وقد أراد الزين العراقي أن يعزو أحاديثه ويتكلم عليها ثم رجع عن ذلك قائلًا: هذا كتاب قد تُلقي بالقبول لا أحب التعرض له.

وقال الشهاب الخفاجي في «نسيم الرياض»: وهو تحامل منه لا ينبغي، فلم ينصفه الذهبي(١)، هذا كلام الخفاجي.

قال أبو إسحاق إبراهيم التادلي الرباطي في شرحه على الشفا عَقِب ما ذُكِر: والجواب عنه أنه لما غَلبت عليه محبته ﷺ كان قصده جمعَ فضائله وفواضله ولو بحديث ضعيف، أو تأويل بعيد، كما هو عادة المحب كلما سمع فخرًا في محبوبه نسبه له، ولم يُبال بتمييز صحيح من ضعيف، والله يثيبه على قصده، ولذا كان لا يسكت عن غير الفضائل كحديث «تلك الغرانيق العلا» فتساهل في الفضائل دون غيرها؟ هـ من خطه.

وأقول: الذهبي من تلك الفئة الشَّاذَّة التي ترى أن الكمالات المحمدية والإلَهية كل من عنى بها شقيٌّ ملموز، ويشترطون في كل ما يرويه غيرهم في هذا الباب أن يكون متواترًا أو صحيحًا، ولا يقبلون آحادًا، فهم في هذا الباب قد شدَّدُوا وشَذُّوا عن جماهير الأمة(٢).

---

(١) نسيم الرياض (١/٤).

(٢) هذه الكلمة خشنة جدًا، ولعل سببها تحامل الحافظ الذهبي الزائد على كتاب الشفا.

ولله در عالم صنعاء وحافظها في القرن المنصرم النور حسين بن أحمد الصياغي الصنعاني حيث قال في «الروض النضير»: التشيع غير قادح، بل هو من مكملات الإيمان، وأفضل ما يتحلى به الإنسان؛ ما لم يكن في رتبة الغلو، وبعض الجرح تعديل، ومن نظر كلام الذهبي في ميزانه بعين الإنصاف تبين له فيه الخسران[1].

وقد أبدع السيد العلامة عبد الله بن علي الوزير فقال وأنصف:

في كفة الميزان ميل واضح ... عن مثل ما في سورة الرحمن
فاجزم بحفظ النصب وارفع رتبة ... للدين واكسر شوكة الميزان[2] هـ

(١) كلام هذا الزيدي باطل، وزعم عاطل، وقد ساقه المؤلف مساق النتيجة، وهي أن في بعض أحكام الحافظ الذهبي شططًا، وقد كان يكفي النقل عن أئمة السنة والجماعة من أهل الاعتدال والبراعة كالحافظ السخاوي والإمام الخفاجي رحمهما الله تعالى؛ الذين نقل كلامهما قبل، ثم كلام المصنف نفسه، وإنما ذكر كلام هذا الزيدي لأن نتيجته مسلمة عنده، وإلا فإن الرجل المبحوث فيه عند هذا الزيدي ومن قبله، وهو نصر بن مزاحم، والذي أقام عليه الدنيا هو ومن قبله من الزيدية مجمع على ضعفه بين أئمة النقل، إلا ما كان من ابن حبان فقد أورده في الثقات (٢١٥/٩)، بل هو كذاب رافضي خبيث، وهو نصر بن مزاحم العطار المنقري، قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: واهي الحديث، متروك الحديث، لا يكتب حديثه، كان شبه عريف. الجرح والتعديل (٤٦٨/٨)، والحافظ الذهبي في الميزان إنما نقل أقوال الحافظ فيه، ومنها كلمة أبي حاتم الرازي السابقة عن الجرح والتعديل لابنه، وقال أبو خيثمة كما في الميزان كان كذابًا، وانظر لسان الميزان للحافظ ابن حجر (٢٦٧/٨)، ولكن القوم جبلوا على الكذب والاختلاق وقلب الحقائق.

(٢) الروض النضير (٢٤/١-٢٥).

على أن الإمام حافظ الأندلس والمالكية أبا عمر بن عبد البر لما أورد في «الاستيعاب» حديثًا وقال عقبه: إسناد هذا الحديث ضعيف، ولو كان فيه حكم لم أذكره، لأن من رواته مجهول، وعُمارة بن زيد أحد رواته اتهموه بوضع الحديث، ولكنه في ما عُلم من أعلام النبوة، والأصول في مثله لا تدفعه، بل تشهد له وتصححه[١].

ولما نقل هذا الحافظ ابن حجر في «الإصابة» [٢] قال عقبه: يستفاد من هذا أنه تجوز رواية الحديث الموضوع إذا كان بهذين الشرطين: ألا يكون فيه حكم، وأن تشهد له الأصول، وهو خلاف ما نقلوه من الاتفاق على عدم جواز ذلك، ويمكن أن يقال: ذكر هذا الشرط من جملة البيان. هـ. وتأمله.

فإن ابن عبد البر بيَّنَ ما فيه، كما قال الحافظ أبو العلاء العراقي في «تكميل المناهل»[٣]، وسبق الكلام على من اعتنى بتخريج أحاديث الشفا من الحفاظ وما أفردوه لذلك من التآليف.

على أن بعض الأئمة الأعلام من أهل فاس قال في تأليف له سماه: «إعلام القريب والنائي في بيان خطإ عمر الجزنائي» نقله برمته الإمام المقري في «أزهار الرياض»، قال: إن عياضًا سَلَّم له فُحول أهل وقته وعُلمائه من بعده إلى وقتِنا هذا، عصرًا بعد عصر، وقرنًا بعد قرن، وجيلًا بعد جيل، فكلُّ من تصَفَّح منهم كلامه من عِلمٍ كَتَبَه أو شِعر

---

(١) الاستيعاب (٣/١٣٤٦).

(٢) الإصابة (٩/٣٩٩).

(٣) (ق٢-٣) نسخة مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.

أنشده، أو كتب ردَّه أو غريب نسبه، أو مشكل فتحه، أو كتاب ألَّفه، شهِد له بغزارة علمه وسلامة فهمه ووفور عقله، مع ما ثبت له رضي الله عنه من كونه لا يخاف في الله لومة لائم في قضائه وحكمه، اهـ منه[١].

ويكفي مرشدًا في الموضوع أن عياضًا لا يُعد واعظًا من الوعاظ أو أدِيبًا من الكُتَّاب أو فقيهًا من الفقهاء فحسب، بل هو حافظ كبيرٌ من أعاظم حُفاظ وصناديد المحدثين، وأفذاذ المسندين في الإسلام، أَفَلا يكفيك في عِظَم أمره قولُ حافظ الدُّنيا أبي طاهر السِّلفي مخاطبًا له من قصيدة:

وأضحى فريدًا في الحديث وحفظه ... وقصر عنه كل فحل ومفلق
وفي الفقه من بعد الذي هو علمه ... فقد فاق أهل الأفق قول محقق[٢]

وقد ترجم لعياض في طبقات الحفاظ الحافظ الكبير شيخ النقاد وإمام أصحاب الموازين، أبو عبد الله الذهبي نفسه في «تذكرة الحفاظ»، وجعله من كبار الحفاظ من الطبقة السادسة عشر[٣]، والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي في «شرح بديعة البيان في طبقات الحفاظ».

قال الذهبي فيه: القاضي العلامة عالم المغرب الحافظ، صنف التصانيف التي سارت بها الركبان، واشتهر اسمه وطار، وبَعُد صيته. ثم نقل عن ابن خلكان قوله: هو إمام الحديث في وقته، وأعرف النَّاس بعلومه، ثم قال: وكل تواليفه بديعة. اهـ منها ص ٩٨ ج ٤ طبع الهندية.

(١) أزهار الرياض (٤/١٨١-٢٣٩).
(٢) أزهار الرياض (٩/٢٤٩-٢٥٠).
(٣) (٤/١٣٠٤-١٣٠٧) رقم الترجمة ١٠٨٣.

وترجمه الذهبي أيضًا في تاريخه «دول الإسلام» فقال فيه: عالم المغرب[١].

وقال الحافظ بن ناصر الدمشقي في بديعته[٢]:

لليحصبي عياض الثناء   دواؤنا من ثبته الشفاء

قال في شرحها: كان حافظًا علامة مفيدًا للطلاب، متقنًا لعلوم؛ كالحديث والفقه والنحو واللغة والأدب وأيام العرب والمعاني والبيان والتواريخ والأنساب[٣].

وترجمه الحافظ ابن الأبار في «معجم أصحاب الصدفي» فقال فيه: المحدث الحافظ، ثم قال: وكان لا يُدرَك شأوه ولا يُبلَغ مداه في العناية بصناعة الحديث، وتقييد الآثار، وخدمة العلم، قال: وبالجملة فكان جمالَ العصر ومفخرَ الأفق، وإذا عدت رجالات المغرب فضلًا عن الأندلس حُسِب فيهم صدرًا، وله تواليف مفيدة، كتبها الناس واعتنوا به، وكثر اشتغال كل طائفة بها. اهـ منه ص٢٩٦[٤].

وممن ترجمه تحت ترجمة حفاظ الحفاظ الأمير الطائر الصيت، صِدِّيق حسن خان الهندي في كتابه «أبجد العلوم»، قال: كان إمام وقته في الحديث وعلومه الخ، قال: وجمع من الحديث كثيرًا، وكانت له

---

(١) دول الإسلام (٢/٤٦).

(٢) البيت رقم ٧٤٨.

(٣) التبيان لبديعة البيان (٣/١٢٧٥-١٢٧٦).

(٤) ط، د بشار عواد معروف (٣٦٧ – ٣٦٨).

عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتفسيره، وهو من أهل اليقين في العلم والذكاء والفطنة والفهم. اهـ منه ص٨٣٠[١].

قلت: ولله در الإمام علي القاري المكي إذ قال في شرحه على الشفا لدى كلامه على حديث فيها، قال عنه الدُّلْجِي:لم أدر من رواه.

قلت: يكفي أنه رواه المصنف، وهو من أكابر المحدثين، ولولا أن الحديث له أصل ما ذكره اهـ.

ولذا قال القسطلاني في المواهب: ذكره القاضي عياض في الشفا، ونقله عنه الحافظ في الفتح. اهـ ص ٦٢٩ج ١ ط ١.

ولما نقل الحافظ السخاوي في الجواهر والدرر عن شيخه الحافظ ابن حجر في الرباعيات المنقولة عن البخاري، وقد ساقها القسطلاني في أول إرشاد الساري[٢]، وشقيقنا أبو الفيض[٣] في ختمته للصحيح قوله[٤]: منذ قرأت هذه الحكاية إلى أن كتبت هذه الأسطر وقلبي نافر من صحتها مستبعد لقبولها، تلوح أمارات الوضع عليها، ويلمع إشارات التلفيق فيها، ولا يقع في قلبي أن البخاري يقول هذا، ولا بعضه، وأما قول القائل الذي في آخره أن هذا خير من ألف حديث فكذب لا مزيد عليه اهـ.

(١) أبجد العلوم (ص٦٥٣).
(٢) إرشاد الساري (١/١٨-١٩).
(٣) (ص٩٦) ط، الحجرية فاس.
(٤) الجواهر والدرر (١/٣٨٢).

كَتَب بهامش النسخة[١] بعض علماء المشرق ما نصه: تَعَقَّبَ ذلك المتبولي فقال: إيراد القاضي عياض والجلال السيوطي لهذه الحكاية شاهدة بأنها ليست موضوعة عندهما، ومن ذكر سندها فهو أبسط لعذره على تقدير وضعها، وكان ينبغي لمن جزم بوضعها أو أشار إليه أن يبين علة ذلك من حيث السند، والله أعلم. اهـ ومن خطه نقلت.

قلت: ساقها القاضي عياض في «الغنية»[٢] بإسناده، وانظر ترجمة القاضي أبي بكر بن العربي المعافري، قال: ومما كتبت عنه مما حدثني به سماعًا عنه من لفظه، قال: ثنا أبو محمد هبة الله بن محمد الأكفاني فساقها بسنده إلى البخاري. انظر الغنية. وهي قصة عجيبة[٣].

الشاهد في قول المتبولي في إيراد القاضي عياض لها شاهد بأنها ليست موضوعة، والله أعلم.

ولما تكلم الزرقاني في شرح المواهب على القصة المراجعة التي وقعت بين مالك وأبي جعفر المنصور في استقبال رسول الله ﷺ أو استدباره عند الدعاء وقول ابن تيمية أنها حكاية باطلة قال ما نصه: هذا تهور عجيب، فإن الحكاية رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتابه

---

(١) هي نسخة المكتبة الوطنية بباريز، وقد سبق ذكر خبرها، وقد نقل محقق الكتاب هذه الحاشية من هامش النسخة الباريزية.

(٢) الغنية (٦٩-٧٢)

(٣) وكذا أخرجها القاضي عياض في الإلماع (ص٤٨-٥٢)، وفي إسناد القصة نوح بن نصر أبو عصمة الفرغاني، نقل الحافظ الذهبي في الميزان (٥/٤١-٤٢) قول الحافظ ابن النجار صاحب مناكير وغرائب.

فضائل مالك بإسناد لا بأس به وأخرجها القاضي عياض في الشفا من طريقه عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، فمن أين أنها كذب، وليس في إسنادها وضاع ولا كذاب ...

ولكن هذا الرجل ابتدع له مذهبا، وهو عدم تعظيم القبور، وأنها إنما تزار للترحم والاعتبار بشرط أن لا يشد لها رَحل، فصار كل من خالفه عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه، فإذا لم يجد له شبهة واهية يدفعه بها بزعمه انتقل إلى دعوى أنه كذب على من نسب إليه مجازفة وعدم نصَفة، وقد أنصف من قال فيه: علمه أكبر من عقله. هـ منه ص٣٤١ ج٨[١] وص ٣٥٨[٢] منه أيضا، وزاد: وصار كل ما خالف ما ابتدعه بفاسد عقله عنده كالصائل لا يبالي بما يدفعه.

ومما انتقد على الشفا قوله في الشفا: وأما تواضعه عليه السلام على علو منصبه فكان أشد الناس تواضعًا وأقلهم كبرًا[٣]، فإنه ﷺ مُنْتَفٍ عنه الكبر أصلًا ورأسًا، وصار هذا المعترض يتتبع نسخ الشفا فيمحو ذلك منها، وقد سئل الحافظ ابن حجر في القرن التاسع عن فعل المذكور هل هو مصيب؟ فأجاب: الاعتراض باطل، لأن العلماء قد تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن أبي: كان رسول الله ﷺ يكثر

---

(١) (٨/٣٠٤-٣٠٥).

(٢) (٨/٣١٤-٣١٥).

(٣) الشفا، الباب الثاني في تكميل الله له المحاسن خَلقًا وخُلقًا وقِرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقًا: فصل في تواضعه (ص١٧٣) ط عبده كوشك.

الذكر ويقلل اللغو[١] أي: لا يلغو أصلا، وحينئذ فقول القاضي عياض: «وأقلهم كبرًا» بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة، وقد يؤول على شدته على الكفار والمنافقين، لأن تواضعه ورأفته ورحمته كانت بالمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ولا يجوز إتلاف نسخ الشفا. انتهى جوابه ملخصًا.

راجعه بطوله في الجواهر والدرر لتلميذه الحافظ السخاوي[٢]، وهو من نوادر المصورات في المكتبة الكتانية[٣]، تفردت به في إفريقية والحمد لله. ومن نسخة المكتبة أخذت النسخة الموجودة في المكتبة الدولية بمصر[٤].

---

(١) أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب: الجمعة، باب: ما يستحب من تفسير الخطبة، رقم: ١٤١٤ (٣/١٠٨-١٠٩)، وأخرجه في الكبرى أيضا، كتاب: الجمعة، تقصير الخطبة، رقم: ١٧٢٨ (٢/٢٨٠).

(٢) (٢/٩٥١-٩٥٣).

(٣) صورها الإمام الحافظ السيد من باريس في رحلته إليها سنة ١٣٥٠هـ.

(٤) صورت المكتبة الدولية المصرية وقت مرور الإمام الحافظ المصنف على مصر سنة ١٣٥٠ العديد من الأصول الخطية التي كانت في صحبته مما صحبه معه في حجته تلك؛ كنسخته الفريدة من مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، والتي كتبها وصححها المحدث السيد عبد الله بن حافظ المغرب السيد إدريس العراقي الفاسي الحسيني رحمهما الله تعالى، وبعض ما اقتناه في رحلته في مصر والحجاز والشام كنسخته من تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي، ونسخته من الخطط التوفيقية، والتي هي بخط جامعها العلامة علي باشا مبارك رحمه الله، إلى غير ذلك مما حوى خبره كتابنا تاريخ المكتبة الكتانية يسر الله طباعته قريبًا.

ومما انتقد على القاضي عياض في الشفا مبالغته في الرد على الشافعي فيما ذهب إليه من فرضية الصلاة على النبي ﷺ وإبطاله صلاة من لم يأت بها[١]، وهو انتقاد قديم، أفرده بمصنف خاص الحافظ قطب الدين الخيضري، سماه: «زهر الرياض في رد ما شنعه القاضي عياض»[٢]، وقد قال فيه: ما قصدت به تنقيص مقداره، فإنه طراز هذه العصابة.[٣]

وفي «القول البديع» للحافظ السخاوي: وقد قال شيخ شيوخنا الحافظ أبو الفضل العراقي: قد سمعت غير واحد من مشايخنا ينكرون على القاضي عياض إنكاره على الشافعي ونسبته إلى الشذوذ بذلك في كتاب موضوعه شرف المصطفى، مع كونه حكى في الشفا الخلاف في طهارة بوله ودمه، واستحسن ذلك منه لزيادة شرفه بذلك، فكيف ينكر قوله بوجوب الصلاة عليه، وهو زيادة شرف له.

وقد انتصر جماعة للشافعي فذكروا أدلة نقلية ونظرية، ودفعوا دعوى الشذوذ، إلى آخر كلامه[٤]، ومن خط السخاوي نقلت[٥].

---

(١) الشفا، القسم الثاني، الباب الرابع في ذكر الصلاة عليه والتسليم، وفرض ذلك وفضيلته، (ص٥٤٧).

(٢) طبع بتحقيق د أحمد حاج محمد عثمان بدار أضواء السلف.

(٣) نقل المصنف عبارة الحافظ قطب الدين الخيضري باختصار، وهي أطول من ذلك، تنظر في زهر الرياض (ص٣٩).

(٤) القول البديع (ص٦٢ – ٦٣) بعناية شيخنا المحدث محمد عوامة حفظه الله.

(٥) هي نسخته الحاملة لرقم: ١١ك، وهي الأصل الأول الذي اعتمده الشيخ المحدث محمد عوامة حفظه الله تعالى في طبعته للقول البديع، انظر وصفه لها (ص١٦-١٨).

وقال الشهاب القسطلاني في «مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على النبي المصطفى» قول عياض: قد شنع الناس عليه، - أي: على الشافعي - أي شناعة عليه في هذه المسألة، وهل هي إلا من محاسن مذهبه، وأي كتاب خالفه؟ أم أي إجماع خرقه أو أي نص خالفه؟ فمن أي وجه يشنع عليه؟ وهل الشناعة إلا لمن شنع عليه[1]هـ.

وأصله مع بسط للحافظ ابن القيم في «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام» ص٢٦٩[2].

وقال القسطلاني في المواهب[3]: وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم من التشنيع على الشافعي، وحكى القاضي عياض في الشفا مقالاتهم، وقد عاب عليه غير واحد، وقالوا: كان ينبغي سكوته عنها لأن مبنى تأليف الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه عليه السلام وأداء حقوقه، إلى آخر كلامه.

وقد قال الخفاجي: بالغ الشافعية في الرد على تخطئته فيما قاله حتى قال بعضهم: هذا المشنع إنما شنع على نفسه لا على الشافعي إذ عد ذلك من محاسن مذهبه ولم ينفرد بذلك. وقد قال بعض المحققين: لو سلم تفرده بذلك لكان حبذا التفرد.

وقال العبادي: أي محذور في تفرد ابن إدريس؟ وأي حاجة له إلى موافقة غيره؟ هـ.

---

(١) مسالك الحنفا (ص٩٣).

(٢) جلاء الأفهام (ص٤٦٣-٥٠٨).

(٣) شرح الزرقاني على المواهب (٦/٣٣٣).

وممن أطال وأطاب في مباحثة القاضي عياض في هذه المسألة جدنا من قِبَل الأم العالم الأديب البارع المعمر أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي[١] وهو شافعي نزل المغرب وعاش فيه نحو نصف قرن، احتفظ فيها بمذهبه الشافعي.

له كتاب في أربع مجلدات ضخمة، سماه: «الكنوز المختومة في خصائص هذه الأمة المصونة»[٢]، قال فيه: عاب عليه - أي: على عياض - غير واحد، وقال: كان ينبغي سكوته عنها، لأن مبنى تأليفه الشفا على كمال المبالغة في تعظيمه وأداء حقوقه، والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من أغراض المبالغة في تعظيمه، وقد استحسن القول بطهارة فضلاته عليه السلام، مع أن الأكثر على خلافه، لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه، وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه، وهو من

---

(١) ولد سنة ١٠٦٠، وتوفي سنة ١١٢٠، انظر ترجمته في: الأنيس المطرب للعلمي (١٩/٦)، وسلوة الأنفاس (١٨٤/٢-١٨٧)، الإعلام لابن إبراهيم (٣٣٢/٢-٣٥٢).

(٢) منها مجلدان في المكتبة الكتانية العامرة، فالأول تحت رقم: ٥٠٠ ك، والثاني تحت رقم: ٢٧٢٤ ك. وقرأت في إحدى رحلات الإمام المصنف أنه وقف على مجلد منه بمكناس. قلت: لعلها النسخة التي دخلت اليوم إلى الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: (١٥ق) إذ أن هذا الكتاب لا ذكر له في فهرسة المكتبة، وقد نقل كثير من ذخائر المكتبة إلى المكتبة الوطنية، بل جزئت بعض الكتب، فأخذ مجلد منها وبقي الباقي في مكناس كما شاهدناه. وأخبرني أخونا الدكتور الشريف الجليل سيدي حمزة بن علي الكتاني حفظه الله تعالى أن بمكتبة العلامة المؤرخ النسابة عبد الكبير بن هاشم الكتاني نسخة كاملة تامة منه.

جنس الصلاة ومقتضياتها، وإذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين؟.

فائدة: حدثنا شيخنا الإمام العارف شيخنا أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي بفاس في عشرة التسعين وألف أنه أخبره السيد محمد بن الحاج الدلائي رئيس الدلاء وعالمها وسيدها، وكان عالمًا متضلعًا من العلوم مع ولايته، وكان عاقلا من الدهاة الأثبات الثقات أنه رأى القاضي عياضًا في منامه فتكلم معه في هذه المسألة بعينها، فقال له معتذرًا من ذلك: إني تبت عما كنت بصدده، فأجابه بكلمة بقواعد الفقه: وإذا بلغتم ذلك الموضع في الشفا فأدوا علي بالنكير.

قلت: والقاضي عياض في دار الحق، فظهر له الحق واعتذر عنه هـ.

قلت: وهذه الرؤيا التي ذكر الحلبي ساقها أيضًا أبو الحسن علي بن أحمد الحريشي[1] في شرح الشفا على وجه آخر فقال: **فائدة**: حدثني شيخنا الإمام أبو محمد عبد القادر الفاسي أنه حدثه الماجد سيدي محمد الحاج أحد ملوك الدلائيين أن الشيخ الفاضل أبا عبد الله بن سيدي أبي بكر الدلائي، وقد كان مُحبًا ومُكِبًا على سماع الشفا، ولما وصل هذا المقام وقع في نفسه شيء مما سطره القاضي عياض، فرأى عياضًا في المنام وقال له: جزاك الله عن المسلمين خيرًا مما رسمته في الشفا، ولكن ما كان ينبغي لك ذكر ما سطرته في الصلاة، فقال له القاضي عياض: قد تبت مما أنا بصدده، وجعلت أنتصر للمذهب. فرحمه الله، فالعذر له أولًا وثانيًا.

---

(١) ٣/ق٦٦أ. نسخة مكتبة المسجد النبوي الشريف. رقم ٢١٩.

ولكن قد انتقَدَ انتقاد هؤلاء جميعًا على عياض العلامة محدث الديار المصرية الشمس الزرقاني في شرح المواهب، قال: قال شيخنا - يعني الشَّبْرَامُلُّسِي - فيما أملانا: مثل هذا لا يسمى عيبًا ولا يعرض به، لأن مراد عياض كغيره من العلماء بيان الحق لينظر الواقف عليه الأقوال والأدلة، وليس فيه شيء ينافي تعظيمه عليه السلام، فإن عظمته وكرامته لم تتوقف على هذه المسألة، وأما ما ذكره لمسألة الفضلة فلأنه مذهبه كالشافعي فهو الحق عنده[١]. هـ

وكتب على قول القسطلاني: وكيف ينكر عياض القول بوجوب الصلاة عليه وهي من جنس الصلاة ومقتضياتها؛ لأنها أقوال وأفعال، وهي من الأقوال، وهذا اعتراض ساقط، لأنه إنما أنكر الوجوب فقط لأنه لا يثبت إلا بدليل خاص[٢].

وقال لما ذكر تأليف القطب الخيضري زهر الرياض: وقفت عليه، وأكثره قابل للرد[٣].

قال الزرقاني على قول القسطلاني: لا ريب أن القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله أولى بالتشنيع، لأن تجويز ذلك من جملة الرحمة التي أرسل بها حتى لا ينال أمته الإثم إذا لم يُصَلُّوا عليه، بل يثابوا على الصلاة ولمشقة الوجوب بخلاف السنية التي قالوا بها. هـ انظر بقية أبحاثه مع متنه[٤].

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب (٦/٣٣٣).
(٢) شرح الزرقاني على المواهب (٦/٣٣٣).
(٣) شرح الزرقاني على المواهب (٦/٣٣٣).
(٤) شرح الزرقاني على المواهب (٦/٣٣٦).

وعلى ذكر مذهب الشافعي في إيجاب الصلاة على النبي صلى الله عليه في الصلاة وما ادعى من انفراده به كما يزعم عياض يُنشَد ما ذكره الشيخ ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي في كتابه «ألف باء» أنه سمع شيخه الحافظ السلفي ينشد لنفسه، وكان شافعي المذهب:

إمامي الشافعي وحين أفتي ... بمذهبه المهذب طاب عيشي
وإني لا أبالي بانفرادي ... بقوة حجتي في ألف جيش
وقد قال النبي وصح عنه ... ألا إن الأئمة من قريش

ص ٢٩٤ ج٢[١].

ومن الألفاظ التي وقع عليها هرج من الشفا حتى أفردت بالمصنفات العديدة قوله في خاتمتها: ويخصنا بخِصِّيصَى زمرة نبينا وجماعته[٢]، فخِصِّيصَى بكسر الخاء المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة وألف مقصورة، وتمد كما في القاموس[٣]، وهي مصدر بمعنى الاختصاص، وهو الذي جزم به السيوطي.

وقيل: إنه من خصيص بوزن صديق، وإليه ذهب السخاوي وغيره، وجُزم بأبي بكر وعمر، ولما قرأه بالتثنية الشيخ برهان الدين النعماني[٤]

(١) ألف باء، (٢/٢٩٤) المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٧.
(٢) (ص٨٨٣) ط عبده كوشك.
(٣) (ص٦١٧).
(٤) هو إبرهيم بن علي بن أحمد بن بركة النعماني الشافعي، ولد سنة ٨٢٨، وتوفي سنة ٨٩٨، ترجمه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (١/٧٨-٨٠)، وذكر الواقعة التي حصلت له في ذلك.

في الدرس بين يدي المحيوي الكافِيَجِي[١] بالشيخونية، والجلال السيوطي حاضر رده، وقال: إنه خطأ، فلم يقبله، وقال: إنه هو الصواب، فكتب إليه بعد ذلك ما صورته بعد الاستفتاح، وبعد: فقد قرأ بعض العوام في آخر كتاب الشفا: «وتخصنا بخِصِّيصَى» بسكون الياء بصيغة التثنية المحذوفة النون.

فقلنا: إنما هي «خِصِّيصَى» بألف التأنيث المقصورة، وأقمنا له بعذر في ذلك لكونه رواها عن شيوخه بالياء، فظن أنها ياء وادعى أنها روايته وكذب في ذلك، وادعى أن ذلك هو الصواب، وأراد تخصيص أبي بكر وعمر.

وأقول: ما ادعاه باطل. ثم وجَّه البطلان وأرسله لعلماء العصر واستفتاهم، فقال السخاوي: ممن استفتاه العلامة الأمين الأقصري، فكتب بتصويب ما قال السيوطي، وكتب الشمس البامي[٢] أن هذه اللفظة

---

(١) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي والكافيجي نسبة للكافية للإمام ابن الحاجب لكثرة اشتغاله بها، ولد سنة ٧٨٨، وتوفي سنة ٨٧٩، انظر ترجمته في الضوء اللامع (٧/٢٥٩-٢٦١)، والمنجم في المعجم(ص١٨٣-١٨٦)، وبغية الوعاة (١/١١٧-١١٩) كلاهما للحافظ السيوطي.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد البامي، نسبة لقرية من الصعيد، ولد سنة ٨١٠هـ، وتوفي سنة ٨٨٥هـ، كما في الضوء اللامع. انظر ترجمته في: الضوء اللامع (٧/٤٨ - ٤٩)، والمنجم في المعجم (ص١٧٨ — ١٧٩)، وفيه أن وفاته سنة ٨٩٨. وقد خرج له الحافظ السيوطي مشيخة سماها: «الفتح المبين السامي في مشيخة الشمس البامي». وقفت عليها في المكتبة =

مثناة، والمعنى عليها فلا يحل لأحد إنكارها، فمن أنكرها مصوبًا غيرها في الحقيقة مسيء على القاضي عياض، فيؤدب على إساءته على العلماء.

وكتب الفخري عثمان الدِّيمي[١] مثاله، وكذا الشيخ قاسم الحنفي[٢]، وقال: التثنية لا تمتنع رواية ودراية، أما الرواية فلأنها الثابتة في الأصل المعتمد المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد المجيد اليمني في حاشيته عليه، وقرئ ذلك على ابن حجر، وناهيك به، فمن ينسب قائله إلى الكذب فهو كذاب يستحق التأديب، كذا قال السخاوي في فتاواه[٣]، وأطال وأسهب على عادته، وانتصر له تلميذه الشاعر الأديب

= الأزهرية بمصر، وهي في ثمان ورقات، في آخرها صورة سماع الحافظ السيوطي على مخرجها.

(١) ولد سنة ٨٢١، وتوفي سنة ٩٠٨، ترجمه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (٩/١٤٠-١٤٣)، وفيها الكثير من كلام الأقران، وهو الذي عناه الحافظ السيوطي بقوله:

قل للسخاوي إن تعروك نائبة ... علمي كبحر من الأمواج ملتطم
والحافظ الديمي غيث السحاب فخذ ... غرفا من البحر أو رشفا من الديمي

وترجمه المصنف في فهرس الفهارس (١/٤٠٩-٤١٠). تنبيه: وقع في تزيين الألفاظ لمحمود سعيد ممدوح أن وفاته كانت سنة ٩٠١، وهو من أخطائه التي لا يتابع عليها.

(٢) هو الحافظ قاسم بن قطلوبغا الحنفي صاحب تخريج أحاديث الشفا السابق الذكر.

(٣) الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية (٣/٩٥٧-٩٦٠).

أحمد بن يحيى المعروف بابن العليف[١] في كتابه الذي سماه: «الشهاب الهاوي على منشإ الكاوي» وهو موجود في المكتبة الكتانية بخط جار الله ابن فهد المكي، وله أيضًا: «المنقذ اللوذعي على المجتهد المدعي»، والكاوي الذي رد هو كتاب الحافظ السيوطي المسمى «بالكاوي لدماغ السخاوي»[٢].

قال الشهاب الخفاجي[٣]: إن السخاوي أطال لسانه على السيوطي، وادعى أن علماء عصره كلهم وافقوه وكتبوا خطوطهم بنصرته، ولم أر ما قاله في كتاب غير فتاواه، والحق ما قاله السيوطي. إلى آخر كلامه، وهو المروي المسموع المتلقى من أفواه المشايخ، والمسموع عليهم من خاتمة الشفا إلى الآن، وكذلك نحفظه.

ولله در شيخنا أديب الحجاز العلامة المسند المعمر الرحلة، الشيخ عبد الجليل بن عبد السلام برادة المدني في قصيدته الطنانة التي رد بها على الشيخ محمد محمود الشنجيطي حين جهَّل القاضي عياضًا في المشارق:

يا أبا الفضل إن يك ساء قول   بجهول من شأنه الازدراء
زور قول به تبجح جهلا   تركزي له الحماقة داء

---

(١) ولد سنة ٩٥١، وتوفي سنة ٩٢٦، ترجمته عند شيخه الحافظ السخاوي في الضوء اللامع (١/٢٩٠)، والنور السافر للعيدروس (ص١١٧-١٢٠)، وفي المطبوع منه نقل عن الحافظ السخاوي أنه أخذ عنه، ومثله في شذرات الذهب، وهو خطأ، صوابه العكس، فهو الأخذ عن الحافظ السخاوي.

(٢) منه نسخة بالمكتبة الكتانية رقم: ٤٨٦ ك.

(٣) نسيم الرياض (٤/٥٧٨).

لـيس يـدري بأنـه لـيس يـدري ولــه الحمــق عــادة والمــراء
ظـــن حمقـــه بـــأن عياضًـــا عاكـشًا[١] خـاب ظنـه والرجـاء
كـل مـن رام أن يخطـئ قـولا ذاك ذاك الغبـــي والخطـــاء
يا أبا الفضل أنت للفضل أهل ولـك الفـضل شـيمة والوفـاء
ولك الفضل بالمشارق اضحى شـاهدًا والـشفاء نعـم الـشفاء
ومـــساعيك بالمـــآثر أمـــست مــا لهــا فــي قبيلهــا إخفــاء
لــك بحـر مـن العلـوم عميـق لــم تكــدر صــفاءه الــدلاء
قـصر الحـق بانتـصارك حقـا لاح مــا فيــه للعيــون خبــاء
فـسلام علــى ضـريحك منـا وثنـــاء ورحمـــة ودعـــاء

انظر «فتكة البراد في التركزي المعترض على القاضي عياض» لشيخنا عالم المدينة المنورة ومفتيها الشهاب أحمد بن إسماعيل البرزنجي الشافعي المدني، وهو مطبوع[٢].

ومن الغباوة الكبيرة والتنطع المزري بصاحبه ما وقع لأحد المتأخرين من أهل الصحراء، وهو محمد النابغة الشنجيطي في عقده لما نثره الهلالي في نور البصر فيما تجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب وما لا يعتمد تحت فصل الكتب التي لا تعتمد ما انفرد بنقله قال:

ومنـــه مـــا أدخلـــه عيـــاض مـتن الـشفا ووزنـه ريـاض
وحيث لم تكن بهذا الحال فلم تكن من الكلام الحالي

---

(١) يعني: رد العلامة الشنجيطي على العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي، في شرحه للامية العرب، وسماه: «إحقاق الحق وتبرئة العرب مما أحدثه عاكش اليمني في لغتهم ولامية العرب»، وقد طبع مرتين.

(٢) (ص٣٩).

ولا شك أن هذه الأبيات إنما كتبها من لم يكن يعلم ما يخرج من رأسه أو يجري به قلمه، وإلا فمن اعتمد في هذا أو من ذكره قبله، وقد اعتمدت أئمة الأعصار وفقهاء الأمصار من زمن عياض إلى الآن كتاب الشفا، ورووه وخدموه وتبركوا به وتيمنوا، ويكفي أن ممن اعتمده الشيخ محي الديي النووي والشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ تقي الدين ابن السبكي في سائر كتبهم، خصوصًا في كتابيهما[1] في مسألة الطاعن في الرسول، فإن ابن تيمية والسبكي ملآ كتبها بالنقل عنه واعتماده.

ووصف الزرقاني في شرح المواهب عياضًا بقوله: حافظ مذهب مالك إمام المحدثين وأعرف الناس بعلومه إلخ ص١٨٦ ج١[2]. ط أول.

وقال القسطلاني في المواهب في مبحث الإسراء: إن كل من صنف في شيء من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استجناء معارف اللطائف من رياض عياض هـ.

وقال الزرقاني أيضا: أي فوائده المذكورة في الشفا سماها: «رياضا» لكثرة نفعها كنفع الأشجار المثمرة للعامة[3]. هـ

---

(١) كتاب الإمام ابن تيمية هو «الصارم السلول على شاتم الرسول ﷺ» وقد نقل منه المصنف نصوصا كثيرة أول هذا الفصل.

وكتاب الإمام السبكي اسمه « السيف المسلول على من سب الرسول ﷺ» حققه أخونا الدكتور إياد الغوج عن أصل المؤلف وأصول أخرى، ونشره بداره دار الفتح.

(٢) (١٥٨/١).

(٣) (١٢/٦) مع شرح الإمام الزرقاني عليها.

ولعمري فهل مع كلام أمثال هؤلاء يبقى محل لتخرصات النابغة الشنجيطي.

ولا شك أن بمطالعة هذه العجالة تعلم سقوط هذا الزعم الذي لا يختلف في شأنه اثنان، وقد رأيت أن النابغة المذكور يصدق عليه قوله بنفسه في صدر نظمه المذكور:

جلبت في ذا النظم بعض المعتمد وفيه ذكر بعض ما لا يعتمد[١]

فلا شك أن هذا مما لم يسبقه أحد إلى تسجيله هكذا عموميا إطلاقيًا، وكون الشفا فيه بعض ما انتقد لا يجوز له هذا الإطلاق، ولا يبرره، إذ كل الكتب كذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾.

ولما ترجم للنابغة المذكور صاحبنا الشيخ أحمد الأمين الشنجيطي المصري في الوسيط[٢] قال كان لا يعجبه الشيخ خليل ولا شراحه، وله نظم اسمه اطلَيْحية[٣] قال: ينتقد به كتب الفقهاء، ثم نقل عنه نقد طرة بان بون، ورد كلامه قائلًا: لم نسمع له بطرة له في الفقه، ولا شك أن كلامه في الشفا من نحو كلامه في الشيخ خليل وابن بونا الذي لم يسمع بطرة له في الفقه، وبالجملة؛ فلولا أن بعض معلمي الصبيان ذكر هذا النقل في ورقات له لم أتعرض له بالنقد.

---

(١) البيت ١٥ (ص٦٠).

(٢) (٩٣).

(٣) الأبيات رقم ١٠٧-١٠٨ (ص١٠٠).

وملكت نسخة[١] من الشفا عشارية بخط شيخنا العلامة إمام الفقه والفتوى بالصقع المراكشي المعمر أبي عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي، فلما ذكر عياض أن مالكًا كره أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ وعقبه بقوله: والأولى عندي أن منعه وكراهة مالك له إضافته إلى قبر النبي ﷺ، وأنه لو قال: زرنا النبي لم يكرهه.

كتب الفقيه السباعي المذكور بهامش هذا المحل ما نصه: تعجب ابن رشيد من هذه الأولوية منكرًا لها قائلاً: يا عجبًا للقاضي عياض رحمه الله إلخ ما وجد بخطه. هـ من خطه رحمه الله أصلاً وطردًا.

وفي كتاب «أسئلة وإشكالات منظومة في أحاديث وآيات قرآنية ظاهرها التعارض» نظم العلامة الأديب الكبير جمال الدين يوسف المغربي المترجم في «ريحانة الخفاجي»[٢] و«خلاصة الأثر»[٣] وغيرهما، منها سؤال وارد على ما جاء في الحديث أنه عليه السلام يبيت يُطعمه ربه ويسقيه[٤] كما أخبر به هو.

---

(١) هي النسخة المحفوظة اليوم بالمكتبة الكتانية تحت رقم ٦٦ ك، انظر وصفها في فهرس المخطوطات العربية المخفوظة في الخزانة العامة بالرباط، الخزانة الكتانية، للفقيه محمد المنوني (ص٣٩-٤٠).

(٢) (ص٢٢٩-٢٣٢).

(٣) (٤/٥٠١-٥٠٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في مواطن، منها: كتاب: الصوم، باب: بركة السحور من غير إيجاب برقم ١٩٢٢ (٣/٢٩)، ومسلم في صحيحه في موضعين، أحدهما: كتاب: الصيام، باب: النهي عن الوصال في الصوم برقم ١١٠٢ (٢/٧٧٤).

وقد جاء في الشفا[١] مع قول صاحب البردة:

وشدّ من سغب أحشاءه وطوى[٢] إلخ ما الجمع بينهما؟

يا عالما من بحار العلم يروين وحافظ من فنون الفضل يروين
معنى الحديث فإني لا كهيئتكم أبيت يطعمني ربي ويسقيني
وشد من سغب أحشاءه وطوى فانظره مع ما أتى إذ أنت تفتين
فما الذي يجمع القولين فله عسى يكون جمعك يا ذا الفرد يهديني

وبهامش هذا الكتاب بخط مغربي ظهور أثر الجوع فيه ﷺ لا يناقضه كونه يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه، لاختلاف الجهة، وهو أن الجوع الحسي يتعلق بالظاهر المحسوس، والإطعام والسفر يتعلق بالباطن والروحانية، حتى لا يعتريه ضعف في عمل ديني من صوم وجهاد وتعليم وغير ذلك، وقد تنفك الجهة باعتبار الأوقات فطورا يكون هذا وطورا يكون هذا وطورا يكون الآخر، والأول أنسب والله أعلم. هـ

وفي الكتاب المذكور أيضًا: سؤال وارد على ما نقله صاحب «الكشاف»[٣] عن الخليل بأنه ﷺ قال: الشعر أحب إلي من كثير من الكلام[٤]، وفي الشفا[٥]: بغض إلي الشعر، فما الجمع بينهما؟

معنى حديث جاء في الكشاف أن بغض الشعر إلى المختار
لكن في الكشاف قد قال الخليل وهو الإمام العالم البحر الجليل

---

(١) (ص٦٠٥).
(٢) البيت ٣٠ (ص٤)، من مصورة دار الحديث الكتانية.
(٣) (٤/٢٦).
(٤) انظر تفسير القرطبي (١٥/٥٢).
(٥) (ص١٤٤).

بأنـــه لـــه أحـــب مـــن كثيـــر من الكـلام فهـو للمـدح مـشير
جوابـه البـديع فـي شـرح الـشفا لكننـــي لبعـــده علـــى شـــفا

وبهامشه بالخط المغربي المذكور سابقًا: الحمد لله إن صحت رواية الزمخشري وعهد بها على أن المغربي تقبل روايته، فيحمل الشعر المبغض على المشتمل على ما لا يحل، وغيره على ما فيه حكمة دينية.

كما في الطرة فوقه، أو يحمل على إنشاده والاشتغال به بحفظ الكثير منه وغيره على ما يطرق أحيانًا مشتملا على حق كما قال ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[١]، والله أعلم. هـ

والطرة المشار لها هي بخط مشرقي تشابه خط الأصل نصها، يقول: يعني المؤلف أن جوابه البديع مذكور في شرح الشفا لابن أقبرس: وصرت الآن على شفا لبعده عندي، ويمكن أن قوله بعضه مخصوص من الهجاء والفحش ونحوهما، ولذا قال عليه السلام: إن من الشعر لحكما أو لحكمة. وراجع الكتب. هـ

وفي الكتاب المذكور أيضًا سؤال على ما ورد في الشفا[٢] من أنه ﷺ أعدم الناس كبرًا، وشرط أفعل التفضيل أن يكون من الأفعال الوجودية. نظمه من البحر الطويل:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في مواضع، منها: كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، برقم ٣٨٤١ (٥/٤٢).

(٢) (ص١٧٣)، وقد سبق أن نقل المصنف جواب الحافظ ابن حجر في المسألة فينظر.

لقد جاء في نص الشفا يا أخا الوفا   بـالأمر يـد الخلـق أعـدمهم كبـرا
وأفعــل التفـضيل يــاتي وشــرطه   يكون وجود لا في وضح لنا الأمـرا

وبهامشه بالخط المذكور سابقا: الحمد لله، هذا السؤال خفيف لأن غاية الأمر أن يكون هـذا أمر المسموع الخارج عن القياس فافهم والله أعلم.

كثرة اعتناء الناس بنسخ الشفا وما يكتبونه أواخرها

إن كتاب الشفا ثاني كتاب اهتم به العالم الإسلامي بعد القرآن، فَقَلَّ ناسخ لم ينسخه، وقَلَّ مالك لم يملكه، بحيث أوجب ذلك أن نقول: هو من الكتب التي لا يكاد يخلو دار مسلم منها، وقد بلغ من اهتبال الناس بنسخه حتى رأيت في آخر نسخة منه بتونس في المكتبة العبدلية بخط أحمد المدعو باليافوخ ابن محمد التلمساني الأندلسي[1]، فرغ منها عام ١٢٤١، وذكر أنه نسخ من الشفا ٥٩ نسخة[2].

---

(١) قال المؤلف في كناشه رقم ١٣٨٢ ق ٦٠ أ: «وقد رأيت مرة نسخة من الشفا بالدار البيضاء عند إنسان فيها أنه انتسخها فلان وهي النسخة السابعة عشر ثم وجدت نسخة أخرى من الشفا بذلك الخط بتونس محبسة في العبدلية وفي آخرها أن هذه النسخة هي النيف والأربعون أو أكثر مما نسخ.... وبعد ذلك استفدت أن الرجل المذكور بعينه نسخ من الشفا نحو ستين نسخة وكل نسخة في جهة».

(٢) وفي الخزانة الملكية العامرة بالرباط نسخة من الشفا بخط هذا الناسخ هي النسخة ٦٧ من النسخ التي نسخ، وهي تحت رقم: ١١١٦٨، وانظر وصفها في فهرس الكتب المخطوطة في السيرة النبوية المحفوظة بالخزانة الحسنية (ص٢٨١)، وفي نفس الخزانة الملكية العامرة نسخة بخطه من الشفا أيضًا هي النسخة ٧١ من جملة مستنسخاته، وهي تحت رقم: ٢٢٦٦، انظر وصفها في الفهرس المذكور (ص٢١٥-٢١٦).

والناس أكيس من أن يمدحو رجلًا ... ما لم يروا عليه آثار إحسان

ولذلك تفنن الكتاب في ما يختمون به نسخهم من هذا الكتاب العظيم.

وهنا فلنذكر على سبيل الأنموذج بعض أبيات يكتبها الوراق عقب إكمالهم نسخ الشفا، من ذلك ما وجدته لبعضهم:

نسخت الشفا وثوقًا به ... عساه يكون لدائي الشفا
وكيف يخيب رجائي وقد ... لجأت إلى حُرمة المصطفى

وبخط غيره:

نسخت الشفا لعلي به ... أنال الخلاص وأرجو الشفا
وأعلقت حبي مستوثقًا ... بذمة صاحبه المصطفى
وما خاب راجي نبي الهدى ... فما الفضل إلا له والوفا
أقول وحسبي به مقصِدًا ... كفاني شفيعًا به وكفى

وبخط غيره في نسخة أخرى:

تشرف كتبي بكتب الشفا ... فلله دهر به أسعفا
وما نلت في كتبه كِلفة ... لما فيه من شرف المصطفى
أعيذ عياضًا برب الملا ... وأفديه من فائق ألفا
لئن صرح المرء في مدحه ... بكل لسان فما أنصفا

ووجدت في آخر النسخة الملوكية التي انتسخت باسم السلطان المولى زين العابدين بن المولى إسماعيل[1] لبعض الصالحين:

أيا شاكيًا دهرنا إن جفا ... عليك بنسخ كتاب الشفا

---

(١) يأتي وصف المؤلف لها لدى ذكره للنسخ التي بخزانته العامرة.

ففيــه الجــلاء لكــل الهمــوم وفيــه لــداء الــذنوب الــشفا
فتبلــغ لا شــك مــا ترتجــي إذا أنــت رســمته أحرفــا
فــذلك حتمًــا جــرى عــادة لتــضمينه شــرف المــصطفى
عليــه صــلاة مــن الله مــا بــدا نجـم فـي أفقـه أوخفـا(١)

وفي «نفحة الرحمن في بعض مناقب السّيد أحمد دحلان»(٢) المكّي لتلميذه العَلامة النّفاعة السّيد أبي بكر شطا الدّمياطي المكي الشّافعي، ومنها: - أي: من كراماته - أنّ بعضَ السّادة الفِخام من أهل المدينة الكرام رأى بَعد انتِقال مَولانا السّيد ذي الوفاء أنّه يُفرِّقُ نُسَخًا من الشِّفا في حقوق النّبي المصطفى على دُور أهل المدينة، يَعُدّ أهلَ كلِّ دار ويُعطي نُسخةً منها لكل واحد منهم الكبار والصِّغار، فانظر رَحِمَك الله إلى هذه الهدية العَظيمة والإشارة الفخيمة التي تُنبِئ بحصول الفَرَج والشّفاء لأهل المدينة مكافأة لما صَنعوه معه من الصّنائع الجميلة الحسينة هـ.

وفي «روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين»(٣) للعالم الصالح الحافظ أبي عبد الله محمد بن صعد التلمساني الأنصاري نقلًا عن الحافظ ابن مرزوق أن الله أجرى عادته في علماء الإسلام أن يبارك لأحدهم في قراءته والآخر في إلقائه وتفهيمه، والآخر في نسخه وجمعه، والآخر في عبادته، وحافظ المغرب إمام الدنيا أبو القاسم العبدروسي الفاسي نزيل تونس ممن جمع الله ذلك كله وبارك له في قراءته وإلقائه،

---

(١) ذكر هذه الأبيات المؤلف في كتابه: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب (ص١٢١).
(٢) ذكره المصنف في ترجمة الشيخ دحلان في فهرس الفهارس (٣٩٢/١)
(٣) (ص٢٢٥-٢٢٦).

ونسخه وجمعه وعبادته نسخ من صحيح البخاري ثمان نسخ أكثرها في سفر واحد، ومن صحيح مسلم تسع نسخ، وغيرهما كثير خصوصًا الشمائل والشفا لعياض، فإنه نسخ منهما كثيرًا، وهذا من أعظم الكرامات. هـ

راجع كلام ابن صعد التلمساني المنقول في فهرس الفهارس[1] ص٣٧٧ في أنه كان كثير النسخ للشفا.

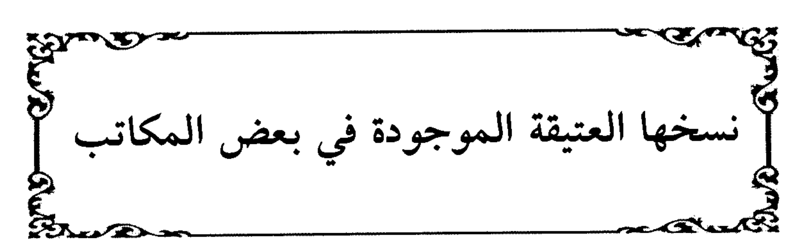
ومن العجيب أن شيخ الإسلام بمكة عالم الحجاز ومحدثه في أوائل القرن الحادي عشر الشيخ محمد بن علان الصديقي المكي ألف كتابا نفيسًا سماه «مثير الأنام إلى حج بيت الله الحرام وزيارة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام»[2] عندي في مجلد لطيف[3] ختمه بخاتمة الشفا بتحوير قليل قال: وقد انتجز الوعد فيما حررناه وحصل المقصود مما بيناه وقررناه، واستوفينا الشرط الذي شرطناه، وأرجو ان يكون في كل باب منه للمريد مرادا مقنعا وفي كل حديث منه مشيرا إلى بقيته ومنزع، ولقد ذكرت فيها من الفوائد واللطائف مستغربا مستبدعا، وحررت فيه من موارد التحقيق منبعا في لم يورد له في معظم التآليف مشرعا، وإلى الله أتضرع لحصول المقاصد والمآل، وأستغفر وأستعفي منه أن تحلل في تضاعيفها من تزين وتصنع في المقال إلخ. هـ من المثير باللفظ.

---

(١) فهرس الفهارس (٢/١٠٤٤).

(٢) (ص٢٦٠).

(٣) نسخة المؤلف تقع اليوم في المكتبة الوطنية تحت رقم ١٢٩٧ ك، ولم يعتمد عليها الأستاذ الهيلة في تحقيقه للكتاب.



نسخها العتيقة الموجودة في بعض المكاتب

في المكتبة الخالدية ببيت المقدس[١] نسخة عتيقة جداً كتبت بغرناطة عام ٥٩٣ على نسخة عياض، وهي أصل عتيق لا كفاء له في الصحة، ومما يدل على أهميتها أن صديقنا علامة الشام ومحدثه الشيخ جمال الدين ابن الشيخ محمد سعيد الحلاق القاسمي الدمشقي[٢]، شد الرحلة إلى بيت المقدس بقصد مقابلة نسخته عليها، وفي هذا كفاية من مثله.

وفي مكتبة جامع الزيتونة بتونس نسخة عتيقة من الشفا مكتوبة في الرق، على أولها صورة إجازة منقولة من خط المصنف، تتضمن الإجازة العامة منه لعبد المنعم بن أبي بكر يحيى بن خلف بن النفيس

---

(١) لا وجود لها اليوم في المكتبة الخالدية، وهي غير مذكورة في فهرس المكتبة الجديد، الذي نشره مركز الفرقان بلندن، من إعداد الأستاذ نظمي الجعبة، وتقديم الأستاذ وليد الخالدي، ولكن ذكرها وارد في برنامج المكتبة الخالدية الأول الذي طبع أول تأسيس المكتبة الخالدية سنة ١٣١٨هـ/١٨٩٩م. انظر (ص١٢) منه، ورقمها ٧٧ عن كتب الحديث والمصطلح أفادني بصورة الفهرس أخي الباحث المعتني بتراث فلسطين الشيخ محمد كلاب الغزي حفظه الله تعالى.

(٢) ذكر ذلك في رحلته إلى بيت المقدس (ص٦٣-٦٤)، ومما قال في وصفها: عليه سماعات كثير من المحدثين، وهو مقابل على نسخة مقابلة على نسخة المؤلف اهـ.

الحميري[١]، ولأخيه عبد المولى[٢] ولأبيهما المذكور[٣]، وبخصوص كتاب الشفا. وهي بتاريخ ٥٣٢.

وفي المكتبة الدولية بمصر نسخة عتيقة بقلم عثمان بن خضر بن مصلح الخليلي الداري، فرغ منها عام ٧٢٥، عليها سماعات بخط أبي زرعة أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن إبراهيم الشافعي مؤرخة بعام ٨٨٨، ولعلها أقدم نسخة من الشفا في المكتبة المذكورة على ما يؤخذ من فهرسها.

وفي مكتبة تازى[٤] من المغرب الأقصى نسخة نفيسة من الشفا مكتوبة في رق غزال كاملة في سفر ضخم فوق الرباعي، من تحبيس

---

(١) ترجمه الحافظ ابن الأبار في التكملة (٣/٢٦٨-٢٦٩)، وذكر روايته عن القاضي عياض والحافظ ابن الزبير في صلة الصلة (٤/١٦-١٧)، وذكره الحافظ المنذري في التكملة (١/٤٢) فذكر أن وفاته كانت سنة ٥٨٦.

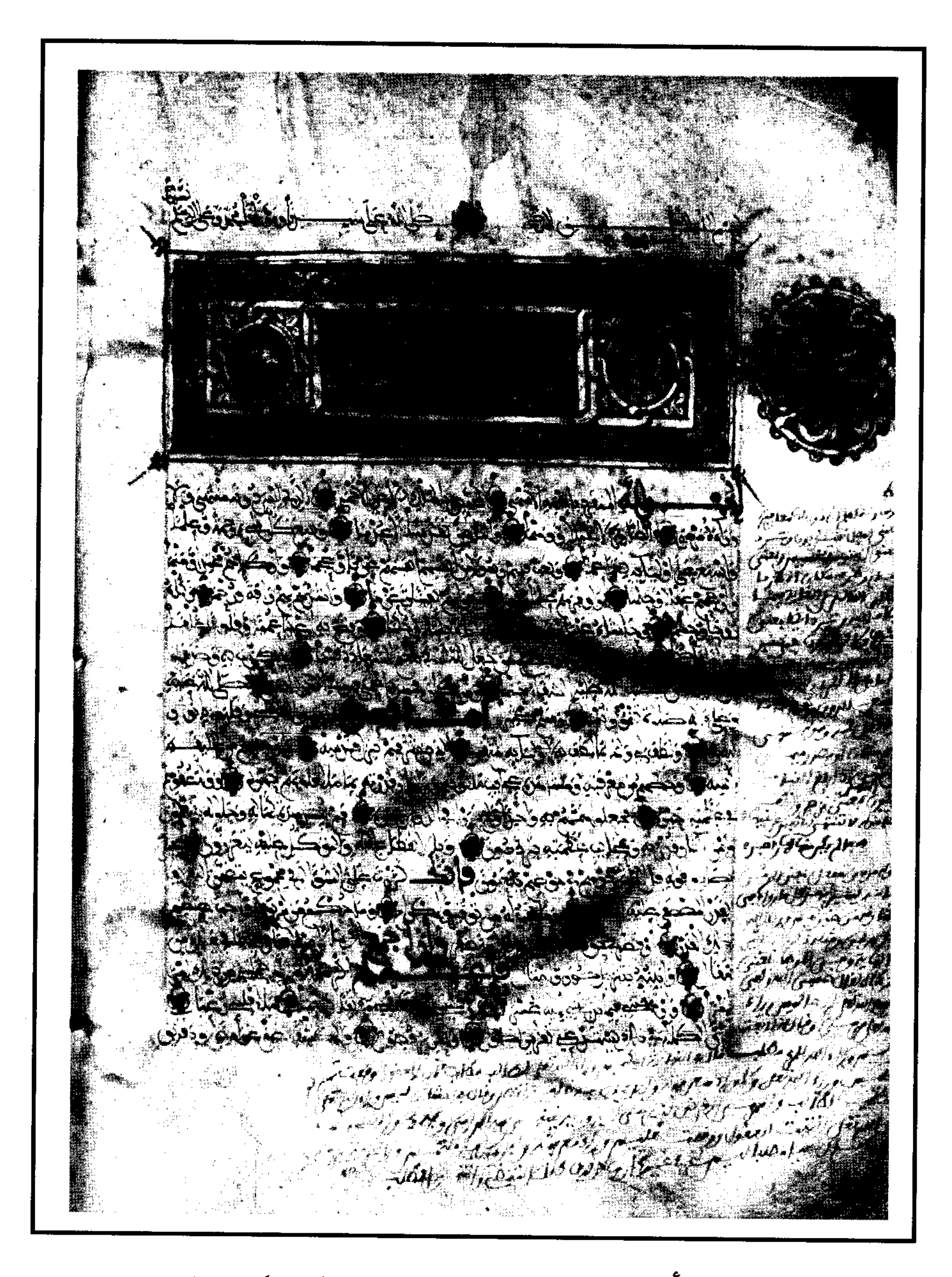
(٢) لم أقف له على ترجمة مفصلة، ولكن ذكره ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (٣/٥٢).

(٣) ترجمته ابن الأبار في التكملة (٤/١٤٥-١٤٦)، وفي معجم أصحاب الصدفي (ص٣٨٥-٣٨٧) ولد سنة ٤٦٦، وتوفي سنة ٥٤١.

(٤) تحت رقم ٥٥٠، انظر الرحلة الجزائرية التونسية القيراونية للمؤلف (١/٣٦-٤٠ق)، وقد قال فيها (١/٣٨ق): ومن كتبها النفيسة نسخة من الشفا في جلد غزال، مجموعة في سفر ضخم فوق الرباعي، من تحبيس أبي عنان المريني على مسجد تازى، حبسها بشرط هو أن يقرأ فيها في كل يوم ويدعو القارئ بعدها للمؤلف ولأبي عنان، وفي أولها خط أبي عنان، كله تشجير بالذهب والتزويق والتمويه. وانظر تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب (ص٣٠٤).

السلطان أبي عنان المريني على مسجد تازى[1]، وفي نص الحُبس أنه يشترط أن يقرأ فيها كل يوم ويدعو القارئ بعدها للمؤلف والمحبس أبي عنان، وعليها خط السلطان أبي عنان في صحيفة مملوءة تشجيرًا وتزيينًا بالذهب، وهي نسخة نادرة المثال، لا كفاء لها من الوجهة التاريخية والفنية.

(١) هذه النسخة اليوم في خزانة الجامع الأعظم من تازة تحت رقم: ٥٥٠، انظر وصفها في فهرس مخطوطات الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازة (٢/٥١٧-٥١٨)، وقد وضعنا صورة أول ورقة منها، وصورة ورقة الغلاف التي فيها الذهب المموه الذي يصفه المؤلف.



الورقة الأولى من نسخة الشفا المحفوظة بمكتبة تازى

الحمد لله وحده

حضرة الشيخ الأكبر العلامة الهمام مولانا عبد الحي الكتاني أيده الله و[illegible] وسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وبعد فإليكم البيان المطلوب

كتاب الشفا للقاضي عياض بخزانة كتب المسجد الأعظم بتازا في مجلد واحد بتجليد [illegible]
طوله سنتيم 32 وعرضه 22 وعلى كل صفحة 21 سطرا بخط حسن مذهب كتبت التراجم والأبواب والفصول
بالذهب والوقفات الأولى والثانية والثالثة [illegible] بالذهب وكله مكتوب في رق
عدد أوراقه الكبار 126 أخرها من الجزء الثالث 55 على ظهر الورقة الثالثة وبه نحو نصف
من صفحة البسملة بخط السلطان أبي عنان المريني تحبيسه من سطر 8 طولها سنتيم 6
وعرضها 4 ونصه عبد الله تعالى الراجي رحمته وعفوه فارس أمير المؤمنين ابن مولانا أمير
المسلمين أبي الحسن ابن أمير المسلمين خار الله سبحانه له ولطف به ونجح مسعاه
المسلمين بتاريخ ثاني عشر صفر عام اثنين وخمسين وسبعمائة اهـ وهو خط أبي عنان
وتبعه التحبيس أربعة الأسطر طولها 17 وعرضها 2 بدون تاريخ في أخرها وفي [illegible]
قراءته للنحو الذي سبق وعلى ظهر الورقة الأولى فيه تحبيسه السلطان أبو عنان
على المسجد الأعظم بتازا المغرب أنه [illegible] من [illegible] الصلاة [illegible] الكريم وكتب
السلطان بخط يده الكريمة [illegible] قراءة [illegible] للنحو والمطالعة
[illegible] من الشعر على [illegible] من شرح كتاب الشفا وهو [illegible]
رحمه الله [illegible] قراءة [illegible] للنحو اهـ

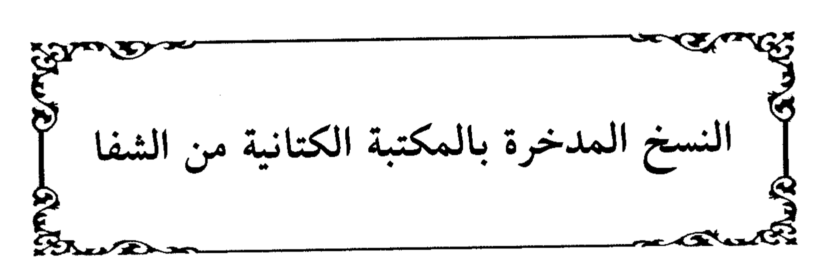
قيده عبد الرحيم بن الحسن الكتاني
في 3 ربيع الأول النبوي
سنة 1359
مسلما عليكم وعلى [illegible]

رسالة بخط العلامة الأديب عبد سيدي الرحيم بن الحسن الكتاني
يصف للمؤلف نسخة تازى من الشفا

ومن العجب احتفاظ مكتبة تازى بهذا الأثر النفيس الذي مضى على تحبيسها به نحو ستمائة سنة، مع توالي الفتن والأهوال والجائحات عليها[١].

---

(١) وجدنا ضمن ملف نسخة ب من الكتاب نص رسالة من ابن خالة المؤلف العلامة الرحالة الأديب السيد عبد الرحيم بن عمر بن الحسن الكتاني الفاسي الحسني نزيل تازى، يصف فيها نسخة الجامع الأعظم بتازا من الشفا وهذا نصها.



النسخ المدخرة بالمكتبة الكتانية من الشفا

تحتفظ المكتبة والحمد لله بنُسخ لا كفاء لها في الصحة والقدم والطَرَف، لا توجد مجموعة في غيرها من المكاتب الإفريقية، بل العربية فيما نعلم.

أولها وأولاها بالتقديم والإجلال والتكريم نسخة كتبت سنة ٥٦٦ بعد موت عياض بأزيد من اثنين وعشرين سنة، وسُمِعت على ولد القاضي عياض وغيره، وعليها عدة سماعات وإجازات لعدة من أعلام الأندلسيين والتونسيين.

وبالجملة فلا أظن أنه يوجد في مكاتب إفريقية أقدم منها ولا أعتق، وهي واردة من الأندلس إلى المغرب، احتفظ بها أحد العائلات العريقة في الأندلس إلى أن اتصلت بها المكتبة على يدهم[١].

النسخة الثانية: كانت تعرف في مراكش بالشيخة، وهي بخط أندلسي جميل واضح، تم نسخها عام ٨١٦، وعليها سماعات وإجازات تفيد بأنها قوبلت على خط عياض مباشرة، وممن صححها وضبطها وكتب عليها محدث فاس ومسند المغرب في عصره أبو زكرياء يحيى بن

(١) ذكرها الإمام المصنف في كتابه: إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات (١/١٧٠ق).

أحمد السراج الفاسي، وكتب عن هذه النسخة العلامة الصاعقة المعمر مفتي مراكش وشيخ الجماعة بها أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السباعي[١]، لله در ناسخها ومصححها، فما رأيت قط من نسخ الشفا ولا من نسخ كتب الحديث مثلها في الصحة والإتقان والضبط، فيقدم ما فيها على جميع شروحها، وكانت تسمى بمراكش بالشيخة. انتهى من خطه رحمه الله.

النسخة الثالثة[٢]: كتابتها بحروف مشرقية، تمت كتابتها في شوال عام ٨٧٧ بخط إبراهيم بن أحمد بن عمر بن يوسف النابلسي الشافعي، وهي نسخة صحيحة في ورق صقيل وخط جميل.

النسخة الرابعة: نسخة بخط مشرقي كتبت في مكة المكرمة عام ١٠٤٦، وهي نسخة حسنة تداولتها أيدي علماء يمنيين، جلبتها من مكة المكرمة عام ١٣٢٣.

النسخة الخامسة[٣]: نسخة سلوية بخط واضح وورق ثخين، في قالب كبير، مهمشة بما يكفي المدرس والقارئ عن الشروح، على أولها وآخرها[٤] ما يدل على أنها سمعت على أبي عبد الله محمد بن

---

(١) ونسخته من الشفا فرعها عن هذا الأصل في ١٠ أجزاء، وأتم نسخها سنة ١٢٩٩، وأهداها للمؤلف، وهي في المكتبة تحت رقم: ٦٦ ك، انظر فهرس العلامة المنوني (ص٣٩-٤٠).

(٢) هي تحت رقم: ٩٦ ك.

(٣) هي اليوم في المكتبة الكتانية تحت رقم ١٤٤ ك، وتقع في ٤٦٣ ورقة.

(٤) وقع الفراغ من نسخها عشية الأربعاء ٢٢ ذي القعدة عام ١١٢٦، كما في فهرس المكتبة الكتانية للعلامة محمد المنوني (ص٤٠ — ٤١).

عبد السلام بناني بفاس، وعلى الحافظ أبي العباس أحمد بن عبد الله الغربي بالرباط، وأبي عبد الله الدقاق، وعلى مؤرخ سلا أبي العباس أحمد بن عاشر الحافي السلوي، وعلى العلامة أبي بكر بن علي الفرجي المراكشي بسلا وغيرهم من أعلام العدوتين وغيرهم، وبالجملة فهي نسخة نفيسة جدًا، وقد كتب ناسخها بخطه على أولها: نسخ بجد وتعب، فلا تبع ولا تهب، ولو بواد من ذهب.

النسخة السادسة: نسخة انتسخها لسيدنا الجد الإمام العارف الكبير أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني[١] ابن خاله العلامة النفاعة المحقق الخاشع الصالح أبو عيسى محمد المهدي بن محمد بن حمدون بن الحاج[٢] بخطه الحسن المرونق، فلما أتم نسخها له افتتحها في القرويين والد[٣] ناسخها خال سيدنا الجد المذكور العلامة محدث فاس أبو عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج[٤] درسًا، فقوبلت سماعًا

---

(١) أفرد المصنف ترجمة جده بكتاب سماه: «عبير الند في ترجمة سيدنا الجد»، ولم نقف عليه كاملًا، وإنما وقفت على قطعتين منفصلتين منه، وقد ترجمه ترجمة موسعة في كتابه المظاهر السامية يسر الله نشرها.

(٢) ولد سنة ١٢٤٤، وتوفي سنة ١٢٩٠، له حاشية على شرح الخرشي على المختصر في ثلاث مجلدات. ترجمته في: سلوة الأنفاس (١/٢٦٧)، وإتحاف المطالع (١/٢٥٢).

(٣) ذكر الإمام المؤلف في عبير الند (ق١٢) مقروءات جده على خاله المذكور فقال: .. في صحيح البخاري بين العشائين بالقرويين، وبعد صلاة الظهر الشمائل والبخاري أيضًا وضحوة الشفا المرة بعد المرة، وكان يقرأها لسيدنا الجد ابن أخته، ولذلك قصة .اهـ وسيأتي سند المؤلف للشفا من طريق جده.

(٤) توفي سنة ١٢٧٤، قال العلامة سيدي جعفر بن إدريس الكتاني: وكان =

عليه بمحضر ومقابلة عدد من أهل العلم، ثم كان يقرأ بها في حضرة سيدنا الجد وعليه بقية حياته، وحج بها مرارًا، ثم حج بها سيدنا الوالد، وسمع فيها على شيوخه بالمشرق والمغرب والده وأبي العباس أحمد بن أحمد بناني، والعلامة المحقق الوزير أبي محمد صالح بن المعطي التادلي، وشيخه محدث المدينة أبي الحسن علي بن ظاهر الوتري المدني، ومن ذلك العهد ولم يبق أحد من أهل العلم بفاس إلا وقرأ فيها، ودرس في جميع المحافل والمجالس والزوايا ممن قرأ الشفا أو قرئت عليه، وعليها طرر وتصحيحات وتقارير ... ثم حج بها شقيقنا الإمام العارف نادرة عصره ومصره أبو عبد الله محمد بن عبد الكبير الكتاني، وقرأتُ عليه وعلى والده فيها في الزاوية الكتانية وفي القرويين بما أصبحت به هذه النسخة الكتانية أُمُّ النسخ والمقَدَّمة[1] على أخواتها لكثرة من تداولها من الأكابر والأعيان.

وذكر جدنا العارف الكبير القطب الشهير الشيخ أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير بن أحمد الكتاني الحسني الإدريسي في رحلته المسماة «رحلة الفتح المبين في وقائع الحج وزيارة قبر النبي الأمي الأمين»[2] في الباب ١٤ في الدخول للمدينة المنورة قال واصفا ما بعد الدخول: دخلنا للحمام واغتسلنا ولبسنا ثيابنا وسرنا للبيت مع

= يلقب بالمحدث لمهارته في الحديث... وانظر ترجمته في: الشرب المحتضر (ص٧٩ — ٨٠)، ووفيات الصقلي (ص٧٧)، والإعلام للمراكشي (٦/٣٠٦-٣٠٨).

(١) كذا ظهر لنا.

(٢) (ق١٤٢).

المزوّر السيد الحاج محمد بناني الفاسي من ذرية الشيخ بناني صاحب الفتح الرباني، وزرنا قبل صلاة الجمعة بعدما دخلنا من باب السلام ووجهنا نسخة من الشفا للقاضي عياض له ﷺ شفيعا، وهي التي عندنا بالزاوية من جملة أحباسها حججتها معي. هـ

النسخة السابعة[١]: نسخة صغيرة الجرم، متينة الورق، بهية الخط، كثيرة التذهيب والتحبير، نسخها للسلطان أبي محمد زين العابدين ابن السلطان المعظم أبي الأملاك المولى إسماعيل بن الشريف العلوي، تم نسخها باسمه كما في آخرها عام ١١٣٤ في حياة والده، وقد جعلتُ لها علاقة بقصد حملها للتبرك في الأسفار والتنقلات، وصحبتها للحج فأدخلتها معي لجوف الكعبة المشرفة عام ١٣٥١، وسمع فيها علي هناك جماعة من أعلام الحجازيين واليمنيين[٢] ....

---

(١) عرف المؤلف بهذه النسخة في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ص٢٢١. ومما زاده في وصفها: في غلظ أصبع وطول سبابة ونصف، كلّما وقع فيها الاسم المفرد أو اسم محمد أو نبي الله أو الهيللة الشريفة كتب بالذهب، بل جميع فصولها وأبوابها وجداولها ورؤوس مسائلها بالذهب بخط واضح يقرؤه حتى الصبيان.

(٢) عرفت منهم العلامة الفقيه محمد بن عوض بافضل الحضرمي التريمي، ولد سنة ١٣٠٣، وتوفي سنة ١٣٦٩، قال في إجازته لتلميذه العلامة زكرياء بيلا المكي التي أثبتها في كتابه الجواهر الحسان (٢/٣٦٢) وعن أخيه عبد الحي عام ١٣٥١هـ، وصلينا معه في جوف الكعبة، وأسمعنا فيها أول حديث وآخر حديث من صحيح البخاري مسلسلًا بالسند عن والده الإمام عبد الكبير الكتاني إلى مؤلف الجامع، ثم أول حديث وآخر حديث من كتاب الموطأ =

والسيد الشيبي[١] صاحب مفتاح الكعبة المكرمة، ومن اللطائف أني صحبتها معي أيضًا في سفري لسجلماسة[٢] فقرأت بها هناك في ضريح المولى أبي الحسن علي الشريف، ووقفت بها على ضريح من نسخت باسمه، وهو المولى زين العابدين المدفون بساحة ضريح جده المذكور.

= مسلسلا عن والده إلى الإمام مالك بن أنس، ثم أول الشفا وآخره مسلسلًا إلى مؤلفه القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ثم أجاز من حضر في الكتب الثلاثة، وممن حضر الشيخ عمر حمدان الموجود الآن اهـ. وهي غريبة وعجيبة.

(١) ذكره الإمام المؤلف في كتابه إعلام الحاضر والآت (٢/ ١٦٠ -١٦١ق)، فقال ما نصه: عام حجتنا الثانية عام ١٣٥١هـ، كان المتولي أمر الكعبة المشرفة الفاضل المهذب الوجيه صديقنا الشيخ محمد بن الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبي، وقد وقفت في الرحلة الحجازية الثانية للإمام المؤلف على ذكر له وترجمة في (ق٦٢) أحببت إثباتها هنا لندرتها، وقد كتب له الشيخ الشيبي اسمه بخطه تذكارًا، فكتب الإمام الحافظ تحته: الشيخ محمد بن صالح المتوفى عام ١٣١٢ بن أحمد - شقيق الشيخ سليمان الذي مات بطنجة عام ١٢٦٣ - قلت: قد ترجمه الحافظ الإمام في ذيل السلوة فانظر ٢/١٦٠ -١٦٢) - بن محمد بن زين العابدين الشيبي الحجبي المكي، هو الذي فتح لنا باب الكعبة المشرفة خصوصًا، ولم يدخلها أحد دون جماعتنا، وسدها علينا كما هي السنة، وأهدانا قطعة من كسوة الكعبة جزاه الله خيرًا، وذلك في حجة الحرام عام ١٣٥١، وانظر طبقات حجاب الكعبة للأستاذ حسين الهاشمي، وقد ذكر أن مولده سنة ١٢٩٢هـ، وأنه تولى المشيخة عام ١٣٥١هـ، وأنه توفي سنة ١٣٨٢هـ.

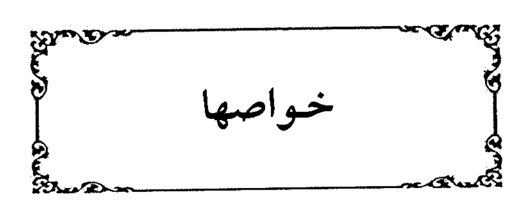
(٢) ذكر المؤلف ذلك أيضًا في كتابه تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب ص٢٢١.

خادم مكة فاتح بيت الله الاول محمد الشيبي
الشيخ محمد بن الشيخ محمد صالح [illegible] بن احمد بن
محمد بن زين العابدين الشيبي الحجبي المكي
[illegible] في الكعبة المشرفة [illegible]
[illegible]
[illegible] قطعة من كسوة الكعبة جزاه الله
[illegible]

خط الشيخ محمد الشيبي فاتح الكعبة المشرفة
من الرحلة الحجازية الثانية للمؤلف

النسخة الثامنة: نسخة تماثل التي قبلها قدر الكف جرمًا، نهاية في دقة الخط ولطف الورق وصغر الجرم، وهي بخط الأديب أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد النبي بن جلون.

وفي المكتبة الكتانية نسخٌ أخرى دون ما ذُكِر، لكن اقتصرت على هذه الثمانية للاختصار.



خواصها

قال ابن المقري اليماني الشافعي[١]: إن كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر بمكان كان فيه، ولا تغرق سفينة كان فيها، وأنه إذا قرأه مريض أو قرئ عليه شافاه الله، وهو مما جُرِّب، وكان ابتلي بمرض فقرأه فعافاه الله منه[٢].

قال العلامة الخفاجي في «نسيم الرياض» عقبه: وأنا ممن جرب بركته وشاهدها والحمد لله.

.... وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا[٣]

قلت: ولا زال العمل جارياً بفاس وغيرها في وليمة الدار الجديدة إذا ما أراد صاحبها سكناها، وجارياً بقراءتها للمرض وأصحاب النوازل المعضلة والمشاكل الحاضرة، يجتمع العلماء والصلحاء فيقتسمون كراريسها على الرؤوس.

---

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر، ولد سنة ٧٦٥هـ، وتوفي سنة ٨٣٧هـ، انظر ترجمته في: إنباء الغمر (٣/٥٢١)، المجمع المؤسس (٣/٨٦-٨٧)، والضوء اللامع (٢/٢٩٢ – ٢٩٥).

(٢) نسيم الرياض (١/٤).

(٣) شطر بيت لنابغة الجعدي، مطلعه:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

وذهبت في فاس ١٠ شوال[١] للتعزية في زوجة الصدر الأعظم[٢] للدولة المغربية، فوجدت يحف بالمعزى في ذلك المحل، وهو أحد أولادها باشا الدار البيضاء[٣] جماعة، منهم وزير العدلية الإسلامية ورئيس المجلس العلمي للقرويين، ومدرس من الطبقة الأولى بالقرويين هو العالم الصالح المسن أبو الحسن علي[٤] بن الطيب بن العربي الدرقاوي، وبعد التحيات والتعزيات استأذن في الانصراف الشريف الدرقاوي معللا ذلك بأنه حان وقت إجابته لداع دعاه من أهل فاس ابتنى دارًا فاستدعى جماعة من العلماء هو منهم لقراءة الشفا، فقام الوزير منددًا بهم قائلًا: إنك تذهب لبدعة، وهو أنكم تتلون الشفا على طريق التعبد، والقرآن هو الذي يتعبد بتلاوته، بل الشفا هي القرآن، فقال الدرقاوي وقد فوجأ بهذه اللهجة التي استغربها: نحن لا نتلو الشفا على طريق التعبد، بل على طريق التبرك، فقال له: لا تبرك بالبدعة، فقال: بل نتبرك وصاحب الدار بتلاوة كتاب الشفا لما فيه من آي القرآن والأحاديث وسيرة الرسول ومعجزاته، فقال له الوزير:

التعبد إنما يكون بالقرآن، حتى الحديث لا يتعبد به، لأن ابن السبكي عرف القرآن بأنه المتعبد بتلاوته، والحديث دون القرآن، فلا يتعبد بتلاوته، فقال له الدرقاوي: أنت مرة تحتج بجمع الجوامع ومرة تحط منه، فقال: بالله الذي لا إله إلا هو حتى أعمل أنا جمع الجوامع

(١) لم يكتب المؤلف سنة ونوع هذه الحادثة.

(٢) هو الحاج محمد بن عبد السلام المقري.

(٣) هو الباشا الطيبي المقري.

(٤) توفي سنة ١٣٦٥، تنظر ترجمته وصورته في سل النصال (ص١٢٠-١٢٢).

آخر أحسن مما جمع السبكي ونثر، وأيضا هل يتبرك بتلاوته الشفا وقد جمع الأحاديث الواهية والموضوعة والتأويلات السخيفة، ناقلا لها عن مكي وأمثاله، إن شئت فاذهب واقرأ لهم القرآن.

وقال الشهاب الخفاجي في شرح الشفا أيضًا (ص٢٧ ج١): فإن السلف الصالحين قالوا: إنه جرب قراءته لشفاء الأمراض وفك عُقَد الشدائد، وفيه أمان من الغرق والحرق والطاعون ببركته ﷺ، وإذا صح الاعتقاد حصل المراد، وقد كنت حال كتابة هذا المحل في ضيق صدر وحرج وأنا الآن منتظرٌ لكل خير وفرج، كما قلت:

يا رب ظهري مثقل بالعنا وما أقاسي من شديد الجفا
والمتن قد كل وصدري به ضيق فوسعه بشرح الشفا[١]

ولما قال الإمام القسطلاني في المواهب[٢]: ولم يكن لمثلي أن يسلك هذا المسلك، وإنما هو نكتة سر قراءة كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا، في مكتب التأديب والتعليم، في مشاهد المؤانسة والتكريم.

وبعد أن نقل بعض ما سبق عن الخفاجي العلامة النور حسن بن علي العدوي الحمزاوي في تعليقه على الشفا، قال: قد وقع لي سنة ١٢٦٨ كرب شديد كاد يدهش العقل مني، فلا أكاد أنطق بالضروري فضلًا عن فهم العلوم، فصادفني عند زيارة القطب الدردير الأستاذ

---

(١) نسيم الرياض (٥٢/١).

(٢) (١٤/١-١٥) مع شرحها للإمام الزرقاني.

الأوحد ولي الله المجذوب سيدي العلامة الشيخ محمد السباعي[١]، فبادرني بقوله يا فلان: اقرأ كتاب الشفا لإخوانك بالأزهر بقصد فك الكرب عن المؤمنين، فوقع في صدري أن بذلك يكون حصول الفرج، فامتثلت أمر الشيخ وبادرت بالقراءة فيه للإخوان درسًا بين المغرب والعشاء وأنا في شدة الكرب، فبعد قراءة دروس قليلة حصل لي اللطف الكبير ببركته، وأتمه الله على أحسن حال مع الإخوان هـ منه[٢].

ولابن المقري المذكور فيها:

ما بالكتاب هواي لكن الهوى	أمسى بمن أمسى به مكتوبا
كالدار يهوى العاشقون بذكرها	شغفًا بها لشمولها المحبوبا
أرجو الشفاء تفاؤلًا باسم الشفا	فحوى الشفاء وأدرك المطلوبا
وبقدر حسن الظن ينتفع الفتى	لا سيما ظن يصيح مجيبا[٣]

قال الزرقاني في شرحها: وكتابه هذا ذكر ابن المقري اليمني في ديوانه أنه شوهد بركته حتى لا يقع ضرر لمكان هو فيه، ولا تغرق سفينة كان فيها، وإذا قرأه مريض شفي.

---

(١) هو العلامة أبو السُّعود محمد صالح السباعي الخلوتي المصري، من شيوخ جد الإمام الحافظ، نص في الأجوبة النبعة ق١٩٨-١٩٩، وأن وفاته كانت يوم ٢٧ ذي الحجة ١٢٦٩، فما وقع في الأعلام للزركلي (٦/١٦٤-١٦٥) من أنه توفي سنة ١٢٦٨ مجرد وهم لا غير، ولم ينبه عليه المستدركون على الأعلام.

(٢) المدد الفياض (ص٤).

(٣) نسيم الرياض (١/٤)، المدد الفياض (ص٣).

وقال غيره: إنه جرب قراءته لشفاء الأمراض وفك عقد الشدائد، وفيه أمانٌ من الغرق والحرق والطاعون ببركة المصطفى، وإذا صح الاعتقاد حصل المراد، هـ منه ص٨ج[١] ١.

في شرح وفي لأبي إسحاق إبراهيم التادلي على الشفا إثر نقله كلام ابن المقري قال مؤلفه: وأنا أيضًا قد جربته في ضيق فحصل الفرج قبل تمام الشهر والحمد لله، وأنا الآن منتظر بركته في الدارين.

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه ... أو يرجع الجار منه غير محترم

هـ. ومن خطه نقلت.

وقال التادلي أيضًا على قول عياض في الخطبة: ترجمته أي سميته بالشفا بالكسر والمد أي العافية من كل مرض، وهول دنيوي وأخروي، ومنه: وإذا مرضت فهو يشفين، بتعريف أي بيان حقوق أي معجزات وخصائص المصطفى، فهو الدواء النافع والبرهان القاطع.

ما سامني الدهر ضيمًا واستجرت به ... إلا ونلت جوارا منه لم يضم
ولا التمست عز الدارين من يده ... إلا اشتملت الندا من خير مستلم
كم أبرأت وصفا باللمس راحته ... وأطلقت أربا من ربقة اللمم
وأبى الله أن يمسني السوء ... بحال ولي إليك التجاء

وقال الإمام أحمد بن مصطفى طاشكبري زاده في كتابه «مفتاح السعادة»: سمعت من المشايخ أن الاشتغال بكتاب الشفا في أيام الوباء نافع مفيد[٢].

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب (١/١٤-١٥).
(٢) (١٣١/٢).

ونقل الإمام أحمد بن مصطفى طاشكبري زاده في رسالته «الشفا لأدواء الوبا»[١] عن الشيخ عبد الرحمن البسطامي الحنفي في كتابه المسمى: «الأدعية المنتخبة في الأدوية المجربة» قال: وجماعة من العلماء يتبركون في الوباء بقراءة كتاب الشفا للقاضي عياض[٢].

وقد ترجم العلامة الأديب أبو المعالي الطالب محمد بن أبي بكر الصديق بن عبد الله البرتلي الولاتي في كتابه «فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور»[٣] لعالم شنجيط المحدث الأصولي المعقولي الفقيه الصوفي الأديب علم الأعلام بالصحراء أبي محمد عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنجيطي صاحب «مراقي السعود» فقال: ومن فوائده أنه كان يقول: من نابه مرض فليَزِنِ الشفا للقاضي عياض بالماء ويشربه.

ولقد أخبرني بعض الإخوان ممن أثق به أنه فعله ببعض إخوانه مريضًا فشافاه الله تعالى[٤]. هـ

---

(١) (٦٩ق) نسخة مكتبة أسعد أفندي باصطنبول تحت رقم: ٣٢٧، وقد طبع الكتاب بالمطبعة الوهبية بمصر سنة ١٢٩٢ وليس تحت يدي.

(٢) انظر تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب للإمام المصنف رحمه الله (ص٤١٨).

(٣) زعم الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني في تصديره لكتاب فتح الشكور (ص٦). أن صاحب فهرس الفهارس لم يستفد من فتح الشكور، وهذا النص يرد ما زعمه.

(٤) فتح الشكور (ص١٧٤).

قلت: وقد أخبرني بعض صلحاء آل باعلوي اليمنيين بمكة المكرمة عام ١٣٢٣ عن بعض مشايخه بمثل هذه الخاصية لدلائل الخيرات، لكن ذكر أن مريد قضاء حاجته بعد ختمه له يزنه بتمر ويتصدق به.

وفي شرح أبي الحسن علي بن أحمد الحريشي[1] عليها: جربت لدفع الأزمات وكشف الكربات.

وفي التحفة القادرية: جُرب قراءته في الشدائد والنوازل.

وفي فهرس ابن عبد السلام البناني الذي ألفه لأهل مكة: وقد جُربت قراءة كتاب الشفا في الشدائد والنوازل. هـ من خطه.

وحدثني قديمًا بفاس بعض أهل الاطلاع من أهلها[2] ومرت عليهم السنوات الخوالي أن حريقا مهولًا وقع بالنيارين في عام ١٣١١ عَظم به الخناق واشتد الأمر، فلما سكنت الهيعة وجد رجلًا واقفًا وقد أكلته النار والتهمته، ولم يبق منه إلا العظام قائمة ويده التي تحمل نسخة من الشفا قد أكلت النار أوراقها البيضاء وأبقت على المكتوب فيها نص الشفا، وأن السلطان أبا علي مولاي الحسن أرسل خلف الرجل المذكور وأبقى النسخة عنده.

وقد ذكرتني هذه القصة بقصة أخرى رأيتها في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية للزركشي[3] أن في عام ٥٣٣ أخذ رجل فقتل

---

(١) ق/١ نسخة مكتبة المسجد النبوي الشريف، تحت رقم

(٢) وقفت في إحدى كنانيش المؤلف على تعيين محدثه المذكور، وهو المعلم الحاج محمد عباد الفاسي.

(٣) تأليف أبي عبد الله محمد بن إبراهيم اللولي المعروف بالزركشي، طبع بتونس في مطبعة الدولة التونسية ١٢٨٧. قلت: وليس له ترجمة، وهو من أهل =

وأحرق، قال ابن الخطيب: فلم تعد النار على يده اليمنى بشيء، وردت النار مرارًا فلم تعد إليها، وهذا خبر لا شك فيه صحيح، وأولت بالصدقة أو بكتب ما فيه قربة، انظر ص٥٧ من التاريخ المذكور، طبع تونس.

وانظر التحفة القادرية ففيها نوادر من هذا الباب، قف عليها تر عجبًا.

وفي حصر الشارد من أسانيد محمد عابد لحافظ الحجاز ومسنده الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري[1] المدني: قال الشيخ عبد الخالق بن علي المزجاجي[2]: ومن تعلق بهذا الكتاب - يعني الشفا - وأحبه لما فيه رأى النبي ﷺ، قال: وكان الصنو العلامة محمد بن محمد الصديق بن محمد المزجاجي يحب هذا الكتاب ويكثر من مطالعته وإقرائه، فكان يرى النبي ﷺ كثيرًا، أخبرني ببعض منها، وقد حصل ذلك لغيره من العلماء[3] هـ.

وتوجيه هذا أن من شغل باله وقصر لبابه على شيء فبه يقوم وعليه يجلس لا بد أن يستصحب حاله اليقظي في المنام، وبذلك يصبح في حال آخر غير حال الجماهير، فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره.

= القرن العاشر. فقد ذكر الزركلي في الأعلام نقلًا عن تلميذ المؤلف العلامة محمد الشاذلي النيفر التونسي في مجلة الندوة التونسية أن حوادثه انتهت سنة ٩٣٢ كما في نسخة باريز منه، انظر الأعلام (٣٠٢/٥).

(١) انظر كتاب الإمام المؤلف أسانيد حصر الشارد وما صدرته به (ص٢٧٣ — ٣٢٠) ضمن مجموع نور الحدائق.

(٢) انظر كتابه «نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر المشايخ أهل الرواية والإصابة» (ص٨٤). وانظر ترجمته في مقدمة محققيه.

(٣) حصر الشارد (٣٢١/١).

ومن أغرب ما وقفت عليه مما له علاقة بهذا الفصل أن طالبًا أزهريًا نشر قديمًا في أحد المجلات المصرية[١] مقالة عنوانها: بماذا دافع العلماء نازلة الوباء؟ دفعوها يوم الأحد في الجامع الأزهر بقراءة متن البخاري موزعًا كراريس على العلماء في نحو ساعة على عادتهم من إعداد هذا المتن أو السلاح الحربي لكشف الخطوب وتفريج الكروب، فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل، وفي الحريق مقام المضخة والماء، وفي الحيضة مقام الحيطة الصحيحة وعقاقير الأطباء.

ثم استرسل في هذه التهكمات التي تسفر عن مقداره في الازدراء بالروحيات[٢] وما وراء المادي ومبالغته في الوثوق بالماديات وإنكار ما عداها حتى إنه بلغت به الجرأة أن سأل العلماء عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحدٍ من المجتهدين الذين يقلدونهم إن كانوا أتوا هذا العمل على أنه ديني داخل في دائرة المأمورية، وإلا فعن أي حذاق الأطباء تلقوه؟ وأن هذا داخل في ناموس الفطرة أو خارج عنها خارق لها؟ فلِم لم يقرأه العلماء لدفع الجوع؟ إلى أن قال: ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل

---

(١) هي مجلة المنار المصرية (٥/٤٧٥-٤٧٧) نشر فيها هذا المقال بتاريخ ١٦ جمادى الثانية ١٣٢٠هـ/ ١٩ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٠٢هـ.

(٢) هو نفس منهج الأستاذ رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وله في هذا الباب الطوام العظام من إنكار صحيح الأحاديث النبوية ودفعها، لأن عقله لا يقبلها، وللإمام المصنف الحافظ أخبار معه في حجته الأولى والثانية بينت ذلك في كتابي المفرد في سيرته رحمهما الله تعالى.

ليس من الدين، وأن القرآن يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[١] لضلوا وأضلوا.

ونحن نقول: قد قرر أئمة الحديث والحكمة ومنهم الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والقسطلاني في المواهب وعلامة الروم عصام الدين أحمد بن مصطفى طاشكبري زاده وغيرهم أن علاجه عليه السلام للمرضى على ثلاثة أنواع: أحدها بالأدوية الإلٓهية والروحانية، والثاني بالأدوية الطبيعية، والثالث بالمركب من الأمرين.

وقرر أهل الإسلام أن الله لم ينزل من السماء شفاء قط لهم ولا أنفع ولا أعظم ولا أشد تأثيرًا في إزالة الداء من القرآن، فهو للداء شفاء، ولصدء القلوب جلاء، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢] ولفظة «من» كما قال الإمام فخر الدين الرازي[٣] ليست للتبعيض، بل للجنس. والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الأمراض الروحانية، وشفاء أيضًا من الأمراض الجسمانية.

قال القسطلاني في المواهب[٤]: لأن التبرك بقراءته ينفع كثيرًا من الأمراض، وإذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرمز المجهولة والعزائم التي لا يفهم منها شيء آثار عظيمة في

---

(١) الأنفال: ٦٠

(٢) الإسراء: ٨٢

(٣) (٢١/٣٨٩-٣٩٠).

(٤) مع شرح الزرقاني (٧/٦٥-٦٦).

تحصيل المنافع ودفع المفاسد، أفلا تكون قراءة القرآن العظيم المشتمل على ذكر الله وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة الشياطين لحصول النفع في الدين والدنيا؟

ويتأكد ما ذكرنا بما روي عن النبي ﷺ قال: من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله[١]، وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وهي في الصحيح[٢]، وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع تجد تحقيق كون القرآن شفاء من جميع الأدواء والعلات، كما في شرح المواهب[٣] تأمل قوله عليه السلام في بعض أدعيته: وأن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري، وهو في مسند أحمد[٤]، فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن إلى صحته واعتداله، وفي حديث علي عند ابن ماجة مرفوعًا: «خير الدواء القرآن»[٥].

قال القسطلاني في المواهب[٦]: وهنا أمر ينبغي أن يتفطن له نبه عليه ابن القيم، وهو أن الآيات والأذكار والأدعية التي يستعين بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعي قبول المحل وقوة

---

(١) قال الحافظ الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٢٨٨): رواه الثعالبي، ثم ساقه بسنده.

(٢) صحيح الإمام البخاري، كتاب: الإجارة، باب: ما يعطى على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، رقم: ٢٢٧٦. (٣/٩٢).

(٣) (٧/٦٦).

(٤) مسند سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رقم:٣٧١١، (٦/٢٤٦-٢٤٧).

(٥) سنن ابن ماجه، أبواب: الطب، باب: الاستسقاء بالقرآن، رقم الحديث: ٣٥٠١ (٤/٥٣٩).

(٦) مع شرح الزرقاني (٧/٦٦-٦٧).

همة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفا كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المحل المنفعل، أو لمانع قوي يمنع أن ينجح فيه الدواء، كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وكذلك الدعاء، فإنه من أقوى الأسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف أثره منه إما لضعفه في نفسه، وإما لضعف القلب، وإما لحصول مانع، قال: ولا خلاف في مشروعية الفزع إلى الله والالتجاء إليه في كل ما ينوب الإنسان.

وفي صحيح البخاري(١) ومسلم(٢) كلاهما في الطب من حديث عائشة أنه عليه السلام كان ينفث على نفسه في المرض بالمعوذات.

قال عياض في الإكمال(٣): فائدة النفث التبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذي ماسه الذكر، كما يتبرك بغسالة ما يُكتب من الذكر.

وبقية الحديث: فلمَّا ثقَل كنت أنفُث عليه بهن وأمسح بيدي نفثَه لبركتها. قال مَعْمَرُ راويه: فسألت الزهري كيف ينفث؟ فقال: كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.

ولما تكلم ابن القيم والقسطلاني(٤) أيضًا على النوع الثالث من طِبِّه عليه السلام بالأدوية المركبة من الإلٓهية والطبيعية، وتكلما على كونه

---

(١) كتاب: الطب، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات، رقم: ٥٧٣٥، (١٣١/٧).

(٢) كتاب: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم: ٢١٩٢، (١٧٢٣/٤).

(٣) (١٠١/٧).

(٤) المواهب مع شرحها (١٤٨/٧-١٤٩).

عليه السلام كان يقول في الرُّقَى: باسم الله تربة أرض وريقة بعضنا يشفي سقيمنا بإذن ربنا - وهو في الصحيح[١]- قالا: الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول على الوصول إلى كنهها هـ.

وقال الحافظ ابن القيم في الهدي النبوي[٢]: صرح بأن الرقية وتأثيرها بحسب الراقي وانفعال المرقي عن رقيته، وهذا أمر لا ينكره طبيب فاضل عاقل مسلم، فإن انتفى أحد الأوصاف فليقل ماشاء.

ولا أدري ما يقول هذا الكُوَيْتِبُ السَّقيم بِدَاء الإلحاد في الحديث الصحيح الذي فيه أن أُبَيًّا قال لرسول الله ﷺ: أجعل لك من صلاتي كلها؟ فقال عليه السلام: إذًا تُكفى همك ويُغفر ذنبك، رواه أحمد[٣] والترمذي وقال حسن صحيح[٤]، والحاكم وصححه[٥]، وعبد بن حُميد في مسنده[٦]، والبيهقي في الشعب[٧]، وابن أبي شيبة[٨]، وفي رواية لأحمد[٩] عنه قال رجل لرسول الله ﷺ: أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك؟ قال: إذًا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك.

---

(١) كتاب: الطب، باب: رقية النبي ﷺ، رقم: ٥٧٤٥، (١٣٣/٧).

(٢) زاد المعاد (١٧٢/٤).

(٣) مسند سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: ٢١٢٤٢، (١٦٦/٢٥-١٦٧).

(٤) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: ٢٣، رقم: ٢٤٥٧، (٢٤٥/٤).

(٥) (٤٢١/٤).

(٦) مسند سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: ١٧٠، (٨٩).

(٧) رقم الحديث: ١٤٢٨، (٨٥/٣-٨٦).

(٨) في ثواب الصلاة على النبي ﷺ، رقم: ٨٧٩٨، (٤٥/٦)، كما في منتخبه.

(٩) مسند سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، رقم: ٢١٢٤٢، (١٦٦/٢٥-١٦٧).

قال المنذري: وإسناد هذه الرواية جيد[١]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

قال الحافظ ابن القيم في كتابه «الداء والدواء»[٢]: لو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، وكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألمًا، فكان كثير منهم يبرأ سريعًا.

وذكر ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه كان يجوع فيشبع بتلاوة القرآن مقتصرًا عليه، فيقوم له مقام الطعام والشراب، إن في ذلك لآيات للموقنين.

فالجمع بين الطبين والعلاجين والدافعين - الحسي والمعنوي - أصح من التعاليم الملاحظة في الإسلام، وعمل نبيه ضرورة أنه كان في العرش يناشد ربه النصر ويتضرع لربه وأصحابه يقاتلون، فأعطى الأسباب حقها والتعلق بالله قسطًا.

فمن يقرأ إذًا الشفا أو الصحيح رجاء خاصيته وهو في وقت قراءتها متخذٌ غيرها من الأسباب الواقية والعلاجات الجسمية لا ينكر عليه، وإنما ينكر على من اقتصر على أحدهما ولم يعط المواطن حقها.

وكيف ينكر التبرك بقراءة البخاري والشفا في الملمَّات؟ وغاية ما فيهما قرآن وحديث وصلاة على رسول الله ﷺ وأدعية. والخواص لا تنكر، والمجربات عند أهلها لا تكفر.

---

(١) الترغيب والترهيب (٣/١٦٠-١٦١).

(٢) (ص٨).

ولعالم الشام ومحدثه الشيخ إسماعيل العجلوني صاحب الأوائل:

صحيح البخاري الإمام مجرب   لكشف بلاء خص أو عم يعطب
فقد جرب الأخيار ذاك كما روى   له عنهم من للمعارف ينسب
فلازم لإقراء الصحيح ودرسه   ليحفظك المولى فأنت المهذب
وفي وضعه في منزل أو سفينة   أمان فحاذر أن تكون تُكَذِّب[١]

انظر ثَبَتَه[٢].

وفي منظومة «غرة الصباح» لعالم شنجيط ومحدثه الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنجيطي لما تكلم على كتب الحديث:

وخير ما صنف فيه الجامع   صنفه محمد المطالع
ذو الفتح ما قراه ذو ضيق   إلا وجاء الفرج بالتحقيق[٣]

وفي شرحها المسمى «نيل النجاح»: قال الحافظ ابن كثير[٤]: يستسقى بقراءته الغمام.

وقيل فيه:

وهو الذي يشفي إذا خَطبٌ عَرى   قِراه للمحذور أعظم دافع

---

(١) الفوائد الدراري (ص١٥٠).

(٢) لدى الحديث الخامس والعشرين من مسلسلاته، وهو المسلسل بالشعراء قائلا: وأنا لي شعر في الجملة ذكرنا شيئا منه في «أوائل شرح البخاري» وفي «الفوائد الدراري» بترجمة البخاري وغيرهما، وغالبه أحكام ومناقب. فذكر الأبيات. انظر ص٣١٨ منه.

(٣) غرة الصباح مع شرحها نيل النجاح (ص١٠-١١).

(٤) البداية والنهاية (١٤/٥٢٦) دار هجر.

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي: حكي أنه عمى صبيًا فرأى في نومه إبراهيم عليه السلام، فتفل في عينيه ودعا له فأبصر، فمن ثم لم يقرأ كتابه لهم إلا فرج[١]. هـ

وقال الإمام أبو جعفر ابن خاتمة الأندلسي في كتابه في الطاعون الواقع ببلده ألمرية سنة ٧٤٧ المسمى «غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»[٢] لما كان هذا الحادث لعظيم هوله وعموم خطبه عديم النظير في مواقع الوجود ومجاري الأقدار بحسب المألوف من تقلبات الليل والنهار وجب أن تصرف فيه الهمة إلى الله، إذ لا يدفع العظيم إلا العظيم، ولا يُؤَمَّل لمثل هذا الخطب الجسيم إلا الرب الكريم، فحق ما لا نظير له في التهلك أن يرجع فيه لمن لا نظير له في الملك سبحانه، وقد قال بقراط: إن من أنواع الوباء نوعًا هو غضب الرب، ولا جرم أنه لا يستدفع غضبه إلا بما فيه رضاه، إذ لا ... ولا منجا من الله إلا إليه.

فكما يجوز الدعاء إلى الله برفع الأمراض والأعراض؛ فكذلك يجوز الدعاء في هذا، بل يندب، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[٣] وقد جاء أنه ﷺ كان يدعو لأصحاب المرض وأصحاب العاهات والأوصاب هـ.

---

(١) نيل النجاح (ص١٠ — ١١).

(٢) (ص٢٠٥-٢٠٦).

(٣) الأنعام: ٤٣

وقد حكى الله في القرآن قول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] قال البيضاوي في تفسيره[2]: وما يداوي إلا الدعاء. هـ

وقد قال الحافظ أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي الشيرازي، إمام القراء والمحدثين، وشيخ المسندين أول كتابه «الحصن الحصين»[3] أما بعد: حمد الله الذي جعل الدعاء لرد القضاء، فإن لهذا الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، وسلاح المؤمنين من خزانة النبي الأمين، والهيكل العظيم من قول الرسول الكريم، والحرز المكنون من لفظ المعصوم، أبرزته عُدة عند كل شدة، وجردته جنة تقي من شر الناس والجنة، تحصنت به مما هم من المصيبة، واعتصمت من كل ظالم لما حوى من السهام المصيبة.

ألا قولوا لشخص قد تقوى ... على ضعفي ولم يخش رقيبه
خبأت له سهامًا بالليالي ... وأرجو أن تكون له مصيبه

أسأل الله أن ينفع به وأن يفرج عن كل مسلم بسببه. إلخ

وذكر الحافظ ابن الجزري المذكور في كتابه «مفتاح الحصن الحصين» أنه أحسن من قال في كتابه الحصن المذكور:

إن نابك الأمر المهول ... اذكر إله العالمينا
وإذا بغى باغ عليك ... فدونك الحصن الحصينا هـ

---

(١) آل عمران: ٤٩
(٢) (١٨/٢).
(٣) (ص١٥).

وقد قال الحافظ ابن الجزري في طالعة كتابه «عدة الحصن الحصين»: هذا كتاب صحيح، صاحبه دائمًا عزيز مقرب، توجَّه به الناس في شدة الباس، وعند الياس، وجدوه عُدَّة عند كل شِدَّة، وحصنًا حصينًا، ومعقلًا أمينًا، ونورًا مبينًا، وشفاءً ونعمةً، وجلاءً لكل غمةٍ، ما سأل الله به سائلٌ إلا أعطاه، ولا توسَّل به متوسِّل إلا كفاه، ولا تحصَّن به متحصِّن إلا حماه، ولا كان مع أحد في مصيبةٍ إلا نَجَّاه، ولا استنصر به مستنصرٌ إلا نصره، ولا حمله أحدٌ في حاجته إلا قضى منها وطره، ولا تأمَّله أحدٌ إلا حصل له السرور به، ولا كان مع مكروب إلا فرج الله عنه، ومن حَفِظه حُفظ، ثم أنشد فيه لنفسه:

كتاب عظيمُ القدر قول محمد ... رسول كريم صادق في مقاله
فما مثله عند الشدائد عدة ... ولا مثله للمرء في كل حاله
فجربه واعمل بالذي فيه واعتقد ... جميع الذي قد قلته من خصاله
ترى كل خير فيه في كل ساعة ... وتبلغ ما أملته من فعاله
فيا فوز من لا زال يعرف قدره ... ويذكر كلام الهاشمي وأهله

وقد عقد شيخ الإسلام بتونس الشيخ محمد بيرم الثاني في رسالته «حسن النبإ في جواز التحفظ من الوباء» خاتمة في حكم الدعاء برفعه والتوجه له عز وجل في دفعه، انظرها.

ولعمري كيف يمكن لمؤمن تقي مع مروره على قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾[1] أن ينكر التضرع إلى الله في الشدائد والمدلهمات، والتطارح على باب فضله بقراءة حديث نبيه وسيرته مما

---

(١) الأنعام: ٤٣

جمعه قبل كتاب الصحيح والشفا إلا من لا يتدبر القرآن، وكان على قلبه غشاوة، وتلاوة حديث الرسول وسيرته والتبرك بآثاره من النصرة والدعاء.

وقد أخرج الترمذي[١] وابن حبان من حديث عثمان، وصححه ابن حبان والحاكم[٢]، والضيَّاء في المختارة: لا يرد القضاء إلا الدعاء.

قال الشوكاني في «شرح الحصن»[٣]: فيه دليل على أنه سبحانه يدفع بالدعاء ما قضاه على العبد، وقد وردت به أحاديث كثيرة، ويؤيد ذلك قوله تعالى: «يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» وقد أفردنا هذه المسألة برسالة. هـ

وأخرج الحاكم في المستدرك والبزار[٤] من طرق، قال الهيثمي في مجمع الزوائد[٥] أحد إسنادَي البزار: رجاله رجال الصحيح لا يغني حَذَر من قَدَر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل.

قال الشوكاني أيضًا: فيه دليل أن الحذر لا يغني عن صاحبه شيئًا من القدر المكتوب عليه، ولكنه ينفع في ذلك الدعاء، ولذلك عقبه ﷺ

---

(١) باب: ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، رقم: ٢١٣٩، (٤/١٨).
(٢) كتاب: التفسير، باب: نفسير سورة البقرة، (٢/٢٨٦).
(٣) (ص٣٤).
(٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: ٨١٤٩، (١٤/٤٠٠). ومن حديث أم المؤمنين مولاتنا عائشة رضي الله عنها، رقم: ٧٢، (١٨/١١٩).
(٥) مجمع الزوائد (٧/٢٠٩) و (١٠/٤٦)، ولم أر ما نقله المصنف عنه فيه.

بقوله: والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وأكد ذلك بقوله: إن البلاء ينزل فيتلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة. ومعنى يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان. هـ

وخرج أبو نعيم عن أبي مسلم الخولاني والبغوي في شرح السنة[١] عن جرير بن نفير مرسلًا قال: قال رسول الله ﷺ: ما أوحي إلي أن أجمع المال وأكون من المهاجرين، ولكن أوحي إلي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين.

ففي الآية أمر بأربعة: التسبيح، والتحميد، والسجود، والعبادة، وفيها: أن الطاعات سبب في زوال ضيق الصدر والحزن، لأن قبلها: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾.

وفي سنن أبي داود عن صحابي من خزاعة أنه ﷺ قال: قم يا بلال فأرحنا بها، أي: بالصلاة[٢].

وخرج الإمام أحمد[٣] وأبو داود[٤] بإسناد حسن عن حذيفة بن اليمان قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى، قال ابن الديبع في تيسير الوصول: حزبه بالباء والنون: نزل به أوقعه في الحزن، وقد نزل

---

(١) كتاب: الرقاق، باب: التجافي عن الدنيا، رقم: ٤٠٣٦ (١٤/٢٣٧).

(٢) كتاب: الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم: ٤٩٤٦ (٥/٤٤٨).

(٣) مسند سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، رقم الحديث: ٢٣٢٩٩، (٣٨/٣٣٠).

(٤) أبواب: قيام الليل، باب: وقت قيام النبي ﷺ من الليل، رقم الحديث: ١٣١٩ (٢/٢٦٥).

الحافظ السيوطي[1] هذا الحديث على آية: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: اطلبوا المعونة على أموركم بذلك.

قال قاضي الجماعة بغرناطة أبو عبد الله محمد بن علي بن الأزرق الأندلسي في «بدائع السلك»[2] عند ذكر الوباء وما يتوسل إلى الله به في كشف كربه: قال ابن أبي حجلة:

وذلك أن الصلاة يستشفى بها من عامة الأوجاع قبل استحكامها، فمن أحس ببدء الألم من الطاعون أو غيره فبادر إلى الوضوء والصلاة، وفرغ قلبه لله تعالى، وجمع همته على الله في صلاته اندفع عنه ذلك الألم بفضل الله أو خَفَّ، فلم يحصل له من ثقله ما حصل لمن أعرض عن الله وعن الصلاة، قال: وبالجملة؛ فلها أثر عجيب في حفظ صحة البدن والقلب وقوامها، ودفع المواد الردية عنها، وما ابتلا رجلان بعاهة أو أذى أو محنة أو بلية إلا وكان حظ المصلي منهما أقل، وعاقبته أسلم.

قال: وللصلاة تأثير عجيب في دفع شرور الدنيا، لا سيما إذا أعطيت حقها من تكميل الطهارة ظاهرًا وباطنًا، فما استدفعت شرور الدارين، ولا استجلبت مصالحهما بمثل الصلاة، وسر ذلك أنها صلة بين العبد وربه، فعلى قدر صلة العبد بربه يفتح عليه من الخيرات أبوابها، ويدفع عنه من الشرور أسبابها. هـ

---

(١) الإكليل في استنباط التنزيل (ص٢٨-٢٩).

(٢) (٢/٧٧).

وفي «اللؤلؤ والمرجان في مناقب أبي زيد عبد الرحمن»[١] للمحدث المسند أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي، صاحب «المنح البادية» أن أباه المذكور كان إذا أهمه أمر يكثر من زيارة الصالحين، ومن الصلاة على النبي ﷺ.

ومن أعجب ما يُسمع ويُرى أن صاحب «قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث»[٢] و«إصلاح المساجد»[٣] نقل كلام ذلك الكويتب المصري مصدِّرًا له بأن الذي نقل عن ابن أبي جمرة أن صحيح البخاري ما قرئ في شدَّةٍ إلا فُرِّجَت، ولا ركب في مركب فغرقت هو القسطلاني، مع أنه يعلم أن الذي نقل ذلك أولًا عن ابن أبي جمرة هو الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح[٤]، وناهيك به، ٩٨ وذلك لما تكلم على أوجه التفاضل بين صحيحي البخاري ومسلم، قال:

وإذا تقرر ذلك فلتقابل هذا التفضيل بجهة أخرى من وجوه التفضيل غير ما يرجع لنفس الصحيح، وهي ما ذكره الإمام القدوة أبو محمد بن أبي جمرة في اختصاره للبخاري، قال: قال لي من لقيته من العارفين عمن لقي من السادة المقر لهم بالفضل أن صحيح البخاري ما قرئ في

---

(١) منه قطعة في الخزانة الحسنية تحت رقم: ٥٩٧. وقد وهم عبد السلام بن سودة في كتابه «دليل مؤرخ المغرب» فنسبه إلى أخيه أحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر. وأنت ترى أن المصنف ينسبه جازما لصاحب المنح، فحققه.

(٢) (ص٢٦٣ – ٢٦٧).

(٣) (ص٢٥٥ – ٢٥٩).

(٤) (١/١٣).

شدة إلا فرجت، ولا ركب به في مركب فغرق، قال: وكان مجاب الدعوة، وقد دعا لقارئه رحمه الله. ص ١١ طبع مصر الأولى.

ونحوه للحافظ ابن كثير، وهو من كبار أصحاب ابن تيمية، وسكت عن طامات ذلك الكويتب لم ينتقدها، التي من جملتها قوله لم خص البخاري بعينه بهذه المزية؟ ولم لم يجز هاذا في الموطإ وهو أعلى كعبًا؟ مع أن صاحب قواعد التحديث كان بيده «رسالة الشفا لأدواء الوبا»، ونقل عنها في المبحث المذكور عقبه، وصاحبها نقل فيها عن الشيخ عبد الرحمن البسطامي الحنفي في كتابه «الأدعية المنتخبة في الأدوية المجربة»، قال:

رأيت جماعة من صلحاء الحنفية يتبركون بقراءة كتاب القدوري في أيام الوباء، وهو كتاب مبارك حيث قرئ يكون أمنًا من الفقر.

ورأيت جماعة من الشافعية يتبركون بقراءة «التنبيه» في أيام الوباء، والمالكية يتبركون في أيام الطاعون بقراءة كتاب «الموطإ»، إلى آخر كلامه، انظر صفحة ٩٥ من «رسالة الوباء» للعلامة طاشكبري زاده، فإنه ذكر كتبًا كثيرة يتبرك العلماء بها في وقت الطاعون، كالصحيحين، والشفا، والقوت، والمصابيح، والمشارق، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وغيرها، فانظرها ولا بد.

والعجب أن الناس يثقون بوصفة متطبِّب كيفما كان مذهبه ودينه وجنسه، ويعملون على تقييده في خاصية عشبة نباتية، ولا يثقون في ما ينقله مثل الحفاظ الكبار، كابن تيمية، وابن القيم، وابن حجر، وابن الجزري، والسيوطي، وأمثالهم، فكأني بالواحد من هؤلاء مسيحي مرة

وفي أخرى تيمي مرة، ويكفر بكلامه مرات، وليس الأمر بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب.

وقال: قال العالم الصالح الشيخ أبو عبد الله المعطى بن عبد الخالق الشرقاوي البجعدي، دفين مراكش في تأليف له ذكر فيه ما ينيف على اثنين وسبعين علما: رأيت ليلة الجمعة في المنام وأنا قابضٌ شفا القاضي عياض بين يدي، فإذا أنا مأمور بدخول الجنة بغير حساب، فتفكرت إخواني وزوجتي كيف أخلفهم ورائي، فأجرى الله على قلبي الشفاعة فيهم، وشفعني فيهم، فإذا بامرأة أذن لها بمثيل ما أذن لي، فسألت عن حالها فقيل لي بكثرة الصلاة على النبي ﷺ. هـ بواسطة «يتيمة العقود الوسطى في مناقب حفيد المذكور سيدي المعطى» ابن الصالح بن المعطى بن عبد الخالق الشرقاوي.

ووَقع في آخر نُسخةٍ من الشِّفا قام بطبعها بالآستانة قديمًا يوسف بن محمد أبي السّعود المعلم بخزنة دار خضرة شُهر بأبي سعادة محمد جوهر آغا، ذكر في آخرها أنه حين عزم على طبعها حَصَلت له إشارةٌ نبويةٌ في رُؤيةٍ منامه بواسطة أكابر السّادة العَلوية سيدي مدوني وسيدي عمر اللجفري المدني، حاصلها: أمَرَه سيِّد الأنام بأن يُخبرني بأنّ ذلك كفّارة لما جنيته من الآثام. هـ

قلتُ: السيد عمر الجفري هذا هو شيخ شيوخنا العارف الكبير صاحب الصّيت والمدد، كان يُعرف في المدينة المنورة ببواب رسول الله ﷺ عاش طويلًا، وأخذ عنه جماعة من كبار مشايخنا، كالشيخ عبد الجليل برادة، والحبيب حسين الحبشي الباعلوي، والسّيد صافي

الجفري من أهل الحجاز، والمعمَّر البركة السيد محمد بن أحمد بن محمد الصّقلي الحسيني الفاسي، وغيرهم.

وفي «المجد الطارف والتالد على أسئلة الناصري» للعلامة الأديب أبي عبد الله محمد الأمين الصحراوري الشنجيطي دفين مراكش أن المطر حبس عام ١٢٩٣، فنبه بعض أهل العلم بعض وزراء السلطان فأمر العلماء بقراءة شفا القاضي عياض في سبعة رجال كما جرت العادة بذلك عند حبس المطر، فخرج الإذن بذلك، ويوم الخميس أرسلت السماء ودقها وأغاث الله العباد هـ.

وفي «الابتسام في دولة ابن هشام»[١] لدى ذكره علماء مصر عد منهم العلامة الصالح الشيخ علي النجاري فقال: كنا نحضر مجلسه في قراءة كتاب الشفا، فسمع بعض أهل المجلس يتكلمون فقال اسكتوا والزموا الأدب فإن رسول الله ﷺ يحضر مجلسنا هنا، فسكت الناس من ذلك اليوم. هـ منه.

وقال الزموري في شرح الشفا فيما وجدته مقيداً عنه في أول نسخة من الشفا.... مروية مسندة منقولة عن نسخة يمنية قديمة، ولما كان كل من عرف الحق تلقى هذا التأليف بالقبول والإقبال وبسط لاقتناص فرائده وفوائده يد الكمال والإكمال أمر بعض الخلفاء الراشدين بقراءة هذا التأليف بعد صلاة الصبح من كل يوم في جميع أعماله وبلاده، فكان العمل على ذلك هلم جرا تبركا به والتماساً لفوائده نفعه الله بقصده وغفر له ما كان وسلف من خطإه وعمده لمنه ومدده. انتهى من إيضاح اللبس والخفا.

---

(١)

قال أيضًا: سمعت السيد الشريف تاج الدين أبي الحسن الغرّافي[١] بثغر الإسكندرية، وقد جرى هذا التأليف فقال: النظر فيه يزيد في الإيمان ه من إيضاح اللبس.

قال أيضًا....

وسمعت بعض مشايخي يقول: ينبغي لكل طالب أن لا يخلي خزائنه من هذا التأليف. من إيضاح اللبس هـ منها.

وعلى أول هذه النسخة: وحكي عن المصنف رحمه الله ونفعنا به أنه لما فرغ من تصنيفه رأى النبي ﷺ في منامه فقال له: يا عياض أبشر، وقال بماذا يا رسول الله؟ قال: بدخول الجنة وبشر لمن قرأ هذا الكتاب أو سمعه أمن من العمى.

وفي «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر» للعالم الأديب الرئيس السيد محمد نجل الأمير عبد القادر الجزائري دفين دمشق أن والده المذكور لما كان في مستغانم كان يجتمع من معه من العلماء والأقارب لقراءة البخاري على نية تفريج كربهم، وكتاب الشفا للقاضي عياض على تلك النية. ه منها ص١٧ ج٢.

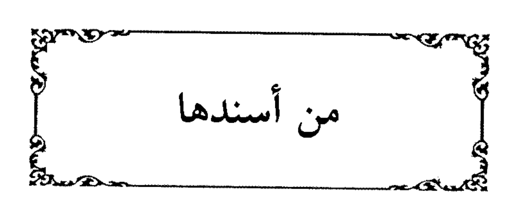
وترجم في «خلاصة الأثر»[٢] للفقيه الصالح الشيخ رضي الدين بن عبد الرحمن بن الحافظ شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي فقال: لما

---

(١) علي بن أحمد بن عبد المحسن الغرافي الحسيني الغرافي ثم الإسكندري من ذرية موسى الكاظم، ولد سنة ٦٢٨هـ، وتوفي سنة ٧٠٩هـ، المعجم المختص بالمحدثين (ص١٥٨-١٥٩)، والمعجم الكبير له (٢/١٢-١٣)..

(٢) (٢/١٦٦-١٦٧).

قدم إلى مكة عام ٤٠ وألف السيد الجليل العارف الراسخ محمد ابن علوين بن عقيل قرأ عليه طرفا من الشفا ثم طلب منه السيد عبد الرحيم السمهودي وأحمد بن عراق أن يحضرا معه فأجابهما السيد لذلك، ثم أخبره أن النبي ﷺ حاضر حالة قراءته. وهذه قيمة عظيمة. هـ منها ص ١٦٧ ج ٢.



من أسندها

تقيد سماع لأول الشفا بضريح القاضي عياض

للقاضي عبد الأحد الكتاني ولد الإمام المؤلف بخطه (١)

تقيد سماع لأول الشفا بضريح القاضي عياض

للقاضي عبد الأحد الكتاني ولد الإمام المؤلف بخطه (٢)

ليُعلم أن في تطلب أسانيد الكتب كما في «قواعد التحديث» غاية للحكماء سامية، ألا وهي التشوف إلى الرجوع إليها ومطالعتها، فإن العاقل إذا رأى حرص الأقدمين على روايتها بالسند إلى مصنفيها علم أن لها مقامًا مكينًا في سماء العرفان، فيأخذ في قراءتها [ودراستها][١]، واقتباس الفوائد، منها.

ومن فوائد أسانيد الكتب: حفظها من النسيان والضياع.

ومن فوائدها: الدلالة على اعتبار الأولين لكتب العلم والتنويه بشأنها، وتعظيم قدرها وإعلائه.[٢]

ولا شك أنه منذ ظهر كتاب الشفا في عالم التأليف تسارع حفاظ الأمة وأعلامها إلى روايته، واستجازة مؤلفه به.

وأول من علمته استجاز عياضًا فيه من كبار الحفاظ مسند الدنيا وحافظها الإمام أبو طاهر السِّلَفي نزيل الإسكندرية ودفينها، مع أنه من كبار شيوخ عياض الذين ترجمهم في فهرسته[٣] ومات عياض قبل السلفي بنحو نصف قرن[٤] وسند الشفا من طريق السلفي من أعلى أسانيدنا

---

(١) زيادرة لم ترد في المطبوع من قواعد التحديث.

(٢) (ص٢١٥) باختصار.

(٣) الغنية (ص١٠٢-١٠٥).

(٤) وذلك أن وفاة القاضي عياض كانت سنة ٥٤٥، وكانت وفاة الحافظ أبي الطاهر السلفي سنة ٥٧٦. فبين وفاتهما إحدى وثلاثون سنة.

وأفخمها في مشيخات الحفاظ ومعاجم المسندين في العالم الإسلامي، وثم تمالأ أئمة الإسناد في الدنيا جميعًا على التباهي بسلاسلهم المتصلة بعياض، لا فرق في ذلك بين العجمي والعربي، والحجازي والتونسي، والجزائري والمغربي، والمصري واليمني، والعراقي والهندي، فكلما فتح الباحث معجمًا من المعاجم لا يجده يخلو من إسناد يتصل بالشفا ومؤلفها، وقد رأيت في ثبت قاضي تونس أبي عبد الله الرصاع لما تكلم على شيخه أبي عبد الله بن عقاب وذكر مشايخه، فذكر منهم الشيخ أبا الحسن محمد البطرني فقال: أنشدنا عن شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن حيان الأوسي لنفسه في سنده لكتاب الشفا:

أأحبابنا هذا الشفا ... بالقرب في سند الشفا
بيني وبين عياضه ... شيخان من أهل الصفا
شرف الوجود بأسره ... حزب النبي المصطفى
صلى الإله عليهما ... ما شفع الحبيب وشرفا[1]

ويكفي أن ممن تهافت على روايتها وإسنادها وسماعها وإسماعها بعد الحافظ السلفي الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري[2]، ومحدث الشام ومسند الدنيا أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري، صاحب المشيخة، والإمام الحافظ تقي الدين ابن السبكي، والحافظ زين الدين العراقي، حتى إني رأيته في جواب له عن أبيات في مدحه عليه

---

(١) فهرسة الرصاع (ص١٦٩ — ١٧١).

(٢) سمعه الحافظ المنذري من الإمام الرحالة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير البلنسي وأسمعه مرات.

السلام[١] كتب عليها، فلما احتاج إلى النقل عن الشفا[٢] ساق سنده إليها مفتخرا بعلوه وتنسقه وكل كل واحد من رجاله روى عمن قبله.

والحافظ ابن حجر ذكر سنده في المعجم المفهرس[٣] وغيره من معاجمه الكثيرة، وقد عقد تلميذه الحافظ السخاوي ترجمة واسعة لعيون مسموعاته من الكتب، مقتصرًا على أعلى أسانيده مما حدث به، فذكر منها الشفا، فذكر أنه سمعها على المؤرخ ناصر الدين ابن الفرات الحنفي، أنا به أبو الفتوح الدلاصي، أنا أبو الحسين يحيى بن أحمد بن تامتيت، أنا أبو الحسن بن الصائغ عن مؤلفه، انظر الجواهر والدرر[٤].

والسراج ابن الملقن، والولي بن خلدون، وابن عرفة، والحافظ السخاوي[٥]، والحافظ السيوطي، وخرج أحاديثها، والحافظ برهان الدين

(١) هو ضمن مجموع نفيس من مؤلفات الحافظ العراقي في المكتبة الكتانية ٩١ ك، وهذا الجواب يبدء من ق٩٢ إلى ق١٥٨.

(٢) وذلك قوله في الجواب المذكور ق١٣٠ كما أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن أبي الليث بقراءتي عليه بثغر الإسكندرية حماه الله، قال أبو محمد عبد الخالق بن طرخان: وشيخن آخر من حدث بالشفا عنه، قال: أنا محمد بن أحمد بن جبير بن طرخان ءاخر من حدث به عن ابن جبير قال أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد التميمي إجازة قال أنا القاضي عياض بن موسى اليحصبي ...

(٣) (ص٧٨).

(٤) (٢٥٢/١-٢٥٣).

(٥) ساق سنده إلى الشفا في ختمه الانتهاض (ص٤٣/٤٨)، وفي ختمة الرياض (ص١٥)، نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة النبوية المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الحلبي[١]، وهو ممن شرحها، والحافظ الشوكاني ساق إسنادها في ثبته[٢]، وأمثالهم من مفاخر الحديث، كل جيل ومصر، من حين عياض إلى الآن.

وقد تهافت الأعلام على التقاط أسانيدها، فرووها مسلسلة بالقضاة، وباليمنيين، وبالسبتيين، وبالمغاربة، وبالمشارقة، وبالمالكية، وبالآباء، بل تتبعوا روايتها حتى من طريق الأخذ الروحاني.

وقد حبب إلي هنا سياق إسنادها المسلسل بالآباء لعزته وفخامته وجودة سياقه، ثم سياق أعلى أسانيدي فيها فأقول: حدثنا شيخنا وأستاذنا جبل السنة والدين؛ والدنا الشيخ أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني سماعًا عليه وإجازة ومناولة مرات، عن والده الإمام العارف الكبير شامة عصره أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني سماعًا وإذنًا عن خاله محدث فاس العلامة أبي عبد الله محمد بن الشيخ العارف أبي الفيض حمدون ابن الحاج المرداسي الفاسي سماعًا عليه مرة بعد مرة، سردًا وتارةً تدريسًا، قال: وكان يقرؤها لأجلي، ولذلك قصة عن والده أبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج.

ح وأرويها عن المحدث المسند المعمر الرحالة أبي محمد عبد الله بن إدريس بن أحمد السنوسي[٣]، عن والده أبي العلاء، عن أبيه

---

(١) ثبت مسموعات الحافظ سبط ابن العجمي ق ٣٢٠/٣٢١ نسخة الجامعة الأمريكية ببيروت

(٢) إتحاف الأكابر بأسانيد الدفاتر ١٥٨

(٣) جمع سيرته العلمية وما وقف عليه من نصوص إجازاته أخونا د. بدر =

أبي عبد الله محمد بن أحمد السنوسي، كلاهما عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، إجازة عن الشمس محمد بن محمد بن عبد الله المغربي، عن أبيه عن الشمس محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[١]، عن جده أبي السعود عبد القادر بن علي الفاسي، عن الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني دفين مصر، عن عمه أبي عثمان سعيد المقري.

ح وحدثني بها شيخنا الوالد عن محدث دار الهجرة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، عن أبيه، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي، عن أبيه ولي الله الدهلوي عن الشمس محمد وفد الله بن محمد بن سليمان الرداني، عن أبيه[٢]، عن أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري، عن أبي عثمان سعيد المقَّري المذكور، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنيسي، عن والده، عن الإمام العلم أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، عن أبي عبد الله، عن أبيه أبي العباس أحمد وعمه أبي الطاهر محمد عن أبيهما أبي عبد الله محمد بن مرزوق هو الخطيب، عن الفقيه العدل الأعدل الأجل أبي المجد أحمد بن محمد بن عياض بن محمد بن عياض قراءةً لبعضه وسماعًا ومناولةً عن أبيه الفقيه أبي عبد الله، عن أبيه القاضي أبي

= العمراني، وقد وقفت أخيرًا على نص استدعاء الإمام الحافظ المؤلف منه الإجازة. وفي المعجم الكبير للإمام المصنف تخريجي بقية ترجمته.

(١) المنح البادية في الأسانيد العالية (١/٢١٤-٢١٥).

(٢) صلة الخلف بأسانيد السلف (ص٢٧٣).

الفضل، عن أبيه القاضي أبي عبد الله محمد عن أبيه القاضي أبي الفضل عياض مصنفه.

قال الخطيب ابن مرزوق[١]: وهذا سند عزيز وجوده، لما اشتمل عليه من طرق المعالي، وهو قول الرجل: حدثني أبي عن جدي، وقد قال مالك بن أنس في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾: هو قول الرجل: حدثني أبي عن جدي[٢].

ولنختم هذا المبحث بأعلى أسانيدي إلى الشفا من طريق الحافظ السلفي وابن البخاري فنقول: أخبرني مسند الدنيا البدر عبد الله بن درويش السكري الرفاعي الدمشقي[٣] بها عام ١٣٢٤ عن مسند الدنيا الوجيه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الكُزبري، عن المعمَّر أبي الحسنات مصطفى الرحمتي الأيوبي، عن العارف أبي محمد عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، عن الحافظ نجم الدين الغزي، عن أبيه البدر، عن القاضي زكرياء الأنصاري[٤]، عن سيد الحفاظ أحمد بن

---

(١) أسنده الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث (ص٣٩) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٦٠)، ومن طريقه القاضي عياض في الإلماع (ص٥٤-٥٥).

(٢) للحافظ ابن مرزوق الجد فهرسة سماها: «عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز» وهي محفوظة بالمكتبة الملكية العامرة تحت رقم:٧٥٧٩، إلا أنها متلاشية جدًّا يصعب الاستفادة منها.

(٣) ترجمه الإمام المصنف ترجمة نفيسة في كتابه «الأجوبة النبعة عن الأسئلة الأربعة» (ق٤٦-٤٧)، وانظر نور الحدائق للإمام المصنف (ص٧٧) بعنايتي.

(٤) ثبته تخريج الحافظ السخاوي (ص٢١٧-٢٢٠).

علي بن حجر العسقلاني، عن الصلاح ابن أبي عمر، عن مسند الدنيا الفخر أبي الحسن علي بن أحمد بن البخاري، قال: أنا أبو الخير يحيى بن الحسن بن الصائغ، عن القاضي عياض، وبه إلى الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، عن أبي الفضل جعفر بن علي الهمداني، عن الحافظ أبي طاهر السلفي، عن عياض.

وفي هذه الأسانيد كفاية، وإلا فقد سمعتها في نحو عام ١٨ بحثًا على شيخ الجماعة بفاس أبي العباس أحمد بن محمد بن الخياط بجامع الأبارين، ويرويها عن مشيخته.

وسمعتها على جماعة بالمشرق والمغرب، تراجع سلاسلهم في معاجمنا، والحمد لله وكفى.

ومما يستفاد منه مزيد اغتباط الأعلام بكتاب الشفا تهافتهم على روايته والاستجازة فيه، حتى في العالم الروحاني، ففي «أزهار الرياض»[١] للحافظ أبي العباس المقري أروي كتاب الشفا عن مولانا العم، ويعني به مفتي تلمسان أبا عثمان سعيد المقّري، عن شيخه الإمام أبي عبد الله التنيسي، عن والده شيخ الإسلام الحافظ محمد بن عبد الله التنيسي الأموي، عن شيخه شيخ الإسلام أبي عبد الله بن مرزوق، عن جده خطيب الخطباء الرئيس الشهير أبي عبد الله محمد بن مرزوق، قال: رأيت عياضًا في المنام فناولني كتابه الشفا، قال: وإن لم يعتمد على مثل هذا في التحديث، فإن كثيرًا من العلماء بالحديث يذكرونه للتبرك. هـ من أزهار الرياض.

---

(١) (٣٤١/٤).

قلت: وقد كنت مرة في الضريح الإدريسي عام ١٣١٩ بفاس، فلقيت هناك بعض أهل العلم والرواية من أصحابنا فأخبرني أن مجيزنا الفقيه المسند الراوية المعمر خطيب جامع القرويين أبا جيدة بن عبد الكبير الفاسي[١] حدثه أنه كان عام ١٢٩٥ في طريقه للحج يقرأ الشفا على والده العالم المسند الخطيب الرحلة أبي محمد عبد الكبير بن المجذوب الفاسي[٢]، فلما وصلا لجدة فرأى إمام مدينة فاس وبانيها ومشيد مجدها عسلوج الدوحة النبوية المولى إدريس بن إدريس رضي الله عنه في المنام فقرأ عليه بقية الشفا وأجازه بجميعها فبينما نحن هناك إذ مر بنا المسند المذكور، فقمنا إليه وسألته عما ذُكر فأخبرني به كما ذُكر، واجازني بالشفا نحو إجازة المولى إدريس له بها في العالم الروحاني، وهي لطيفة من جليل عن عظيم في مقام حفيل.

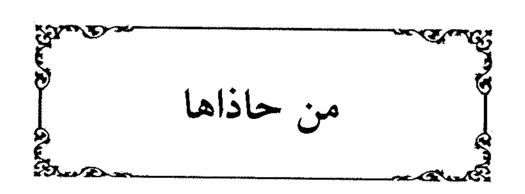
ومن هذا الباب أن شيخ الجماعة بالمغرب أبا عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن سودة المري ترجم في فهرسته[٣] للبركة الصالح أبي جيدة الزموري المتوفى عام خمسين ومائة وألف، فقال: كان مكبًا على قراءة المصحف والجلالين، وله صحبة بالشيخ ابن زكري والشيخ المسناوي، ويقال: إنه فتح عليه يومًا في الشفا معضلة كان متوقفًا فيها مدة، فعجب منه، فأخبره النبي ﷺ أعلمه بها ودله عليها. هـ

---

(١) انظر ترجمته في نور الحدائق (ص٦٥)، بعنايتي.

(٢) ترجمه المصنف ترجمة حافلة في كتابه: معجم الآخذين عن الرضوي (ق١٥).

(٣) (ص١٥٤).



من حاذاها

حاذاها نادرة عصره في الاطلاع والمشاركة أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[١] بكتاب سماه: «مفتاح الشفا» يأتي بترجمة الشفا فيذكر ما يستحسن الذكر عنده من كلام أهل السير والصوفية، وهو كتاب عجيب الجمع واسع الحوصلة، ما أجدره بالطبع، أكمل منه مجلدًا ضخمًا، في المكتبة الكتانية بعضه[٢]، ويوجد في المكتبة المخزنية بفاس[٣]، على أن مؤلفه لم يكمله، فمات وهو يشتغل به جزاه الله خيرًا.

أوله: الحمد لله الذي فجر أنهار جنة المعارف المزهرة من أنوار سيد الوجود ﷺ في الدنيا والآخرة ... إلى أن قال: أما بعد: فإن أحق ما يجول فيه العقول وتمتد في عرصاته خطى المقول ويستطيب البال عذوبته العذبة، ويدلي دلوها الآمال شجع سحبة ... إلى أن قال: ولما

---

(١) ولد سنة ١٠٤٠، وتوفي سنة ١٠٩٦، انظر ترجمة المؤلف له في: فهرس الفهارس (٢/٧٣٥ - ٧٣٦).

(٢) قال الإمام المصنف في فهرس الفهارس (٢/٧٣٥): له في الفن «مفتاح الشفاء» جارى به شفاء عياض في نحو مجلدين، وهو كتاب واسع النقل كبير الإفادة، يدل على سعة حوصلة مؤلفه وكبير تصديقه بكلام أهل الحقائق وطاماتهم.

(٣) لعلها النسخة المحفوظة اليوم في الخزانة الملكية تحت رقم: ١٦٧٧، كما في كشاف المكتبة (ص٤٢٠).

خلع ذيل الذنوب ذيوله والتمس العليل فتك الصبح بليل سقامه ناجت نفسه أن لا ملجأ إلا إلى الزعيم الكفيل بدواء السقيم، وليس ذلك إلا من هو المعد للخطوب المطفي قنديل ثريا الكروب فتطفل على الجناب المنيع الذي هو عز للمشفع الشفيع، فآوى إلى تعداد أوصافه الحسنى المتوجه المفارق بإكليل الهنا تبركا وتيمنا بذلك الثنا، وطالما توسلت بالنظم والنثر منذ عنفوان الأمر ثم رأيت أن أجمع من كلام الأمة ما قيل في وصف الجناب إيثارًا لجمع كلام الغير في الغالب، وحاذيت به شفاء القاضي عياض الشهير الفضل في هذا الخصل الفضفاض، إذ ما زال يسمع ويذكر أن له بركة لا تنكر.

ذكر شارحه العلامة الشهاب الخفاجي، قال: قرأت في ديوان ابن المقري اليماني الشافعي أن كتاب الشفا مما شاهدوا بركته حتى لا يقع ضرر لمكان كان فيه ولا تغرق سفينة كان فيها، وأنه إذا قرأه مريض شافاه الله، وهو مما جرب، وكان ابتلي بمرض فقرأه فعافاه الله، وأنشد في ذلك ما ذكر.

قال الشهاب: وأنا ممن جرب بركته وشاهدها والحمد لله. هـ

وأنا ممن تعرض لهذه البركة السابغة النعم التي يحق أن تتوجه إليها الهمم تعرُّضًا لبركة الشفيع، وسميته «مفتاح الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» وسر نفحة من فتحِه أن تخطو بالعاجز خطوة وتوصله إلى نجاته.

افتتحها بذكر أسانيده إلى القاضي عياض، قال تبركًا به وبالوسائط التي بيننا وبينه بالسماع أو اللقي أو الإجازة أو بالمجموع، وإن لم يكن

إلا اللقي فهو مما يُرجى بركته، فإنه إن لم تحصل الرواية فلا بد منه في المذكورين إلا ما كان بمجرد الإجازة، فصح أن ينفرد كل منها عن كل.

وبدأ بأسانيد المغاربة ثم المشارقة، أتى في ذلك بأربع ورقات في القالب الكبير ثم قال: ولنذكر بعض أسانيد كتب شتى لمسيس الحاجة إلى النقل منها بواسطة أو دونها، فأتى بنحو خمس ورقات، ثم قال: القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى قولًا وفعلًا، وهكذا إلى أن وقف ناسخ المجلد الأول فكتب:

انتهى الجزء الأول يتلوه إن شاء الله في الثاني فصل في نبع الماء من بين أصابعه ﷺ ثم وقف المؤلف في المجلد الثاني في فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي ﷺ من الأدب سوى ما سبق، فكتب نحو كراس، ووقف في مبحث فضل الأماكن وقبره ﷺ على كل مكان، وعلى كلمة ﷺ كتب الناسخ ما نصه: عند كتب ﷺ وقفت يد المؤلف عن الكتابة وكمل الباقي ولده سيدي محمد بإذن منه نفعنا الله بهما. هـ.

ثم كتب بخط غيره عدة أسطر ووقف هو أيضًا على ما في النسخة التي ظفرت بها، وأظن أنها نسخة الزاوية الحمزاوية التي كانت بها، والنسخة الأصلية التي بخط المؤلف موجودة عند بعض الكتانيين صارت له من أمه الفاسية، وكانت نسخة عند سيدي علال الفاسي(١) وكنا ابتدأنا نسخه منها فلم يكمل المجلد الأول، بل بقي مفرقًا عند الطلبة.

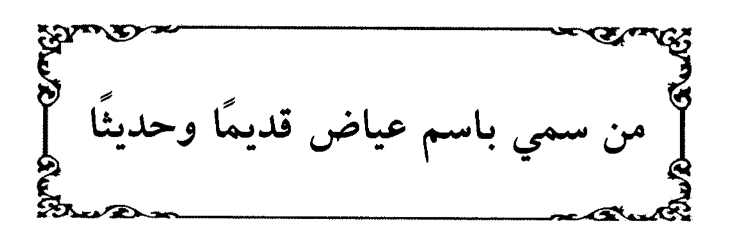
---

(١) هو العلامة علال ابن عبد الله المجذوب الفاسي الفهري، المتوفى ١٣١٤هـ انظر: سلوة الأنفاس (٣٤١/٢).

وترجم لسان الدين ابن الخطيب في «الإحاطة»[1] لعلي بن عتيق الهاشمي القرشي، فذكر من تآليفه كتابًا في غرض الشفا، انظرها.

وترجم في «البدور الضاوية» للعلامة الأديب البارع محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي، المتوفى بالحجاز عام ١١٤٢ فقال: ألف في السيرة النبوية مجلدًا ضخمًا سماه: «أزهار الحدائق وخلاصة الحقائق من بحر سيد الخلائق وما يتبع ذلك من التكملة والدقائق»، جرى فيه على صنيع القاضي عياض من تفصيله الأجزاء والأقسام والأبواب والأبحاث والمقاصد والمطالب والمسائل. هـ

(١) (١٦٧/٤-١٦٩).



من سمي باسم عياض قديمًا وحديثًا

من أغرب ما علمت عن عياض وشهرته في العالم الإسلامي أن الناس إلى الآن يسمون على اسمه، حتى في أقصى بلاد الشرق، ففي عصرنا هذا عياض بن إسحاق بك ممثل مسلمي بلاد أورال[١] في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في بيت المقدس، ودعيت إليه، فلم يتيسر لي رخصة بحضوره، وهو عالم فاضل خطيب بليغ ذكي أريب، حلاه بذلك محمد لطفي جمعة[٢] في أول كتابه «حياة الشرق»[٣].

ومن العجيب أني فتحت «معجم الشعراء»[٤] لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى عام ٣٨٤، فوجدت فيه ص٢٦٨ باب: ذكر من اسمه عياض، ترجم فيها تسعة[٥]، ذكر أشعارهم وأخبارهم.

---

(١) هي بلدة في تركيا الأسيوية في ولاية آيدين لواء صوغله. انظر المعجم الجغراي للإمبراطورية العثمانية ل: س. موستراس (ص١٢٠).

(٢) ولد سنة ١٣٠٣هـ، وتوفي سنة ١٣٧٢هـ، من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ومن كبار الصحفيين، انظر ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي (١٥/٧-١٦).

(٣) (ص٨).

(٤) (ص٢٦٨).

(٥) الذي في المطبوع من معجم الشعراء (ص٢٦٨-٢٦٩) ثمانية ضمن اسمهم عياض.

ورأيت قديمًا في إحدى مجلات تطوان[١] أن بالقرب من تلك الجبال المحيطة بها فريق يعرفون بأولاد عياد ويذكرون أنهم من ذرية عياض، وأنهم لطول المدة صحف الناس الضاد وأبدلوه بالدال، وهذا عجيب وقريب إلى تصور التصحيف فيه.

وأغرب من كل ما ذكر أنه توجد بصحراء الجزائر قبيلة تعرف باسم عياض، توجد على جنوب برج أبي عريج بنحو ٢٧ ميلًا، وهي قبيلة عربية الأصل، لم تزل على شهامتها وعوائد أجدادها الأكرمين، وبها زاوية شاذلية. قاله صاحب «الروضة السنية» ص١٦.

ومن العجب أنا نجدهم يقولون كصاحب «الجذوة»[٢] في نسب قاضي فاس: العياضي، فانظر هذه النسبة.

نشرت مجلة الثريا التونسية في عدد ٦٦ للسنة الثانية لعام ١٣٦٤ تحت عنوان: في بيوت الأدب والمجادة تلألأ في بيوت أدبائنا الأفاضل أقمار وكواكب وكذلك انشرحت بها صدورهم وقرت بها عيونهم، فسر حضرة العلامة البحر الأستاذ الشيخ محمد الفاضل بن عاشور بوريث لعلمه ومجادته أسماه عياضًا تفاؤلًا بمؤلف الشفا. هـ

وقد تسارعت إلى تهنئة العلامة الشيخ الفاضل ابن عاشور بالولد وتسميته له بعياض[٣]، وهبت له لعياض المزاد نسخة من الشفا طبع فاس

---

(١) وفي أحواز سبتة اليوم من الجهة المغربية قرية تدعى بدار عياضش، ويقال: إنها مسقط رأس القاضي عياض، والله أعلم.

(٢) (١/٢٣٨).

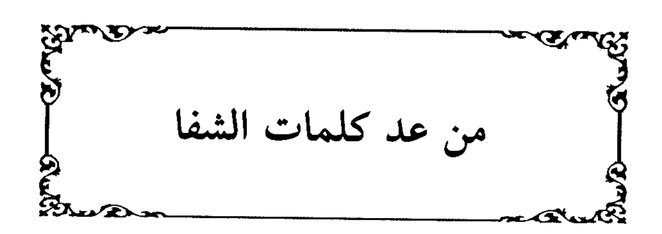
(٣) هو الأستاذ المحامي القانوني، ولد سنة ١٩٤٥م، وهو حي لهذا العهد، وله مشاركات علمية وسياسية.

في مجلدين هدية، بإجازة عامة وبخصوص الشفا بسند مسلسل بالآباء، فسر بذلك سرورا زائدا، وبعث إلي بكتاب هذا نصه بحروفه[1].

(١) لم نقف عليه ضمن نسخ الكتاب التي وقعت لنا.

[illegible]

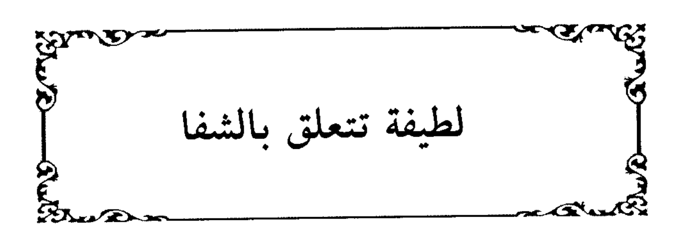
رسالة بخط العلامة محمد الفاضل بن عاشور للمؤلف



من عد كلمات الشفا

ومما يدل على اعتناء الناس بالشفا عناية فائقة تفوق التصور أن الحيسوبي العددي المطالع المعتني الذاكر سليل المجد والكرامة المعمر أبا عبد الله محمد بن محمد بن إدريس ابن الشيخ المحدث العالم أبي حامد العربي ابن الشيخ العارف الكبير أبي عبد الله محمد المعطي بن الصالح الشرقي البجعدي، قال لي في أبي الجعد عام ١٣٣٤ أنه عدد كلمات الشفا فوجدها مائة ألف وعشرة آلاف، وهذا يدل على اهتمام كبير بهذا الكتاب[١].

(١) الرحلة الدرنية، رحلة أبي الجعد (١/١٤-٢٠ق)، والغريب أنه عدد كلمات الذخيرة لجده، وعدد كلمات الشفا، وعدد كلمات دليل الخيرات فضلا عن القرآن الكريم، وعدد أيضًا كلمات الفتوحات المكية.



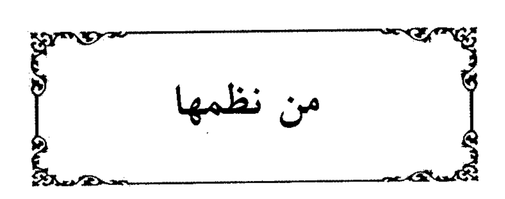
لطيفة تتعلق بالشفا

كنت وأنا صغير كلِفًا بالشفا فورد على الشيخين زائرا بعض علماء المغرب البحاثين، وذلك عام ١٦ ومعه نسخة من الشفا وكتاب الحدائق الوردية للخاني، وكان يكتب في مسألتين يهتم بهما، فأومأت له إلى وجود النص عليهما في الشفا والحدائق، واستغرب ذلك كل الاستغراب، وذهب به التعجب إلى أن قال: إن كان في الشفا والحدائق، ما ذكرت فنسختهما لك، فأوقفته على المسألتين في الشفا والحدائق، الأولى تتعلق بالغزالي والثانية بالإمام أحمد بن عبد الأحد السهرندي، فاستغرب وجود الأمرين في الكتابين وكان شديد الاطلاع على مخبآتهما، فوهبني الشفا والحدائق، ولا زالت نسخة الحدائق هذه في المكتبة الكتانية إلى الآن.

ووقعت لنا في الصغر في نحو التاريخ المذكور نادرة أخرى تتعلق بالشفا، وهي أن بنت خالتنا الشريفة الفقيهة العابدة الناسكة السيدة مريم[1] بنت الفقيه الصالح البركة الوجيه أبي علي مولاي الحسن بن عمر الكتاني، وكانت متفقهة في دينها تقرأ وتكتب وتطالع وتحفظ الرسالة،

(١) توفيت سنة ١٣١٧هـ، ترجمتها في ترقية المريدين للأستاذ المؤلف (ص٤٨)، والتاج المرصع بالجوهر الفريد لابن أخيه العلامة محمد الباقر الكتاني (١٠٨/١ق).

سمعت الناس يتناوشون في الصلاة على النبي ﷺ باسم أحمد الشريف، فاستغربت ذلك مع وجود صلاة الحسن البصري على النبي ﷺ باسم أحمد في الشفا وأوقفتنا عليها فيها، فعجبنا من ذلك ونحن صغار أشد العجب من الفتح عليها في النص حيث غفل عنه جميع المعاصرين ممن يتكلمون في هذه المسألة النادرة الوقوع.



من نظمها

ليُعلم أن الناس قديمًا اعتنوا بنظم مشارق عياض[١] ومواهب القسطلاني، والهدي النبوي لابن القيم[٢] والشمائل للترمذي[٣]، ودلائل الخيرات للجزولي[٤]، ومختصر خليل، والرسالة لابن أبي زيد، وغيرها من الكتب العظيمة، كانت منثورة فنظموها لغاياتٍ قصدوها، وتوجيهات سنحت لهم، وحالات حضرت لهم.

كما اعتنى الناس بنظم تفسير القرآن الكريم، فللإمام حافظ الشام بدر الدين الغزي الدمشقي[٥] والشيخ محمد الضرير الإسكندراني المكي

---

(١) ممن نظمها الإمام محمد بن عبد الكريم الموصلي، صاحب «لوامع الأنوار في نظم مطالع الأنوار» وقد نظم فيه «المشارق والمطالع» لتلميذ القاضي الحافظ ابن قرقول في حوالي ٣٠٠٠ بيت.

(٢) نظمها الحسن بن إسحاق الصنعاني، اقتصر فيها على نظم العبادات منه، وقفت عليه مخطوطًا.

(٣) نظمها جماعات، من أواخرهم سلطان المغرب المولى عبد الحفيظ بن السلطان مولاي الحسن العلوي، وطبع بالمطبعة المولوية بفاس سنة ١٣٢٨.

(٤) وقفت في الرحلة الدرنية للإمام المؤلف (٣/٠٨) على ما نصه: وقفت في مراكش على نظم دلائل الخيرات لأبي حفص عمر بن محمد المجاطي، أوله الحمد لله الذي هداني للدين والإيمان واجتباني، ألفه باسم السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل.

(٥) المسمى بتيسير التفسير، أو منحة الرحمان، أو ينبوع الكلام المنتظم من فيض جوامع الكلم.

الضرير[١]، له تفسير القرآن في نحو عشر مجلدات نظمًا، في المكتبة الكتانية بعضه، وبعضه في المكتبة السكيرجية بسطات[٢].

أما كتاب «الشفا في التعريف بحقوق المصطفى» فقد نظمه في القرن الثاني عشر العلامة الأديب النسابة الخطيب المفوه الشمس محمد بن عبد الرحمن الدلائي، صاحب «درة التيجان ولقط اللؤلؤ والمرجان» المتوفى سنة ١١٤١، فإن الجبرتي ترجمه فقال: ناظم كتاب الشفا ص٨٦ ج١، وابن عبد الرحمن هذا مترجم في البدور الضاوية وغيرها من تواريخ المغرب.

وقد نظم الشفا في عصرنا هذا ثلاثة كلهم من أهل فاس في عصر واحد، ومرارًا اجتمعوا عندي تحت سقف واحد:

١. الناظم الناثر الخطيب المفوه سليل المجد والعرفان أبو محمد عبد الله بن عبد السلام بن علال الفاسي رحمه الله[٣].

---

(١) ترجمه محدث الشام إسماعيل العجلوني في ثبته «حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال» (ص١١٣-١٢٠)، وسلك الدرر (١٢٣/٤).

(٢) اطلع المؤلف على هذه النسخة من تفسير العلامة محمد الضرير في مكتبة العلامة سكيرج وهو على قضاء وجدة، كما ذكر ذلك في رحلته الجزائرية (ق٤٦/١-٥٢).

(٣) ولد سنة ١٢٨٠، ووقع في المطبوع من سل النصال عام ١٢٠٨، وهو تحريف ظاهر، وتوفي سنة ١٣٤٨ ترجمته في: تاريخ الشعر والشعراء بفاس للقاضي مولاي أحمد النميشي (ص١٠١) ومعجم المطبوعات المغربية (ص٢٦٦-٢٦٧)، وقال بأنه رأى ترجمته بخطه في الخزانة الكتانية، وسل النصال (٥٧-٥٨)، وإتحاف المطالع (٢-٤٥٤).

٢. وابن خالنا الفقيه المدرس الواعظ الناسك الناظم الناثر أبو العباس أحمد بن جعفر الكتاني[1]، وكلاهما لم يتم نظمهما.

٣. الثالث المشارك في العلوم الشرعية، والفنون الأدبية، والأبحاث الرياضية، والمعارف الصوفية، والأفنان الروحية، العلامة النحرير أبي العباس أحمد بن العياشي سكيرج الفاسي، قاضي السطات حالًا، وهو الذي أتى على نظم جميع الشفا، فجاء نظمه مطبوعًا بطابع الإكمال، ومرموقًا بعين الإقبال، ولا عجب، فالقاضي أبو العباس حباه الله وحياه ممن أوتي سرعة الخاطر وسيلان القلم في الزمن الحاضر، فهو إذا نظم أعجب، وإذا نثر سحر الألباب وأطرب، يسقي القلم فيجري به، ولا يقف إلا إذا وقف المداد، عطية من رب الإمداد، فهو ممن يقال فيه: الشعر أسهل عليه من النثر، وإن شاء أن لا يتكلم ولا يكتب إلا نظمًا لفعل وأجاد، حتى يجف المداد، ولا غرو؛ فهو في عصرنا هذا كالبوصيري الذي قيل فيه:

إن شيخه العارف أبا العباس المرسي أفرغ عليه وعلى رفيقه ابن عطاء الله السكندري حلتي النظم والنثر، فكانت قسمة الأول نظمًا في قصائده المحمدية كالبردة والهمزية والمضرية، وناهيك بهما مزية، والثاني نثرًا، وناهيك بحكمه الفائقة وجمله الرائقة، تلك عطايا الإله ليس لها من حاصر ... سبحانه ويعطي في كل عصر على

---

(١) ولد بفاس سنة ١٢٩١، وتوفي سنة ١٣٤٠، ترجمته في: النبذة اليسيرة (ص٣١٢ - ٣١٧)، وسل النصال (ص٢٤)، وإتحاف المطالع (٢/٤٣٠)، ومنطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني (ص١٤٩-١٥١).

مقتضى مشيئته، فليس عليه من رقيب ولا محاسب، والبوصيري هو الذي يقول:

هي المواهب لم أشدد لها فلا يقال لفضل الله ذا بِكَم

ولقد عاشرنا حضرة ناظمها المفوه وناثرنا الملهَم في السفر والحضر فرأينا منه سيلان الفكر والقلم في النثر والنظم ما يقضى منه العجب العجاب، وما لم نر له نظيرًا في ما حضر وانقضى من الأحقاب، يكتب الكتاب في ليلة، وينظم القصيدة من المائة والمائتي بيت في ليلةٍ أو غدوة، وهذه العرب بالباب.

فنظمه هذا للشفا آية الآيات، وموهبة من ديم العَطِيات، فنسأل ذي المواهب والإفضال أن يرزقنا وإياه من شفاء المدد المحمدي ما يروينا ويروى به، ويكسبه إياه من حلل هذا الكتاب البهية ما يخلد به اسمه مع المخلدين في دار المأوى.

[illegible]

تقيد وفاة العلامة سيدي أحمد بن جعفر الكتاني بخط المصنف

ويلذ لي أن أختم هذا التقديم بما رأيته في الإحاطة بالتعريف بعلماء غرناطة[1]، للسان الدين والدنيا ذي الوزارتين والرئاستين ابن الخطيب السلماني الأندلسي دفين فاس لما ترجم الوزير الخطيب القاضي أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الرعيني المعروف بابن أبي المجد، قال: حدثني ابن أخته: [الطويل]

ألا يا محبّ المصطفى زد صبابة ... وضمّخ لسان الذّكر منه بطيبه
ولا تعبأن بالمبطلين فإنما ... علامة حبّ الله حبّ حبيبه

فأخذ الأصحاب في تذييل ذلك. فقال الشيخ أبو الحسن بن الجيّاب، رحمه الله: [الطويل]

ومن يعمر الأوقات طرّا بذكره ... فليس نصيب في الهدى كنصيبه
ومن كان عنه معرضا طول دهره ... فكيف يرجّيه شفيع ذنوبه؟

وقال أبو القاسم بن أبي القاسم بن أبي العافية : [الطويل]

أليس الذي جلّى دجى الجهل هديه ... بنور أقمنا بعده نهتدي به؟
ومن لم يكن من دأبه شكر منعم ... فمشهده في الناس مثل مغيبه

وقال أبو بكر بن أرقم : [الطويل]

نبيّ هدانا من ضلال وحيرة ... إلى مرتقى سامي المحلّ خصيبه
فهل ينكر الملهوف فضل مجيره ... ويغمط شاكي الداء شكر طبيبه؟

وانتهى القول إلى الخطيب أبي محمد بن أبي المجد، فقال، رحمه الله، مذيّلا ذلك : [الطويل]

---

(١) (٣/٣٥٠-٣٥).

ومن قال مغرورا: حجابك ذكره فذلك مغمور طريد عيوبه
وذكر رسول الله فرض مؤكّد وكلّ محقّ قائل بوجوبه

والسلام ختام.

قاله وكتبه خادم الحديث محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني الحسني بفاس في ٢٥ محرم فاتح عام ١٣٥٩ بجبل تغات لا زال محل العطيات ومرفوع السمات وباهر الآيات.

انتهى التعليق عليه وتصحيحه في جلسات من ألذ أوقات العمر وأحلاها في شهر ربيع النبوي الأغر لسنة ١٤٣٦هـ بمدينة طنجة حرسها الله تعالى.

فهرس الموضوعات

المدخل إلى كتاب الشفا